

التَّسْهِيلُ الْعُلُومِ التَّنْزِيلِ

تَأليف العلامة المفسر أبي الفاسر
محمد بن أحمد بن جزي السكيتي الأندلسي الفرياني
رحمه الله وتقبله في الشَّهَادَةِ - (٦٩٢ - ٧٤١ هـ)

وَقَعَّه تَرْكَهُ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عبد الرحمن بن ناصر البراك
حَفَظَهُ اللهُ تَعَالَى وَفَقَّعَ يَدَهُ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمُشْكَلَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ

مُحَقِّقٌ

علي بن حمد الصَّالِحِي
عُضُوٌّ مَجِسَّةُ الدَّارِ لِلدِّينِ بِجَامِعَةِ الدَّرَافَةِ

المجلد الأول
القائمة - الأعمدة



دار طيبة الخراء
للنشر والتوزيع | علم ينفع به

التَّسْهِيلُ لِلْعُلُومِ وَالْتَّنْزِيلُ

تَأَلَّفَ الْعَلَامَةُ الْفَيْسَرُ الْفَلَّاسِي

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْغُرَنَاتِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلَهُ فِي الشُّهُدَاءِ - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَمَعَظَمَةُ بَرَاءَتِ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَّاكِ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ

عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُوتَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ

تَحْقِيقُ

عَلِيَّ بْنُ حَمْدٍ الصَّالِحِيِّ

مُضَوِّهَاتُ الدَّرَجَةِ بِمَجَامِعِ الْفَرْغِي

الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ
الْقَائِمَةُ - أَلْعُرَّانُ



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم يملأ به

حقوق الطب مع محفوظات

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

0125562986 | yyy01@hotmail.com



dar.taiba



@dar.tg



dar.taibagreen123



dar.taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

0503568771 | 0550428992 | yyy.01@hotmail.com | 0125562986



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مَنْ بعثه الله رحمةً للعالمين، محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن أشرف العلوم قدرًا، وأجلّها ذكرًا، وأرفعها شأنًا، وأولاها عرفانًا؛ علمُ تفسير كتاب الله تعالى، وتفهُّم معانيه، وهو أولى العلوم بالتحصيل، وخير ما صُرفت فيه الأعمار، وأنفقت فيه الأوقات، وكُذِّت فيه القرائح والفهوم؛ إذ هو متعلّق بأشرف كلام، وهو كلام رب العالمين، فنال هذا العلمُ قصب السبق بهذه المزيّة، وأعظم بها من مزيّة، ومن رُتبة عليّة، وحرّيّ بعلم هذه خَلَّتْه وخَصَلَتْه أن يكون سيّد العلوم وكبيرها، وأن تكون سائر العلوم له جنّدًا وتبعًا، وقَمَنَ به أن يكون في ذروة المعارف والعلوم التي يقصدها ورّادها، ويرومها قَصَادُها، ويطلبها شِدَاتُها؛ ليرتعوا في رياضه، ويكرعوا من حياضه، ويقتبسوا من أنواره، ويتأرّجوا من نفحاته، وما أجمل ما دبّجته براعة الإمام المظليّ، محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللهُ حيث يقول مستحجًا طلبة العلم على العناية بكتاب الله، ومُذكّيًا همّهم في الانكباب

على تحصيل علمه - : « فكلُّ ما أنزل في كتابه - جل ثناؤه - رحمةٌ وحجةٌ ،
 عَلِمَهُ مَنْ علمه ، وجهله من جهله ، لا يعلم مَنْ جهله ، ولا يجهل من علمه ،
 والناس في العلم طبقاتٌ ، موقعُهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به ،
 فحقُّ على طلبة العلم بلوغُ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه ، والصبرُ
 على كل عارضٍ دون طلبه ، وإخلاصُ النية لله في استدراك علمه : نصًّا
 واستنباطًا ، والرغبةُ إلى الله في العون عليه ؛ فإنه لا يُدرِك خيرٌ إلَّا بعونه ، فإن
 مَنْ أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا ، ووفَّقَه الله للقول والعمل
 بما عَلِمَ منه : فاز بالفضيلة في دينه ودنياه ، وانتفت عنه الرِّيب ، ونوَّرت في
 قلبه الحكمة ، واستوجب في الدين موضع الإمامة ، فنسأل الله المبتدئ لنا
 بنِعَمِهِ قبل استحقاقها ، المُدِيمَها علينا ، مع تقصيرنا في الإتيان على ما
 أوجب به من شكره بها ، الجاعِلُنَا في خير أمة أخرجت للناس : أن يرزقنا
 فهمًا في كتابه ، ثم سنة نبيه ، وقولًا وعملاً يُؤدِّي به عَنَّا حقَّه ، ويوجب لنا
 نافلةً مزيده^(١) .

وإن من أنفع الكتب المؤلفة في علم تفسير كتاب الله تعالى : كتاب
 «التسهيل لعلوم التنزيل» للشيخ الشهيد أبي القاسم محمد بن أحمد ابن
 جُزَيِّ الكلبي الغرناطي رحمته ، فقد امتاز هذا الكتاب بعدة مميزات ، تجعله
 من أولى كتب التفسير التي يجدر بطالب العلم أن يُقبل على تحصيلها ،
 ومن تلك المميزات :

١ - سهولة أسلوب ابن جزَيٍّ ووضوح عبارته وجودتها ، وحسن ترتيبه

(١) الرسالة (ص : ١٩ - ٢٠) .

وعرضه للمسائل، وهذه الميزة يجدها الطالب بجلاء عند مطالعته لسائر كتب ابن جزى، فعبارته يمكن أن توصف بأنها من السهل الممتنع، حيث يجد القارئ سلاسةً عند قراءتها، لكن يصعب على الشخص أن يحاكيها.

٢- صغر حجم الكتاب نسبياً؛ مما يسهل تحصيله، ويقربه إلى الراغبين، مع غزارة مادته العلمية، فابن جزى اختصر العبارة، مع غاية الدقة في انتقاء العبارة، فالمطالع لتفسيره يجد العبارة المختصرة المركزة، لكن لو فتش فيما تحتها من المعنى لوجده معنى غزيراً، وقد نبه رحمه الله على ذلك فقال: «ثم إنني عزمْتُ على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار».

٣- نقاوة هذا التفسير وخلوصه وصفاءه من الأقوال الباطلة والساقطة، كما نبه على ذلك في المقدمة فقال: «وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره؛ تنزيهاً للكتاب عنه، وربما ذكرته تحذيراً منه»، إضافةً إلى تحقيقه لأقوال المفسرين والفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييزه بين الراجح والمرجوح، فهو بحق عسل مصفى، ولبن خالص سائغ للشاربين.

٤- أنه يعدُّ كتاباً تطبيقياً لمن درس علوم الآلة - كعلوم اللغة من نحو وتصريف وبلاغة وعلم الأصول - ويروم أن ينمي ملكته في تطبيق هذه العلوم على فهم كتاب الله، فابن جزى يبين بوضوح الأوجه الإعرابية في الآية والمعنى المبني على كل وجه، وما فيها من النكات البلاغية، ويبين تصاريف الكلمات وأبنيها.

٥- قدّم له ابن جزى بمقدّمتين، إحداهما في أبواب من علوم القرآن

وأصول التفسير، وهي بمثابة كتاب مستقل في علم علوم القرآن وأصول التفسير، والأخرى في اللغات التي يكثر ورودها في القرآن، وهي بمثابة كتاب مستقل في علم غريب القرآن، وهذا الصنيع قل أن يوجد مثله في كتب التفسير.

٦- جودة المصادر التي استمد منها ابن جزّي تفسيره - وسيأتي الحديث عنها بإذن الله -، وأهم تلك المصادر: تفسير ابن عطية، وتفسير الزمخشري، وهذان التفسيران من أجل كتب التفسير العمد الكبار، فالدارس لتفسير ابن جزّي كأنه قرأ لباب هذين التفسيرين وصفتهم.

وقد نوه أهل العلم بمزية تفسير ابن جزّي، وأشادوا بمنزلته، وأوصوا به طلاب العلم، فهذا الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسيّ (ت ١٠٥٢هـ) من عيون علماء المغاربة في القرن الحادي عشر يوصي أولاده حين قدموا فاس لطلب العلم بها ويقول في ضمن وصيته: «ومن أحسن التفاسير التي أحب لكم مطالعتها وتفهمها: تفسير ابن جزّي، ولا أقبل قول من يخالف في ذلك»^(١).

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور خالد السبت -نفع الله به-: «فهذا كتاب في غاية الأهمية، لا يستغني عنه طالب العلم، وهو مع إيجازه، فالمؤلف يحرص فيه على الوفاء بالمعنى، يختصر جداً مع ذكر الأقوال، وهو كتاب ملخص، لكنه عميق ودقيق قل أن يوجد مثله»، ويقول أيضاً: «ويصلح أن

(١) نقل نص هذه الوصية د. محمد عوامة في كتابه: معالم إرشادية لصناعة طالب العلم (ص ٤٣٤).

يكون هذا الكتاب أصلاً يُعتمد عليه، بحيث يكون عند طالب العلم، يضبطه، ويضيف عليه ويُعلّق عليه، ويرجع إليه حيناً بعد حين، ويراجعه ويكرره^(١).

ومع جلالة هذا الكتاب وقيّمته العلمية ومزاياه العليّة؛ إلّا أنه لم تخرج له طبعةٌ صحيحة سليمة من الأخطاء تليق بمكانته، فجميع الطباعات التي خرجت له بخسّته وهضمته حقّه بكثرة ما فيها من الأخطاء الشنيعة والتحريفات والسقط الكثير الذي يصل أحياناً إلى عدّة أسطر؛ مما يجعل استفادة الدارس من هذا الكتاب صعبةً ومحدودة، ومعاناته شديدةً في القراءة فيه، فحداني ذلك إلى أن أستعين الله تعالى في تحقيق هذا الكتاب تحقيقاً علمياً يليق بمكانته ويخلصه وينقيه من التحريفات والأخطاء، ويُعيد إلى حوزته ما نقص منه وما سقط من عباراته، معتمداً في ذلك على أصول خطيّة لهذا الكتاب انتخبتهما مما جمعته جهداً استطاعتي.

هذا؛ وقد حلّى جيداً هذا الكتاب، ووشّى حلّله، تعليقاتٍ نفسية، وتقريراتٍ فريدة، لفضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك -أمتع الله به-، وفيها استدراكاتٌ على مواضع من الكتاب جانب المؤلف فيها الصواب في العقيدة والسلوك وغير ذلك، وقد كنتُ في أثناء عملي في التسهيل تُعرض لي مواضع يقرّر فيها ابن جزّيّ تقريراً مشكلاً على منهج أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة، فعرضتُ هذا الأمر على شيخنا

(١) راجع: المادة الصوتية رقم (١) من شرح فضيلته لتفسير ابن جزّي، على الموقع الرسمي لفضيلته في الشبكة العنكبوتية، من الدقيقة (٢٥) وما بعدها.

الأستاذ الدكتور : عبد المحسن العسكر - نفع الله به - ، فاقترح عليّ - جزاه الله خيراً - أن أرسل له هذه المواضع المشكّلة ويقوم هو بعرضها على شيخه الشيخ عبد الرحمن البراك ، وهكذا عهد شيخنا - جزاه الله خيراً - بأدلاً للخير مبادراً نفاعاً .

وكلُّ امرئٍ يُولي الجميلَ محبَّبٌ وكل مكانٍ يُنبُت العِزَّ طيِّبٌ
وعرض شيخنا هذا الأمر على فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك فأجاب إلى ذلك كرمًا منه وتفضُّلاً - جزاه الله خيراً - على عادته في الجود بالعلم وبذل الخير والنصح ، والشيء من معدنه لا يُستغرب ، وكأنَّ زهيراً عنه حين قال في هَرَمِ بنِ سِنان :

قد جعل المبتغونَ الخيرَ في هَرَمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقاً
وأملَى هذه التعليقات على الشيخ عبد المحسن العسكر ، وهي بحقّ - كما يقول شيخنا عبد المحسن - «تعليقاتٌ تشدُّ إليها الرحال ، وتضرب بها الأمثال ، وترخص في تحصيلها كرائم الأموال ؛ فإنها معقد الآمال ، ومتنافس كرام الرجال ، وإنها لحلية في جيد (التسهيل) تستوجب الشناء الجزيل والذكر الجميل» .

فأسأل الله أن يجزي الشيخ العلامة : عبد الرحمن بن ناصر البراك خير ما يجزي به العلماء الناصحين والأئمة الصادقين ، وأن يبارك في مسعاه ويبلغه من الخير متناه .

وأسأله سبحانه أن يعجزني شيخنا المبارك المفضل الذي كثرت لدي فضائله وفواضله الشيخ الأستاذ الدكتور : عبد المحسن العسكر خير الجزاء على جهده في عرض هذه القضايا المشككة على فضيلة الشيخ : عبد الرحمن البراك وتقييدها ومتابعته للعمل في ذلك ، ولا يفوتني أن أشكر كل من أعان في هذا العمل بمراجعة أو نقد أو إفادة ، جزاهم الله تعالى على إحسانهم خير الجزاء .

وبعد؛ فهذا كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» أقدمه للقارئ الكريم وقد بذلتُ الجهد في تحقيقه وتقيقه واستفرغت الوسع ، وحرصت على حسن الإخراج والتنسيق ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله الحمد والشكر ، وما كان فيه من خطأ وزلل -وقلما ينجا امرؤ من الزلل- فمن نفسي والشيطان ، والله ورسوله منه بريتان ، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وزلفى لديه في جنات النعيم المقيم ، وأن يبارك فيه وينفع به ، وأسأله سبحانه أن يعجزني الشيخ ابن جزى خير الجزاء على هذا السُّفر العظيم ، وأن يتغمده برحمته وأن يتقبله في الشهداء ، إنه سميع مجيب ، وأسأله سبحانه أن يعجزني والدي ومشايخي وكل من له فضلٌ عليَّ خير الجزاء ، وأن يعلي درجاتهم في عليين ، إنه خير من سئل وأجود من أعطى والحمد لله رب العالمين .

✍ وكتبه

علي بن حمد الصالحي

مكة المكرمة

ali.h.s.32@gmail.com

المطلب الأول

التعريف بالمفسر ابن جزى^(١) رَحِمَهُ اللهُ (٢)

★ اسمه ونسبه:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير

(١) يقول الحضرمي -تلميذ المترجم له- في ضبط هذا الاسم في «فهرسته»: «ابن جزى؛ بضم الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة بعدها همزة» نقله التنبكتي في نيل الابتهاج (ص: ٣٩٨)، إلا أنه جرى على الألسنة «جزى» بطرح الهمزة، على مذهب أهل الحجاز من تخفيف الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها، كما ذكر ذلك الحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني في تحقيقه لمقدمة الغريب في اللغات لابن جزى، والتي أخرجها في كتاب مستقل باسم «القاموس الوجيز للقرآن العزيز» وطبع في فاس سنة ١٣٤٨هـ.

(٢) انظر في ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٢٠/٣) والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لابن الخطيب أيضا (٤٦)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (٢/٢٧٤)، وأعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر (ص: ١٦٥)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/٨٣)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (٥/٨٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/٨٥)، ودرة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس المكناسي الشهير بابن القاضي (٢/١١٧)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ص: ٣٩٨) ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين المقرئ التلمساني (٥/٥١٤)، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للمقرئ أيضا (٣/١٨٤)، وفهرس الفهارس للكتاني (١/٣٠٦)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف (١/٣٦٠).

أبي بكر عبد الرحمن بن يوسف، ابنُ جُزَيِّ الكلبيُّ الأندلسيُّ الغرناطي، أبو القاسم، يتنسب إلى قبيلة كَلْبِ القُضَاعِيَةِ اليمانية، والكلبيون منهم من دخل الأندلس واليًّا عليها كعنبسة بن سحيم الكلبي الذي دخلها عام ١٠٣هـ، ومنهم من دخلها مجاهدًا فاتحًا، ومن هؤلاء سلف ابن جزي رحمته الله، كما قال ابن الخطيب: «أصل سلفه من ولبة من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي» وكان أبو الخطار قد دخل الأندلس سنة ١٢٥هـ.

وكانت لجده السلطان الأمير أبي بكر عبد الرحمن ابن جزي بجيان رئاسة وانفراد بالتدبير، حيث بويع له فيها سنة (٥٣٩هـ).

★ مولده ونشأته:

ولد ابن جزي يوم الخميس تاسع ربيع الثاني عام (٦٩٣هـ). وقد نشأ في بيت علم وفضل وجلالة وديانة ونباهة، وأسرة ابن جزي من الأسر الرفيعة في غرناطة ومنها تخرج أعلام في الفقه والقضاء والخطابة، وكانت نشأة ابن جزي في طلب العلم منذ وقت مبكر.

★ مكانته العلمية وأخلاقه:

يقول عند تلميذه ابن الخطيب: «كان رحمته الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاقتصاد على الاقتيات من حُرِّ النَّسَب، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيها، حافظًا، قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حافظًا للتفسير، مستوعبًا للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن

المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن، تقدّم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنّه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته».

ويقول عنه ابن الأحمر: «كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، وكان فقيهاً إماماً عالماً بجميع العلوم، محصّلاً، قارب درجة الاجتهاد، ودوّن وصنف في كل فن، وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة».

ويقول تلميذه الحضرمي: «كان رجلاً ذا مروءة كاملة، حافظاً متفتناً، ذا أخلاق فاضلة، وديانة وعفة وطهارة، وشهرته ديناً وعلماً أغنت عن التعريف به».

★ شيوخه:

أخذ العلم عن عدد من علماء عصره وفضلاء بلده، من أشهرهم:

(١) الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن.

(٢) الأستاذ النظّار المتفتّن أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن الشّاط الأنصاري السبتي (ت ٧٢٣هـ)، صاحب كتاب «أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق» للقرافي.

(٣) الأستاذ المقرئ الرّاوية المكثّر أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الكمّاد (ت ٧١٢هـ).

(٤) الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمرو الفهري السبتي، المعروف بابن رُشيد (ت ٧٢١هـ).

٥) عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي الفاسي، قرأ عليه ابن جزي كثيرًا من كتب القراءات وأبعاضًا من الموطأ ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود والشمائل والشفاء، وسراج ابن العربي وتلقين عبد الوهاب وكثيرًا من تأليفه وغيرها.

وأخذ أيضًا عن عدد من علماء عصره وروى عنهم، منهم: الشيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن، والراوية المسنن أبو الوليد الحضرمي، والشيخ الراوية أبو زكريا البرشاني، والراوية الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبو المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبو عبد الله بن برطال، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع، والخطيب الولي أبو عبد الله الطنجالي.

★ تلاميذه:

من تلاميذه أبنائه الثلاثة:

(١) أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي، الأديب الحافظ.

(٢) أبو بكر أحمد بن أبي القاسم ابن جزي، الفقيه المتفنن، تولى الكتابة السلطانية، والقضاء بغرناطة، والخطابة بجامعها (ت ٧٨٥هـ).

(٣) أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن جزي (ت ٧٥٧هـ)، كان بارعًا في النظم والنثر، وهو الذي جمع رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة.

ومن أبرز تلاميذه أيضًا :

(٤) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي ، المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) .

(٥) أبو محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمي ، صاحب «الفهرسة» (ت ٧٤٩هـ) .

(٦) أبو القاسم محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ، المعروف بابن الخشاب (ت ٧٧٤هـ) .

(٧) أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري ، المعروف بالشَّدِيد (٧٧٦هـ) .

★ مصنفاته :

خَلَّفَ المفسِّر ابن جزِّي رَافِدَةً ثروية من الكتب في شتى الفنون ، منها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو في عِدَاد المفقود ، ومن أبرز تلك المؤلفات :

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ، وهو هذا الذي الذي بين يدي القارئ الكريم .

(٢) وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .

(٣) الأنوار السنية في الكلمات السنية .

(٤) الدَّعَوَات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار .

(٥) القوانين الفقهية ، في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية .

(٦) تقريب الوصول إلى علم الأصول .

(٧) التُّور المبين في قواعد عقائد الدين .

(٨) المختصر البارع في قراءة نافع .

(٩) أصول القُرَّاء الستة غير نافع .

(١٠) الفوائد العامة في لحن العامة .

(١١) فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب .

★ شعره :

لابن جزيّ أشعار رائعة مستحسنة ، تدلُّ على ذائقة أدبية رائعة ، منها قوله :

لكل بني الدنيا مراد ومقصد	وإن مرادي صحة وفراغ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغا	يكون به لي للجنان بلاغ
وفي مثل هذا فلينافس أولو النهى	وحسبي من الدنيا الغرور بلاغ
فما الفوز إلا في نعيم مؤبد	به العيش رغد والشراب يساغ

وقوله في مدح النبي ﷺ :

أروم امتداح المصطفى ويردني	قصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر؟	ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب
ولو أن أعضائي غدت ألسنا إذن	لما بلغت في المدح بعض مآربي
ولو أن كل العالمين تألفوا	على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت عنه هيبة وتأدبا
ورب سكوت كان فيه بلاغة
وقوله - مشفقاً من ذنبه - :

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت
وليس لي بعذاب النار من قبل
فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي
وقوله :

وكم من صفحة كالشمس تبدو
غضضت الطرف عن نظري إليها
وقوله :

وقائلة لم هجرت التصابي
عمر زمان الصبا ضائعاً
ولم تدر لذة طيب الهوى
فقلت: أبنى العلم إلا التقى
ومن لم يفده طلاب العلوم
فخير له الجهل من علمه
وسئك في عنفوان الشباب
ولم تله فيه ببيض الكعاب
ولم تزو من سلسيل الرضاب
وهجر المعاصي ووصل المتاب
رجاء الثواب وخوف العقاب
وأنجى له من أليم العذاب

وقوله :

أيا من كفتُ النفس عنه تعفُفاً وفي النفس من شوقي إليه لهيب
ألا إنما صبري كصبرٍ، وإنما على النفس من تقوى الإله رقيب

★ وفاته :

توفي رحمته في معركة طرِيف، وهي واقعة شهيرة وقعت بين المسلمين والنصارى، استشهد فيها عدد من علماء المسلمين، وكانت هذه الواقعة في يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة (٧٤١هـ)، وفُقد فيها ابن جزى وهو يشحذ الناس ويحرّضهم، ويثبّت بصائرهم، وقد نقل صاحب نيل الابتهاج عن الحضرمي في فهرسته نصّاً تاريخياً يتعلّق باللحظات الأخيرة من حياة ابن جزى فيقول : «قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين ابن الحكيم : أنشدني [يعني : ابن جزى] يوم الواقعة من آخر شعره قوله :

قصدي المؤمل في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادة في سبيل الله خالصة تمحو ذنوبي وتنجيني من النار
إن المعاصي رجس لا يطهرها إلا الصوارم من أيمان كُفّار

ثم قال : في اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات، قال الوزير : فقلت له : وجعلت للكفار يميناً؟! فلو كان غيرُ هذا اللفظ موضعه! ، فقال لي : والحطمة في الناس من أيدي الكفار، قال : فكان آخر عهدي به رحمته»^(١).

(١) نيل الابتهاج : (٣٩٨-٣٩٩).

فرحم الله ابن جزري وتقبله في الشهداء، وجزاه عن الإسلام والمسلمين
خير الجزاء، وجمعنا به في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.



المطلب الثاني

التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل^(١)

★ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

اسم هذا الكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»، هكذا صرّح المؤلف رحمته باسمه في مقدمته، فقال: «وسمّيْتُ هذا الكتاب: كتاب التَّسْهِيلِ لعلوم التَّنْزِيلِ».

وأما نسبته إلى مؤلفه فهي ثابتة لا شك فيها، فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب تلميذ ابن جزري أنه شيخه صنّف في التفسير^(٢)، ولم يذكر ابن الخطيب اسم كتابه الذي صنّفه في التفسير، لكننا نجد محمد بن عبد الملك القيسي الغرناطي (ت ٨٣٤هـ) تلميذ ابني ابن جزري -أحمد وعبد الله- صرّح باسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه، ويعتبر هو أول من صرّح بنسبة الكتاب إلى مؤلفه فيما وقفت عليه، حيث يقول في مقدمة كتابه: «منهاج العلماء الأخيار

(١) ينظر في ذلك: كتاب ابن جزري ومنهجه في التفسير، للباحث: علي محمد الزبيري، فهذا الكتاب دراسة مسهلة عن ابن جزري وتفسيره، وهي دراسة عميقة وقوية ورصينة لهذا الكتاب، وتعد من أجود الدراسات التي تكلمت عن ابن جزري ومنهجه -وعن منهج مفسر عموماً-، وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة، عام ١٣٩٨هـ.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٢٠/٣).

في تفسير أحاديث كتاب الأنوار - وهو شرح لكتاب ابن جزري «الأنوار السنية في الألفاظ السنية» - : «من شيوخنا جماعة منهم الشيخ الإمام العلامة بحر البيان وأوحد الزمان، أبو محمد عبد الله بن الإمام المحدث الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزري الكليبي رحمته الله . . وشرعت عليه في قراءة التفسير المسمى بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل، من تأليف السيد والده المذكور»^(١).

ويعتبر هذا النص كافياً في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فهو نص قريب العهد من المؤلف، وإسناده عالٍ؛ إذ هو تلميذ ابني المؤلف.

★ منهج ابن جزري في تفسيره:

ذكر ابن جزري رحمته الله في مقدمة تفسيره شيئاً من منهجه وطريقته في كتابه، حيث يقول: «وصنفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلّق به من العلوم، وسلكتُ به مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدتُ به أربع مقاصد، تتضمّن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفُضولها، ولقد أودعته من كلّ فنٍّ من فنون علوم القرآن الباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير

(١) انظر منهاج العلماء الأخيار (مخطوط) (ل: ٣).

إفراط ولا تفريط، ثم إنني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكرُ نكتٍ عجيبةٍ، وفوائد غريبةٍ، قلَّما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فكري، أو مما أخذته عن شيوخِي (رحمهم الله)، أو مما التقطته من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إمَّا بحلِّ العُقَدِ المقفلات، وإمَّا بحسنِ العبارة، ورفعِ الاحتمالات، وبيانِ المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيقُ أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييزُ الرَّاجح من المرجوح.

وذلك أنَّ أقوال الناس على مراتب:

فمنها: الصحيح الذي يُعوَّل عليه.

ومنها: الباطل الذي لا يُلتفتُ إليه.

ومنها: ما يَحتمل الصحة والفساد، ثم إنَّ هذا الاحتمال قد يكون: متساويًا، أو متفاوتًا، والتفاوت قد يكون: قليلًا أو كثيرًا.

وإني جعلت لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَف بها مرتبةُ كلِّ قول:

فأدناها: ما أصرَّحُ بأنه «خطأ»، أو «باطل».

ثم: ما أقول فيه: إنه «ضعيف»، أو «بعيد».

ثم: ما أقول: «إنَّ غيره أرجحُ منه»، أو «أقوى»، أو «أظهر»، أو «أشهر».

ثم : ما أقدمُ غيره عليه ؛ إشعارًا بترجيح المتقدم ، أو ما أقولُ فيه : « قيل : كذا » ؛ قصدًا للخروج عن عهده .

وأما إذا صرَّحتُ باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين : إما للخروج عن عهده .

وإما لتصرته ، إذا كان قائله ممن يُقتدى به .

على أنني لا أنسبُ الأقوالَ إلى أصحابها إلا قليلًا ، وذلك لقلَّةِ صحة إسنادهما إليهم ، أو لاختلافِ الناقلين في نسبتها إليهم .

وأما إذا ذكرتُ شيئًا دون حكاية قوله عن أحدٍ : فذلك إشارة إلى أنني أنقلُّه وأرتضيه ، سواء كان من تلقاء نفسي ، أو مما أختاره من كلام غيره .

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره ؛ تنزيهاً للكتاب ، وربما ذكرته تحذيرًا منه .

ومن خلال تأمل هذا النص والاطلاع على تفسيره وطريقته فيها ، يمكن ذكر أهم معالم منهج ابن جزى في النقاط التالية :

١- ابتدأ ابن جزى تفسيره بذكر مقدّمتين في غاية النفاسة ، جعل المقدمة الأولى في ذكر مسائل تتعلق بعلوم القرآن وأصول التفسير والعلوم التي يحتاج إليها المفسر ، والكلام عن المفسرين وكتب التفسير ، ومواقف القرآن والقراءات وغير ذلك ، وجعلها في اثني عشر بابًا ، وجعل المقدمة الثانية في غريب القرآن ، وذكر فيها الكلمات الغريبة التي ترد في موضعين

فأكثر من القرآن، فجمّعها في موضع واحد، ورتبها على حروف المعجم؛ ليسهل على الدارس مراجعتها وحفظها واستذكارها، وهاتان المقدمتان لا بد للدارس لهذا الكتاب أن يدمن النظر فيها وأن يراجعها مرة بعد أخرى؛ فكثيراً ما يحيل إليها ابن جزي في تفسيره، أو يستغني بما ذكره فيها من المسائل عن تكرار ذكره في ثانيا كتابه.

٢- سلك ابن جزي رحمته الله في تفسيره مسلك الاختصار والإيجاز مع الشمول والاستيعاب كما قال: «إذ جعلته وجيزاً جامعاً»، وهذا المقصد جعل ابن جزي يأتي بالعبارة المفردة في الاختصار، ولكنها عميقة في معناها إذا تأملها القارئ كما قال: «ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار».

٣- طريقته في تفسير الآية: أنه يذكر رأس الآية، أو الجملة التي تحتاج إلى بيان في الآية ثم يذكر سبب نزولها إن كان، ويشرح غريبها، وتصاريف الكلمات التي فيها إن اقتضت الحاجة ذكرها، ويبين إعرابها إن كان إعرابها مشكلاً، أو كان فيها أوجه إعرابية، ويذكر المعنى على كل وجه إعرابي، ويذكر المعنى الإجمالي للآية، ومقصدها، وهو لا يسير في ذلك على ترتيب واحد في تفسيره للآيات، فأحياناً يبدأ بشرح الغريب، ثم ذكر الإعراب، ثم ذكر المعنى الإجمالي، ثم ذكر المقصد، وأحياناً يذكر المعنى الإجمالي ثم الإعراب، ثم يشرح الغريب، وأحياناً يبدأ بذكر سبب النزول وأحياناً يؤخره، وهكذا.

٤ - عملاً بمنهج الاختصار الذي أخذه ابن جزي على نفسه ؛ فإن كانت الكلمة الغريبة الواردة في الآية سبق أن شَرَحَها في المقدمة أو في موضع متقدم من التفسير فإنه يكتفي بذلك عن إعادة بيانها ، وربما أحال إلى موضعها ، بأن يقول : «قد تقدّم اللغات» ، أو «قد ذكر في سورة كذا» ، أو «قد ذكر» أو نحو ذلك ؛ حرصاً منه على الاختصار وعدم التكرار ، وهكذا يصنع إن كان سبق أن بيّن تفسير الآية ومعناها في موضع متقدم ، وأيضاً ؛ إذا كان إعراب الآية واضحاً لم يتعرض له ؛ طلباً للاختصار ، كما قال في المقدمة : «وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه ؛ من المشكل ، أو المختلف فيه ، أو ما يفيد فهم المعنى ، أو يختلف المعنى باختلافه ، ولم نتعرّض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ ؛ فإن ذلك تطويلٌ بغير كبير فائدة» ، ومن هنا يلحظ القارئ لتفسيره أنه قد يتجاوز الآية والآيتين دون أن يتكلم عن تفسيرها ، إما لأن واضحة الإعراب والمعنى وليس فيها غريب يحتاج إلى شرح ، وإما لأنه سبق أن تكلم عن الغريب الذي فيها في المقدمة ، أو في موضع متقدم من التفسير ، وهذا يستدعي الدارس لتفسيره إلى أن يعتني بمقدمة ابن جزي في غريب القرآن وأن يعيد مطالعتها وقراءتها بشكل مستمر ؛ فابن جزي يعتمد عليها ويحيل عليها كثيراً في ثنايا تفسيره ، وبناءً على منهج الاختصار أيضاً ؛ ففي كثير من الأحيان إذا كان تفسير الآية المعيّنة له نظائر فيما يأتي من الآيات ، فإنه يبين المعنى في أول موضع ويقول : «وهكذا تفسيره حيث وقع» أو نحو هذه العبارة ؛ أي : هكذا تفسير هذه الكلمة أو الجملة حيث وقعت في كتاب الله .

٥ - في ذكر أقوال المفسرين والاختلاف في تفسير الآية، يُعدُّ تفسير ابن جزّيٍّ من أنقى التفاسير وأكثرها خلوّاً من الأقوال الباطلة والساقطة التي تذكر في كثير من كتب التفسير، وقد ذكر في مقدمة كتابه أن من مقاصده في هذا التفسير: تحقيق أقوال المفسرين والتمييز بين الصحيح منها والسقيم، وذكر منهجه في ذكر الأقوال في هذا الكتاب، وذكر أن القول إذا كان في غاية السقوط والبطلان؛ فإنه نزه الكتاب عن ذكره فيه، وقد يذكره أحياناً؛ لأن الحاجة تدعو إلى التنبيه على بطلانه، وقد بين طريقته في ذكر مراتب الأقوال، وطرق الترجيح بينها، ومن المهم لدراس الكتاب أن يستحضر منهجيته في ذكر الأقوال؛ حتى يعرف مغزى ابن جزّي في سردها وترتيبها، وفي نسبة الأقوال من عدمها، وعبارته في الترجيح بينها، وما القول الذي يختاره ويرتضيه.

٦ - آيات الأحكام يقف عندها ابن جزّي؛ ليذكر الأحكام الفقهية التي لها تعلق بالآية، ويذكر خلاف المذاهب فيها، وفي الغالب أنه يذكر مذهب المالكية ومذهبي الحنفية والشافعية، ولم يذكر مذهب الحنابلة إلا نادراً، وهي أربعة مواضع تقريباً، وكذلك مذهب الظاهرية يندر أن يذكره.

٧ - بنى ابن جزّي تفسيره للآيات على قراءة نافع، برواية راويه ورش تحديداً؛ وهي الرواية المشتهرة في بلاد المغرب والأندلس، ومع ذلك فإنه لم يقتصر على هذه القراءة، بل إنه يذكر اختلاف القراءات؛ إذا كان في ذكرها فائدة في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورة في الكتب

المؤلفة فيها ، وقد صَنَّفْنَا فيها كتبًا نفع الله بها ، وأيضًا ؛ فإننا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه ضرورة» .

٨ - في جانب قصص القرآن ، حرص ابن جزّي أن يكون تفسيره نقيًا من القصص الباطل وغير الثابت ، فاقصر على ذكر ما صحَّ ثبوته واحتج إليه في تفسير الآية ، كما قال في المقدمة : «وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح ، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصيرٌ بمنصب الأنبياء ﷺ ، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه ، وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه ، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح» .

٩ - تعرّض ابن جزّي في تفسيره إلى مقامات السلوك والسير إلى الله تعالى والدار الآخرة ، وله في ذلك كلام جيد حرص أن يخلصه من إشكالات المتصوفة كما قال : «وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسن من الإشارات الصوفية ، دون ما يُعترض أو يُقدح فيه» ، وإن كان قد وقع في إشكالات المتصوفة في بعض المواضع ، وعلّق عليها الشيخ عبد الرحمن البراك - أمتع الله به - ، وقد تكلم ابن جزّي على اثني عشر مقامًا ؛ بحسب المناسبة التي تعرض له ، فإذا كانت الآية في شأن الذكر تكلم عن مقام الذكر ، وإذا كانت في شأن الشكر تكلم عن مقام الشكر وهكذا .

١٠ - يعتني ابن جزّي في تفسيره بعلم البلاغة والبيان ، وقد أفرد في المقدمة الأولى بابًا مستقلًا في أدوات البيان التي وردت في القرآن وهي اثنان وعشرون نوعًا بحسب تتبعه لها في القرآن ، وعرف بها ابن جزّي في المقدمة ،

وفي ثنايا التفسير يشير لها، فيقول مثلاً: «وفي الآية من أدوات البيان: التجنيس»، أو «المقابلة»، أو «التقسيم»، أو «الترديد» ونحو ذلك، فيحتاج الدارس إلى أن يرجع للمقدمة؛ ليعرف معنى هذه الأداة.

١١- يلحظ الدارس لتفسير ابن جزى أن المصنف رحمته الله أجاد في توظيف مختلف فنون العلوم في تفسيره، من لغة ونحو وتصريف وبلاغة وأصول فقه وغيرها، فيعدُّ هذا الكتاب بمثابة كتاب تطبيقي يطبَّق فيه الدارس هذه العلوم، وهذا يستدعي من الطالب أن يكون ذا إمام جيّد بهذه العلوم؛ حتى يحصل فائدة أكبر من هذا التفسير المبارك.

١٢- يستعمل ابن جزى في تفسيره طريقة السؤال والجواب، ويعرض الإشكالات المتعلقة بالآية في طريقة سؤال، فيقول: «فإن قيل:» ويذكر الإشكال، ثم يذكر جواب الإشكال، وهذه الطريقة تأثر فيها ابن جزى بالزمخشري في تفسيره، فكثيراً ما يستعمل الزمخشري هذه الطريقة في عرض الإشكالات، وهي طريقة مفيدة في إيضاح الإشكال في الآية، وفي ترسيخ الجواب في ذهن الدارس، فإن المعلومة إذا عُرِضت بطريقة سؤال تشوّف المرء إلى معرفة جوابها أكثر مما لو ذكرت عرضاً في ثنايا الكلام.

★ مصادر ابن جزى في تفسيره :

استمدَّ ابن جزى تفسيره من عدد من المصادر من كتب التفسير وغيره، وأبرز المصادر التي ظهر لي اعتماد ابن جزى عليها في تفسيره ما يلي :

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ).

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ).

ويعدُّ هذان التفسيران أهم مرجعين لابن جزّي في تفسيره، فقد استمدَّ منهما جُلَّ مادته في تفسيره، ووضع في كتابه زبدة ما في هذين الكتابين، وتأثر بهما تأثراً كبيراً في ترجيح الأقوال وتوجيه الإعراب ونحو ذلك، فكأنَّ هذين التفسيرين كانا ملازمين لابن جزّي لا يفارقانه أثناء كتابته لتفسيره، ومن المهم لدارس هذا الكتاب أن يكون هذان التفسيران بجانبه؛ يراجعهما كلما أشكل عليه شيء من عبارات ابن جزّي.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٣٧هـ)، نقل عنه ابن جزّي في بعض المواضع، ويظهر لي أنه نقل عنه بواسطة المحرر الوجيز، ولم تكن لديه نسخة منه.

(٥) التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ).

(٦) تفسير النكت والعيون، للقاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ).

(٧) عين المعاني في تفسير السبع المثاني، لأبي عبد الله أو أبي الفضل محمد بن أبي يزيد طيفور السّجاوندي الغزنوي (ت ٥٦٠هـ).

(٨) أحكام القرآن، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم الأندلسي الغرناطي، المعروف بابن الفرس (ت ٥٩٧هـ).

وهذا الكتاب يعتبر المصدر الأساسي لابن جزى في كلامه عن آيات الأحكام، ويعتمد عليه كثيرًا في عزو الأقوال إلى أصحابها.

(٩) أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ).

(١٠) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لشيخ المصنف أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، ويعتمد عليه ابن جزى كثيرًا في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

(١١) درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، وهو كتاب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

(١٢) التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لأبي القاسم أو أبي زيد، عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ)، وهذا الكتاب يرجع إليه ابن جزى كثيرًا في تسمية الأعلام الواردة في القرآن.

(١٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الحميري (ت ٦٣٤هـ)، يعتمد عليه ابن جزى في ذكر أخبار مغازي النبي ﷺ.

(١٤) المقدمات الممهدة في الفقه، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ابن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ).

- (١٥) الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، للسهيلي.
- (١٦) شرح تنقيح الفصول في علم الأصول، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ).
- (١٧) مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).
- (١٨) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب.
- ويظهر لي أنه كان ينقل من هذين الكتابين بواسطة المحرر الوجيز لابن عطية.
- (١٩) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني (٤٧٨هـ)، ويظهر لي أنه كان ينقل منه بواسطة المحرر الوجيز.
- ومن مصادر ابن جزري في تفسيره: كتاب للقاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥هـ)، فقد أورد ابنُ جزريَّ آراءَ القاضي منذر في غير موضع من تفسيره، وقد ذكر في المقدمة أن منذر بن سعيد صنّف كتابًا في غريب القرآن وتفسيره، وذكر الحميدي (ت ٤٨٨) في «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» أثناء ترجمته للقاضي منذر بن سعيد أن له كتابًا اسمه «الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله»^(١)، ولا أدري إن كان هذا هو الكتاب الذي أشار إليه ابن جزري أم غيره؟ وقد بحثت عن هذا الكتاب كثيرًا في فهارس المخطوطات فلم أقف على ذكر له، فيبدو أن في عداد المفقود من تراث الأمة!

(١) جذوة المقتبس (ص: ٣٤٨).

★ طبعات الكتاب السابقة :

- أول طبعة لكتاب التسهيل خرج بها من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات : طُبِعَت في مصر عام ١٣٥٥ هـ في أربعة مجلدات ، وُكُتِبَ على غلافها : «عُني بمقابلتها على عدّة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية وصحّحها نخبة من العلماء» .

وهذه الطبعة مشحونة جدًا بالتحريفات والتصحيفات ، وفيها من السقط الشيء الكثير والكثير ، ويظهر لي أن السبب في ذلك هو المخطوطات التي اعتمدها ، فلديّ بعض المخطوطات من دار الكتب المصرية ومن المكتبة الأزهرية كُتِبَتْ بالخط المشرقي المعتاد ، وقد قارنتُ بين هذه المخطوطات وبين هذه الطبعة فوجدت توافقًا كبيرًا بينهما في السقط والتحريف ؛ فلعلّ هذا هو مبدأ الخلل ، فكتاب التسهيل هو من كتب الأندلسيين ، ولا ريب أنه كُتِبَ في مخطوطاته العتيقة على وفق قواعد الخط المغربي والأندلسي ، وهذا الخط يصعب على المشاركة قراءته ، وتلتبس حروفه كثيرًا ، فمن طريقة المغاربة مثلاً أنهم يكتبون حرف الفاء بوضع نقطة في أسفل الحرف ، وحرف القاف بوضع نقطة في أعلى الحرف ، فيحصل من جرّاء ذلك التباس كبير عند المشاركة ، وهكذا الالتباس بين حرفي الدال والراء والهاء في آخر الكلمة ، وبين السين والشين والياء . . إلخ ، فلعلّ ناسخ المخطوطة عندما رام كتابتها بقواعد الخط المشرقي اعتمد على مخطوطات الكتاب المغربية فالتبس عليه كثيرٌ من حروفها ؛ بسبب اختلاف هذه القواعد ، وأيضًا حصل له سقط كبير فيها ، ثم جاء المعتنون بهذه الطبعة ، وعوّلوا على هذه المخطوطات المشرقية ، فحصل فيها هذا السقط والتحريف الكثير .

ثم توالى طبعات التسهيل بعد ذلك، فطُبع عدة طبعات، والحقيقة أن هذه الطبعات في غاية الرداءة، ويظهر أنها إعادة لصفّ طبعة ١٣٥٥ هـ ليس إلا، فتجد فيها عين السقط والتحريف الذي كان في هذه الطبعة، إن لم يكن أكثر، ولا أرى حاجة للوقوف عندها.

ثم طبع التسهيل في السنوات القريبة، ثلاث طبعات أتحدث عنها فيما يلي:

١- طبعة دار الضياء - عام ١٤٣٠ هـ:

هذه الطبعة بتحقيق: أ. د: محمد بن سيدي محمد مولاي، وتقع هذه الطبعة في ثلاثة مجلدات، الأول إلى نهاية الأنفال، والثاني إلى نهاية الصافات، والثالث إلى آخر القرآن، وبالمقارنة بين هذه الطبعة والطبعات السابقة للكتاب؛ فقد تجاوزت هذه الطبعة مواضع من السقط والتحريف التي كانت في الطبعات السابقة، إلا أنه بقي من السقط والتحريف الشيء الكثير والكثير؛ حيث يصعب على الدارس للكتاب اعتماد هذه الطبعة؛ لما يستغلّق عليه بعض مواضعها، وقد قابلت هذه الطبعة على النسخ الخطية التي لديّ كلمة كلمة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاتها من سقط أو تحريف!، وقد يصل السقط فيها إلى سطرين وأكثر، فمثلاً: جاء في هذه الطبعة (٢٠٠/١): هذا النصّ:

«ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرُهُمْ»: أي: أذهب وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرُهُمْ﴾ جملة مستأنفة.

فهذا النص فيه شيء من الغموض، وهو غير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت النص هكذا :

﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَبُورِهِمْ﴾ : أي : أذهب وهذه الجملة جواب لما ، [فالضمير في (بنورهم) عائد على (الذي) ، وهو على هذا بمعنى : الذين ، وحذف النون منه لغة . وقيل : جواب لما] محذوف تقديره : طفيت النار ، [و] ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَبُورِهِمْ﴾ جملة مستأنفة . فما بين المعقوفتين ساقط من هذه الطبعة ! .

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ ، جاء في هذه الطبعة هذا النص (١ / ٣٤١) : ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ : تقديره : كمثّل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذي ينفقون ! .

فهذا كلام غامض وغير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت العبارة هكذا :

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ : تقديره : كمثّل صاحب جنة ، أو يقدر أولاً : مثل نفقة الذين ينفقون .

ومثل هذا كثير في هذه الطبعة .

٢- طبعة دار الضياء - عام ١٤٣٤هـ :

أعيد طبع هذا الكتاب في هذه الدار عام ١٤٣٤هـ في أربعة مجلدات ، الأول إلى نهاية سورة الأنعام ، والثاني إلى نهاية سورة الأنبياء ، والثالث إلى نهاية سورة محمد ، والرابع إلى آخر القرآن ، وقد استعرضت هذه الطبعة وقارنت بينها وبين طبعة الدار عام ١٤٣٠هـ وبين التصويبات التي صوبتها من

المخطوطات، فأما المجلد الأول من هذه الطبعة والذي ينتهي إلى آخر سورة الأنعام، فقد أعادوا مراجعته، وتجاوزوا الكثير من السقط والتحريف الذي كان في الطبعة الأولى، ومع ذلك فقد بقي أيضًا الكثير من السقط والتحريف لم يُصلح!، فعلى سبيل المثال: نموذج السقط - وهو النموذج الأول الذي أوردته في الطبعة الأولى - تكرر في هذه الطبعة ولم يُصلح!، والنموذج الثاني للتحريف أُصلح إصلاحًا جزئيًا.

وأما المجلدات الثلاثة المتبقية من هذه الطبعة فلم يصلحوا شيئًا مما فيها من الأخطاء والسقط، بل السقط والتحريف الذي كان موجودًا في الطبعة الأولى موجودٌ كما هو في هذه الطبعة!

وأكتفي بهذا في الكلام عن هاتين الطبعتين.

٣- طبعة المنتدى الإسلامي بالشارقة - ١٤٣٣هـ:

وهذه الطبعة بعناية: أبي بكر بن عبد الله سعداوي، وتقع في مجلد ضخيم يقع في (١٠٢٣) صفحة، وقد اعتمد فيها على خمس نسخ خطية، وبعض هذه النسخ موجود لديّ، وهذه الطبعة يظهر فيها جهد المعني بها وأنه قابل على المخطوطات مقابلة حقيقية، وقد تجاوز الكثير من الأخطاء التي كانت في النسخ قبله، فلا تكاد تجد فيها السقط الذي كان يوجد في الطبعات السابقة، وأما التحريفات والتصحيفات فقد قلّت في هذه الطبعة، وإن كان قد بقي فيها شيء من التصحيف فمن خلال مقارنتي بين هذه الطبعة وبين الطبعات السابقة والمخطوطات وقفت على عدد من التصحيفات لبعض الكلمات، ولكنها قليلة مقارنة بالطبعات السابقة، بل بينها وبين الطبعات

السابقة مفاوز!، وأيضًا؛ يعيب هذه الطبعة -إضافة إلى وجود التصحيقات- بعض الأمور الفنية والشكلية، مثل عدم الاعتناء بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، من بيان غريب أو إيضاح مشكل، وعدم شُكْل ما يُشكّل من الكلمات وضبطه بالحركات، وكذلك أهمل الإحالات، وأيضًا؛ من ناحية الإخراج فإن الكلام فيها مرصوص بطريقة تتعب القارئ؛ إضافة إلى دقة الخط.

★ وصف النسخ الخطية المعتمدة:

تيسر لي الحصول -بتوفيق الله تعالى- على خمس عشرة نسخة خطية لكتاب التسهيل، تتفاوت في الجودة، وفي النقص والتمام، انتخبت منها خمس نسخٍ خطية، هي أجود ما وقفت عليه من نسخ هذا الكتاب، وبعضها قريب العهد من زمن المصنف، فاعتمدتها في التحقيق، واستأنست بنسختين أخريين، وجميع هذه النسخ السبع كُتبت بالخط المغربي الأندلسي، وهي أسلم من التحريف وأبعد من السقط؛ مقارنة بالنسخ التي كتبت بالخط المشرقي المعتاد، وفيما يلي وصف هذه النسخ السبع:

النسخة الأولى: نسخة مكتبة تشستر بيتي:

وتوجد مصورتها في قسم المخطوطات في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

رقمها: (٤٠٥٩)، وتقع في (٢٤٧) ورقة، وفي كل صفحة (٣١) سطرًا.

وكتبت بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، سوى أنه سقط من المصورة ورقة أو ورقتان، كما سيأتي بيانه في موضعه، وعلى

هوامش بعض صفحاتها تصويبات وذكر فروقات نسخ أخرى (رمز لها بالحرف «خ») واستدراك سقط، وتوجد بها تعليقات يسيرة، ولم تخلُ من سقط كلمات في بعض المواضع، ويندر أنه يوجد فيها تصحيف.

وفُرج من كتابة هذه النسخة في شهر ذي الحجة من عام (٩٥٦هـ) على يد كاتبها سالم بن أحمد بن منصور^(١)، وهي أقرب النسخ -التي وقفت عليها- إلى عصر المؤلف.

وعلى الصفحة الأولى منها قيد تملك باسم عبد ربه محمد في (٢٧) رمضان ١٣٣٩هـ.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «أ».

النسخة الثانية: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (٧٥١٣)، وتقع في (٢٠٥) ورقة، وفي كل صفحة (٣٥) سطرًا.

وهذه النسخة بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، وعليها نقولات وتعليقات وحواشٍ كثيرة، لا تكاد تخلو منها ورقة من أوراقها، وأغلب هذه التعليقات مأخوذ من تفسير «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لأبي العباس ابن عجيبة المغربي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، ويوجد بها أيضًا مقابلات على أصول خطية أخرى واستدراك سقط في بعض المواطن من النسخة دون بعضها، بيد أنه لم تسلم بعض الكلمات من

(١) لم يتضح لي اللقب.

التصحيف، ولم تخلُ من سقط كلمة أو كلمات أو أسطر في بعض المواضع. وأما تاريخ النسخة: فهو سنة (٩٧٦هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «وكان الفراغ من هذه النسخة في ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر سنة ست وسبعين وتسع مئة على يد العبد المذنب الراجي عفوَ ربه ورُحماء أحمد بن عبد الله بن أحمد القيسي . . .».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ب».

النسخة الثالثة: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (١١٤٨٠)، وتقع في (٢٤٣) ورقة، في كل صفحة (٣٤) سطراً.

وكتبت بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وهي تامة غير أنه سقط منها ورقات يسيرة يأتي التنبيه لها في مواضعها بإذن الله، ولست أدري هل السقط من التصوير أم من أصل النسخة؟، وهذه النسخة بها مقابلات على أصول خطية أخرى واستدراك سقط في بعض مواطنها، ويوجد بها تصحيف قليل، وسقط يصل إلى عدة أسطر.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (٩٨٠هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «وكان الفراغ منه عند زوال يوم الأحد خامس المحرم الحرام، فاتح ثمانين وتسع مئة، على يد العبد الراجي عفوَ مولاه أبو محمد عبد الله بن مسعود بن عبد الرحمن بن علي الملقب بـ[. . .]»^(١) غفر الله له ولوالديه ولجميع

(١) لم أتمكن من قراءته.

المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على من لا نبي بعده، وهذه النسخة التاسعة مما نسخنا بأيدينا، والحمد لله على كل حال، آمين آمين آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ج».

النسخة الرابعة: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٠٧٧١)، وتقع في (١٨٢) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

وهي بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وتمتاز بأنها مشكولة بالكامل، وهي نسخة تامة، ويوجد بها تصويبات كثيرة واستدراك للسقط على حواشيها، ويقلُّ السقط في هذه النسخة مقارنة بالنسخ الأخرى، إلا أنه يوجد بها تصحيف وتحريف لبعض الكلمات.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٢٤١هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «كمل بعون الله وحمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبد، والرضا عن آله وأصحابه، وأنصاره وأحزابه، على يد كاتبه لنفسه، ثم لمن شاء الله من بعده، العبد الراجي عفو مولاه، المستغني به عن كل ما سواه، وهو محمد بن عمر [..]»^(١) لطف الله به آمين، بعد صلاة العصر يوم الأربعاء العاشر من شهر الله صفر الخير عام ١٢٤١ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه وأحبابه

(١) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «د».

النسخة الخامسة: نسخة جامعة الملك سعود بالرياض:

وهي محفوظة في قسم المخطوطات برقم (٥٣٤٧)، وتقع في (١٧٩) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

كتبت بالخط المغربي، وخطها واضح، وهي نسخة تامة، وبها تصويبات واستدراك للسقط على حواشيها، وخاتمة النسخة بها طمس، ويظهر أنه من آثار الترميم، فلم تتبين سوى كلمتي: «كمل كتاب...».

وأما تاريخ النسخة واسم ناسخها، فليس مبينًا عليها، ولعله طمس عليه أيضًا في آخر النسخة من آثار الترميم، إلا أن فهرس المكتبة ذكر في بيانات المخطوطة أنها كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرًا.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «هـ».

وأما النسختان اللتان استأنست بهما في المقابلة وترجيح الفروق بين النسخ، فوصفهما فيما يلي:

النسخة الأولى: نسخة خزانة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب:

وهي محفوظة في الخزانة برقم (٢٤)، وتقع في (٤٠٦) ورقة في مجلدين، في كل صفحة (٣١) سطرًا.

وهي نسخة مكتوبة بالخط المغربي المقروء الواضح، ويقل فيها التحريف والسقط.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٩هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه :
 «كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل،
 وبمنه وكرمه وبفضله وإحسانه على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه الضعيف
 الحقير الذليل المنكسر خاطره عُييد الله تعالى وأصغر عييد المحتاج إليه
 عبد القادر بن عبد المولى بن علي بن سعيد بن إبراهيم المطيري ثم
 التمجري، غفر الله له ولوالديه ولأجداده ولمن علّمه ولجميع المسلمين
 والمسلمات الأحياء منهم والميتين . . . وقد كتبه للفقهاء الأجل العالم الأفضل
 المدرس البركة السيد أحمد بن عبد الله [. . .]^(١)، أحمد الله رأيه وأدام
 عزّه عليه ونفعه بهذا الكتاب . . . وكان الفراغ منه يوم الأربعاء، وهو يوم عيد
 الفطر عام تسعة وثمانين وألف، وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين
 والحمد لله رب العالمين».

النسخة الثانية: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٢٨٠٢)، وتقع في (٢٥٣) ورقة، في كل صفحة (٣٧) سطرًا.

وهي مكتوبة بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وعلى هامشها تصويبات في بعض الصفحات، وهي قليلة السقط والتحريف، وفي بعض

(١) لم يتضح لي الاسم.

صفحاتها حواشٍ وتعليقات ولكن ليست بالكثيرة.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٤هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «[. . .] ^(١) التفسير المبارك المسمى التسهيل لعلوم التنزيل بن جزى رحمته بحمد الله تعالى وحسن عونه وتأيده على يد العبد المذنب الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن أحمد بن سعيد الوسكري غفر الله له ولأسلافه، وكان الفراغ من نسخه [. . .] ^(٢) في سنة أربع وثمانين ومئة وألف، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

★ عملي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل:

(١) قابلت بين النسخ الخطية الخمس التي اعتمدتها كلمة كلمة، ولم أعتمد نسخة منها أصلاً، وإنما رجّحت من فروقات النسخ ما رأيته أرجح، وأثبت باقي الفروقات في الهامش، وقد استأنست في ترجيح الفروقات بالنسختين الخطيتين الأخيرين، إضافة إلى المصادر التي يستمد منها ابن جزى تفسيره، وبالأخص المحرر الوجيز والكشاف، وكذلك ما يقتضيه السياق وقواعد اللغة، وكان جُلُّ همّي أن أخرج نص التسهيل سليماً - حسب الاستطاعة - من التصحيف والتحريف، فهذا هو غاية التحقيق الحقيقية، كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون: «مع أن العناية بأداء النص أقرب ما يكون إلى السلامة هي المهمة الأولى لمحققي الكتب وناشريها، أما التعليق والتفسير أمرٌ نافله زائدٌ على طبيعة التحقيق وأمانة الأداء» ^(٣).

(١) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

(٢) كلمات لم أتمكن من قراءتها؛ بسبب المداد التي جاء عليها.

(٣) مجلة معهد المخطوطات (١٨٨/٢).

(٢) جعلت رسم الآيات التي يفسرها ابن جزّيّ وفق قراءة ورش عن نافع .
 (٣) طريقة ابن جزّيّ أنه يذكر رأس الآية أو الكلمة التي تحتاج إلى تفسير في الآية ويفسرها ، ولا يذكر مقاطع الآيات التي يروم تفسيرها ، ولم يكتب جميع آيات القرآن في تفسيره ، فأضفتُ مقاطع الآيات بين معقوفتين هكذا [] ، وقد اعتمدت في تقسيم مقاطع الآيات - غالباً - على وقوف الركوعات المعلّمة بعلامة (ع) في المصحف الأوردو الذي طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، والمصحف الكويتي ، فهذه الركوعات تراعي المعنى في الغالب ، وكل موقف منها بمثابة مقطع مناسب للركوع عنده ، والغرض من إضافة هذه المقاطع التسهيل على الطالب إذا أراد قراءة الآيات كاملة قبل قراءة تفسيرها ، وأيضاً ؛ فإنها تفيد الدارس للكتاب الذي يريد أن يجعل له ورّداً معيّناً من الكتاب ليدرسه ؛ فكل مقطع يعتبر بمثابة ورد مستقل للدراسة .

(٤) أدرجت تقارير فضيلة الشيخ العلامة : عبد الرحمن بن ناصر البراك - أمتع الله - ، على المواضع المشكّلة في العقيدة والسلوك ، وإذا تكرر الإشكال في الكتاب أحلت إلى الموضع السابق للتعليق ، وصنعت لهذه التعليقات فهرساً في آخر الكتاب ؛ ليسهل على مريدها الوصول إليها .

(٥) خرّجت الأحاديث التي أوردتها المؤلف في كتابه تخريجاً مختصراً .

(٦) أحلت على المصادر التي ينقل منها ابن جزّي ؛ فيما أمكن الرجوع إليه .

(٧) علقت على ما أرى أنه يحتاج إلى تعليق ، من شرح غريب ، أو حلّ مستغلق ، أو إيضاح مشكل .

٨) في المقدمة الثانية التي وضعها ابن جزّي رحمته الله في غريب القرآن، رَقَّمت مواد الغريب التي شرحها ابن جزّي ترقيمًا متسلسلاً، وقد بلغت (٦٠٢) مادة، والغرض من ذلك سهولة الإحالة عليها إذا أحال ابن جزّي في أثناء تفسيره إليها، فقد يذكر ابن جزّي الكلمة في أثناء تفسيره ويقول: تقدّم بيانها في اللغات، فأحيل إليها في الحاشية بذكر رقم المادة، وأيضًا؛ ففيها تسهيل للطالب الذي يرغب في حفظ غريب ابن جزّي بحيث يجعل له وردًا من المواد كل يوم ونحو ذلك.



★ نماذج من صور النسخ الخطية المعتمدة:

صورة اللوحة الأولى من نسخة (أ)



صورة اللوحة الأولى من نسخة (ب)



[illegible]

صورة اللوحة الأولى من نسخة (هـ)



صورة اللوحة الأولى من نسخة خزانة جامع القرويين

الفصول العشر في الوفاء بملك الملوك وملك الرب هو الذي أمر على صهيون
 الصلوات. عز وجل في الآيات الأربع. وأودع من الطلوع الفاتحة. والبراهين
 الفاطمية. والآثار النبوية. غلبة الحق. وحسن الظن. وحسنه من
 الغضب والعلية. والظلال العنيفة. والفرقان العلية. والآثار النبوية العجائب
 بكل عجب. وجعله في العتبة العليا. الإنسان حتى لا ينسى العجائب
 وأمر في عباد الرب. ما تقتضيه من المصاحبة والملازمة. ولا
 عز وجل في الآيات الأربع. ويقتضيه من المصاحبة والملازمة. ولا
 يعجز عن عظم على الحق. وقوله لا حجاب. وجعله في الآيات الأربع. وحمل
 عز وجل في الآيات الأربع. ويقتضيه من المصاحبة والملازمة. ولا
 يعجز عن عظم على الحق. وقوله لا حجاب. وجعله في الآيات الأربع. وحمل
 عز وجل في الآيات الأربع. ويقتضيه من المصاحبة والملازمة. ولا
 يعجز عن عظم على الحق. وقوله لا حجاب. وجعله في الآيات الأربع. وحمل

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم
موسى عليه السلام في القلعة التي فيها
الجنة والجنات

کثیر من العلم

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

محققاً

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عُبيد الله تعالى، وَخَدِّيمُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، مُحَمَّدٌ الْمَدْعُوُّ أَبَا الْقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جُرْزِيِّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، وَغَفَرَ لَهُ بِمَنْنِهِ وَفَضْلِهِ:

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك وربّ الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هَدَى وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ.

وَأَوْدَعَهُ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْبِرَاهِمِينَ الْقَاطِعَةِ، وَالْأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ: غَايَةَ الْحِكْمَةِ وَفَضْلَ الْخُطَابِ.

وخصّه^(١) من الخصائص العلية، واللطائف الخفية، والدلائل الجلية، والأسرار الربانية العجائب: بكل عَجَبٍ عَجَابٍ.

وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنس^(٢) والجان، واعترف زعماء أرباب اللسان بما تضمّنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب.

(١) في ب، هـ: «وخصه».

(٢) في أ: «الإنسان»، وفي الهامش: «خ: الإنس».

ويسر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغير، ولا يتغير على طول الدهور وتوالي الأحقاب.

وجعله قولاً فصلاً، وحكماً عدلاً، وآيةً باديةً، ومعجزةً باقيةً، يُشاهدها مَنْ شهد^(١) الوحي ومن غاب، وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب، والحجة على الكافر المرتاب.

وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام، وبين من الحلال والحرام، وعلم من شرائع^(٢) الإسلام، وصرف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر والبشارة بالثواب، والنذارة بالعقاب.

وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده، وأورثهم الجنة وحسن المآب.

فسبحان المولى الكريم الذي خصنا بكتابه، وشرّفنا بخطابه، فيا لها^(٣) نعمة^(٤) سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله القيام بواجب شكرها، وتوفية حقّها، ومعرفة قدرها، وما توفيقى إلا بالله، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب.

وصلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته وإكرامه على مَنْ دلّنا على الله، وبلغنا رسالة الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم،

(١) في ب: «يشاهدها من شهد»، وفي د، هـ: «يشاهدها من شاهد».

(٢) في ب، ج، هـ: «شعائر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».

(٣) في ب، ج، هـ: «فيا له».

(٤) في أ: «من نعمة».

وجاهد في الله حقَّ الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، وعَلَّمَ ونصَح، وبيَّن وأوضَح، حتى قامت الحجَّة، ولاخت المحجَّة، وتبيَّن الرشد من الغيِّ، وظهر طريقُ الحقِّ والصواب، وانقشعت ظلمات الشكِّ^(١) والارتباب، ذلك سيدُّنا ومولانا محمدُ النبيُّ الأميُّ القرشيُّ الهاشميُّ المختارُ من لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيَّده الله بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العُصاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائدَ الغرِّ المحجلِّين والوجوه الناضرة، فهو أوَّلُ مَنْ يَشْفَع يوم الحساب، وأولُ مَنْ يدخل الجنة ويقرع الباب.

فصلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين^(٢)، خير أهل وأكرم أصحاب، صلاةً زاكيةً ناميةً^(٣) لا يحضُرُ مقدارها العدُّ والحساب، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها السنةُ البلغاء، ولا أقلامُ الكتَّاب.

أمَّا بعدُ: فإنَّ علمَ القرآن العظيم هو أرفعُ العلوم قدرًا، وأجلُّها خطرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا، وإنَّ الله أنعمَ عليَّ بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلُّمه وتعليمه، وشغفني بتفهّم معانيه وتحصيل علومه، فاطلعتُ على ما صنّفه العلماء رحمهم الله في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف:

فمنهم من آثر الاختصار.

(١) في هامش أ: «خ: الشرك».

(٢) في د: «الأكملين».

(٣) في د: «تامة».

ومنهم مَنْ طَوَّلَ حتى كَثُرَ^(١) الأسفار.

ومنهم من تَكَلَّمَ في بعض فنون العلم دون بعض.

ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس.

ومنهم من عَوَّلَ على النظر والتحقيق والتدقيق.

وكلُّ واحدٍ سلك طريقًا نَحَاهُ، وذهب مذهبًا ارتضاه، وكلًّا وعد الله الحسنَى، فرغبتُ في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنَّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلَّقُ به من العلوم، وسلكْتُ به مسلَكًا نافعًا، إذ جعلته وجيزًا جامعًا، قصدتُ به أربع مقاصد، تتضمَّن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمعُ كثيرٍ من العلم في كتاب صغير الحجم^(٢)؛ تسهيلًا على الطَّالِبِينَ، وتقريبًا على الرَّاغِبِينَ، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمَّنته الدواوينُ الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفُضولها، ولقد أودعته من كلِّ فنٍّ من فنون علوم^(٣) القرآن اللبابَ المرغوب فيه، دون القشرِ المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكْرُ نَكَبٍ عجيبة، وفوائد غريبة، قلَّما توجد في كتاب؛

(١) في ج، د: «أكثر».

(٢) في ب، د: «الجُزْم».

(٣) في ب، ج، هـ: «علم».

لأنها من بنات صدري، ونتائج فكري، أو مما أخذته عن شيوخنا عليهم السلام، أو مما التقطته من مُستطرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إمّا بحلّ العقْدِ المقفلات، وإمّا بحسن العبارة، ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الرّاجح من المرجوح.

وذلك أنّ أقوال الناس على مراتب:

فمنها: الصحيح الذي يُعوّل عليه.

ومنها: الباطل الذي لا يلتفت إليه.

ومنها: ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمال قد يكون: متساوياً، أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون: قليلاً أو كثيراً.

وإني جعلت لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَفُ بها مرتبة كل قول:

فأدناها: ما أصرّح بأنه «خطأ»، أو «باطل».

ثم: ما أقول فيه: إنه «ضعيف»، أو «بعيد».

ثم: ما أقول: «إن غيره أرجح منه»، أو «أقوى»، أو «أظهر»، أو «أشهر».

ثم: ما أقدم غيره عليه؛ إشعاراً بترجيح المتقدّم، أو ما أقول فيه: «قيل: كذا»؛ قصداً للخروج عن عُهده.

وَأَمَّا إِذَا صَرَّحْتُ^(١) بِاسْمِ قَائِلِ الْقَوْلِ فَإِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ :
إِذَا لِلخُرُوجِ عَنْ عَهْدِهِ .

وَأَمَّا لِنُصْرَتِهِ ، إِذَا كَانَ قَائِلُهُ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ .

عَلَى أَنِّي لَا أَنْسِبُ^(٢) الْأَقْوَالَ إِلَى أَصْحَابِهَا إِلَّا قَلِيلًا ، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ صَحَّةِ
إِسْنَادِهَا إِلَيْهِمْ ، أَوْ لِاخْتِلَافِ النَّاqِلِينَ فِي نَسَبِهَا إِلَيْهِمْ .

وَأَمَّا إِذَا ذَكَرْتُ شَيْئًا دُونَ حِكَايَةِ قَوْلِهِ عَنْ أَحَدٍ : فَذَلِكَ إِشَارَةٌ
إِلَى أَنِّي أَتَقَلَّدُهُ وَأَرْضِيهِ ، سِوَاءٍ كَانَ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي ، أَوْ مِمَّا اخْتَارَهُ مِنْ كَلَامِ
غَيْرِي .

وَإِذَا كَانَ الْقَوْلُ فِي غَايَةِ السَّقُوطِ وَالْبَطْلَانِ لَمْ أَذْكُرْهُ ؛ تَنْزِيهًا
لِلْكِتَابِ ، وَرَبَّمَا ذَكَرْتُهُ تَحْذِيرًا مِنْهُ .

وَهَذَا الَّذِي ارْتَكَبْتُهُ^(٣) مِنَ التَّرْجِيحِ وَالتَّصْحِيحِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْعِلْمِيَّةِ ،
أَوْ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ .

وَسَنَذَكُرُ بَعْدَ هَذَا بَابًا فِي مَوْجِبَاتِ التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْأَقْوَالِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَسَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ : « كِتَابُ التَّسْهِيلِ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ »

وَقَدَّمْتُ فِي أَوَّلِهِ مَقْدَمَتَيْنِ :

إِحْدَاهُمَا : فِي أَبْوَابٍ نَافِعَةٍ ، وَقَوَاعِدَ كَلِمَةٍ جَامِعَةٍ .

(١) فِي دِيَاذَةِ : « فِيهِ » .

(٢) فِي ب ، د : « لَسْتُ أَنْسِبُ » ، وَفِي ه ، ج : « أَنِّي نَسَبْتُ » ! .

(٣) فِي ب : « ارْتَكَبْتُ » ، وَفِي د : « أَرْتَكَبُهُ » .

والأخرى: فيما كثر دوره من اللغات الواقعة في القرآن.

وأنا أرغبُ إلى الله العظيم الكريم أن يجعلَ تصنيفَ هذا الكتابِ عملاً
مبروراً، وسعيًا مشكورًا، ووسيلةً توصلني إلى جنات النعيم، وتَقْذِنِي من
عذاب الجحيم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



﴿المقدمة الأولى﴾

فيها اثنا عشر بابًا :

﴿الباب الأول﴾

في نزول القرآن، وجمعه في المصحف، ونقْطه،
وتحزيه، وتعشيره، وذكر أسمائه^(١)

* نزل القرآن على رسول الله ﷺ من أول ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله .

فكانت مدة نزوله عليه :

عشرين سنة .

وقيل : كانت ثلاثًا وعشرين سنة .

على حسب الاختلاف في سنة ﷺ يوم تُوفي هل كان ابن ستين سنة؟ أو^(٢)
ثلاث وستين^(٣) ؟

(١) انظر : المحرر الوجيز، لابن عطية (١/٣٧، ٥١) .

(٢) في هـ، د زيادة : «ابن» .

(٣) في أ زيادة : «سنة» .

وكان ربما تنزل^(١) عليه سورة كاملة، وربما تنزل^(٢) عليه آيات متفرقات^(٣) فيضمُّ ﷺ بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة.

وأول ما نزل من القرآن:

صدر سورة العلق، ثم المدثر و^(٤)المزمل.

وقيل: أول ما نزل: المدثر.

وقيل: فاتحة الكتاب.

والأول هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: «جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾» [المنا: ١-٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره^(٥)،

(١) في د: «نزلت»، وفي هامش أ: «نزل».

(٢) في د وهامش أ: «نزل».

(٣) في أ: «مفترقة».

(٤) في د: «ثم».

(٥) كذا في أ، ب وهي الموافقة لما في رواية مسلم، وفي ج، هـ: «ترجف بها بوادره»، والبودار جمع بادرة، وهي لحة بين المنكب والعنق، أي: ترعد وتضطرب.
انظر: النهاية لابن الأثير (١/٢٥٥).

وفي د: «يرجف بها فؤاده» وهي موافقة لرواية البخاري.

فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الرّوع»^(١).

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله: «فقال رسول الله ﷺ: زملوني، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيَا الْمَدِيرَ ۝١﴾ [المدثر: ١]»^(٢).

وأما آخر ما نزل من القرآن:

فسورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾.

وقيل: آية الربا التي في البقرة.

وقيل: الآية التي قبلها.

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مفترقا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب عليه السلام في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٣) أخرج أبو بكر ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (ص ٥٩): «عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم على أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة، فبأيتي ثم رجعت»، ثم قال ابن أبي داود معلقا على هذا الأثر: «لم يذكر المصحف أحدا إلا أشعث، وهو لين الحديث، وإنما رواه: «حتى أجمع القرآن» يعني: أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن»، وأعل هذا الأثر أيضا ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» (ص ٨٨) بأنه: «فيه انقطاع»، وقال تعليقا على قول ابن أبي داود: «وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر - والله أعلم -، فإن عليا لم ينقل عنه مصحف - على ما قيل - ولا غير ذلك». وانظر: الاتقان للسيوطي (٢/ ٣٨٠).

فلما قُتِل جماعةٌ من الصحابة يوم اليمامة في قتال مُسَيْلِمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن؛ مخافة أن يذهب بموت القرّاء، فجمعه في صحف غير مرتّب السور، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر الصديق، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين.

وانتشرت في خلال ذلك صحفٌ كُتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلافٌ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضي الله عنه بجمع الناس على مصحف واحد؛ خيفةً من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمان، وأمر زيد ابن ثابت بجمعه وجعل معه ثلاثة من قريش؛ عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بن أمية، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه ببلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إماماً في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رضي الله عنه يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضي الله عنه منه نسخاً، ووجهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق، أو تحرق - يروى بالحاء المهملة، والحاء المنقوطة -.

فترتيب السور على ما هو الآن عليه: هو من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف.

وقد قيل: إنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ضعيف، تردّه الآثار الواردة في ذلك.

★ وأما نَقْطُ القرآن وشكُّله: فأوّل من فعل ذلك:

الحجاج بن يوسف، بأمر عبد الملك بن مروان، وزاد الحجاج تحزيبه.

وقيل : أول من نَقَطَه يحيى بن يَعْمَر .

وقيل : أبو الأسود الدُّؤَلِيُّ .

★ وأما وضعُ الأعشار فيه :

ف قيل : إن الحجاج فعل ذلك .

وقيل : بل أمر به المأمون العباسي .

★ وأما أسماءُوه : فهي أربعة : القرآن ، والفرقان ، والكتاب ، والذكر .

وسائر ما يُسمَّى به صفاتٌ لا أسماءٌ ، كوصفه بالعظيم ، والكريم ،
والمبين ، والعزيز ، والمجيد ، وغير ذلك .

فأما القرآن : فأصله مصدر : قرأ ، ثم أُطلق على المقروء .

وأما الفرقان : فمصدرٌ -أيضاً- ، معناه : التفرقة بين الحق والباطل .

وأما الكتاب : فمصدرٌ ، ثم أُطلق على المكتوب .

وأما الذكر : فسُمِّي القرآن به ؛ لما فيه من ذكر الله ، أو ^(١) من التذكير
والمواعظ .

ويجوز في «السُّورة» من القرآن : الهمزُ .

وترك الهمز لغة قريش .

وأما الآيةُ : فأصلها : العلامة ، ثم سُمِّيَت الجملةُ من القرآن آيةً ^(٢) ؛ لأنها
علامةٌ على صدق النبي ﷺ .

(١) في هـ : «و» .

(٢) في ب ، هـ : «به» .

﴿الباب الثاني﴾

في السور المكية والمدنية

★ اعلم:

أَنَّ السُّورَ المَكِّيَّةَ: هي التي نزلت بمكة، وَيُعَدُّ منها: كُلُّ ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

كما أن المدنية: هي السور التي نزلت بالمدينة، وَيُعَدُّ منها: كُلُّ ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

★ وتنقسم السور ثلاثة أقسام:

[١-] قسمٌ مدنية باتفاقٍ، وهي اثنتان وعشرون سورةً.

وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾.

[٢-] وقسم فيها خلافٌ؛ هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاث عشرة

سورةً.

أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففين^(١)،
والقدر، ﴿لَمْ يَكُنْ﴾، ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، ﴿أَزْءَيْتَ﴾، والإخلاص،
والمعوذتان.

[٣-] وقسم مكة باتفاق، وهي سائر السور.

وقد وقعت آيات مدنية في سور مكة، كما وقعت آيات مكة في سور
مدنية، وذلك قليل، مختلف في أكثره.

★ واعلم:

أن السور المكية نزل أكثرها في: إثبات العقائد، والرد على
المشركين، وفي قصص الأنبياء.

وأن السور المدنية نزل أكثرها في: الأحكام الشرعية، وفي الرد
على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات
النبي ﷺ.

وحيثما ورد: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مدني.

وأما ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدني.

~~~~~

(١) في ب، ج، هـ: «والمطفون».



### ﴿الباب الثالث﴾

## في المعاني والعلوم التي تضمَّنها القرآن

ولتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل .

★ أما على الجملة : فاعلم أن المقصود بالقرآن : دعوة الخلق إلى عبادة الله ، وإلى الدخول في دين الله ، ثم إن هذا المقصد يقتضى أمرين لا بد منهما ، وإليهما ترجع معاني القرآن كله :

أحدهما : بيان العبادة التي دُعي الخلق إليها .

والآخر : ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها ، وتقودهم إليها .

فأما العبادة : فتقسم إلى نوعين وهما : أصول العقائد ، وأحكام الأعمال .

وأما البواعث عليها : فأمران ؛ وهما : الترغيب ، والترهيب .

★ وأما على التفصيل : فاعلم أن معاني القرآن سبعة ؛ وهي : علم الربوبية ، والنبوة ، والمعاد ، والأحكام ، والوعد ، والوعيد ، والقصاص .

★ [١-] فأما علم الربوبية :

فمنه : إثبات وجود البارئ جل جلاله ، والاستدلال عليه بمخلوقاته ، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات ، والاعتبار في خلقه

الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك من الموجودات؛ فهو دليلٌ على خالقه.

ومنه: إثبات الوحدانية، والردُّ على المشركين، والتعريفُ بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من أسمائه وصفاته، وتنزيهه عما لا يليق به.

★ [٢-] وأما النبوة: فإثبات نبوة الأنبياء ﷺ على العموم، ونبوة محمد ﷺ على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم، والردُّ على من كفر بشيء من ذلك.

وينخرط في سلك هذا: ما ورد في القرآن من تأنيس النبي ﷺ وكرامته<sup>(١)</sup>، والثناء عليه وعلى سائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

★ [٣-] وأما المعاد: فإثبات الحشر، وإقامة البراهين عليه، والردُّ على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار والحساب والميزان وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال وغير ذلك.

★ [٤-] وأما الأحكام: فهي الأوامر والنواهي، وتنقسم خمسة أنواع: واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح.

ومنها:

ما يتعلق بالأبدان، كالصلاة والصيام.

(١) في د: «وكذا أمته»، ولعله تصحيف.

وما يتعلق بالأموال كالزكاة .

وما يتعلق بالقلوب ، كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك .

### ★ [٥-] وأما الوعد :

فمنه وعدٌ بخير الدنيا ، من النصر والظهور وغير ذلك .

ومنه بخير الآخرة ، وهو الأكثر ، كأوصاف الجنة ونعيمها .

### ★ [٦-] وأما الوعيد :

فمنه تخويفٌ بالعقاب في الدنيا .

ومنه تخويفٌ بالعقاب في الآخرة ، وهو الأكثر ، كأوصاف جهنم وعذابها ، وأوصاف القيامة وأهوالها .

وتأمل القرآن ؛ تجد الوعد مقروناً بالوعيد ، قد<sup>(١)</sup> ذُكر أحدهما على إثر ذكر الآخر ؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب ، وليتبيّن أحدهما بالآخر ، كما قيل :

فبضدّها تبين الأشياء<sup>(٢)</sup> .....

★ [٧-] وأما القصص : فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم ؛ كقصة أصحاب الكهف ، وذو القرنين .

**فإن قيل :** ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن ؟

(١) في أ ، ب : «وقد» .

(٢) هذا عجز بيت للمتنبي ، صدره : «ونذيمهم وبها عرفنا فضلُهُ» ، انظر : شرح أبي البقاء العكبري على ديوان المتنبي (١/٢٢) .

فالجواب: من ثلاثة أوجه:

**الأول:** أنه ربما دُكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يُذكر في سورة أخرى، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى.

**الوجه الثاني:** أنه ذُكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز؛ لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

**الوجه الثالث:** أن أخبار الأنبياء قُصِدَ بذكرها مقاصد كثيرة<sup>(١)</sup> فتعدّد ذكرها بتعدد تلك المقاصد.

**فمن المقاصد بها:** إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين؛ بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من الهلاك<sup>(٢)</sup>.

ومنها: إثبات نبوة محمد ﷺ؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلّم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [مرد: ٤٩].

ومنها: إثبات الوحداية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [مرد: ١٠١].

ومنها: الاعتبار في قدرة الله تعالى، وشدة عقابه لمن كفر به.

ومنها: تسليّة النبي ﷺ عن تكذيب قومه له؛ بالتأسي بمن تقدم من

(١) سقطت هذه الكلمة من ج، هـ.

(٢) في د: «المهلك».

الأنبياء؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ومنها: تأنيسه<sup>(١)</sup> ﷺ، ووعدّه بالنصر كما نُصِرَ الأنبياء الذين من قبله.

ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم.

إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردّهم على الكفار، وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة ذُكرت في مواضع كثيرة، ولكلِّ مقام مقال.



(١) في ج، هـ: «تسليته».

## ﴿الباب الرابع﴾

### في فنون العلوم التي تتعلّق بالقرآن

اعلم: أنَّ الكلامَ على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشرَ فنًّا من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصاص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

★ [١-] فأما التفسير: فهو المقصود لنفسه، وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرّع منه.

ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه.

واعلم: أن التفسير منه متفق عليه، ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عدّه كثير من المؤلفين في التفسير خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه.

وجعلناه نحن قولاً واحداً، وعبرنا عنه بأحد<sup>(١)</sup> عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

(١) في د: «ياحدى».

**النوع الثاني:** اختلاف في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثالاً منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام الذي <sup>(١)</sup> تندرج تلك الأمثلة تحت عمومها، فهذا عدّه أيضاً كثيرٌ من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل قولٍ <sup>(٢)</sup> منها مثالٌ للمراد، وليس بكل المراد.

ولم نعدّه نحن خلافاً، بل عبّرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

**النوع الثالث:** اختلاف في المعنى، فهذا هو الذي عدّدناه خلافاً، ورَجَّحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

**فإن قيل:** ما الفرق بين التفسير والتأويل؟

**فالجواب:** أن في ذلك ثلاثة أقوال:

**الأول:** أنهما بمعنى واحد.

**الثاني:** أن التفسير: للفظ، والتأويل: للمعنى.

**الثالث - وهو الصواب -:** أن التفسير هو الشرح، وأن التأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ؛ لموجب اقتضى أن يُحمَل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

(١) في ب، ج، هـ: «التي».

(٢) في ب، ج، هـ: «لأن كلاً».

★ [٢-] وأما القراءات: فإنها في القرآن بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته.

ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة، وشاذة.

فالمشهورَةُ: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوب<sup>(١)</sup> وابن محيصن<sup>(٢)</sup>.

والشاذة: ما سوى ذلك.

وإنما<sup>(٣)</sup> بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع المدني<sup>(٤)</sup>؛ لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب. والآخر: الاقتداء بالمدينة شرفها الله تعالى؛ لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنيا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنفنا فيها كتباً نفع الله بها، وأيضاً؛ فإننا لما

(١) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولا هم المكي، قارئ أهل مكة، توفي سنة (١٢٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٥٦).

(٣) في ب، ج، هـ: «وإننا».

(٤) هو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولا هم، أبو رويم المقرئ المدني، توفي سنة (١٦٩هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٦٤).



عزّمتنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه ضرورة، وقد ذكرنا في هذه المقدمات باباً في قواعد أصول القراءات.

★ [٣-] وأما أحكام القرآن: فهي تفسير ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية.

وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمس مئة آية، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصي تتبعها في مواضعها.

وقد صنّف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة.

ومن أحسن تصانيف المشاركة فيها: تأليف إسماعيل القاضي<sup>(١)</sup>، وأبي الحسن كياه<sup>(٢)</sup>.

ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس<sup>(٣)</sup>: تأليف القاضي الإمام أبي بكر

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن بابل الجهمضي الأزدي المالكي، وبه تفقه أهل العراق من المالكية، توفي سنة (٢٨٢هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (١/٢٨٢).

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الكيا الهراشي الشافعي، والكيا: لفظة أعجمية معناها: الكبير القدر المقدم بين الناس، توفي سنة (٥٠٤هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/٢٨٦)، و«كيا» و«كياه» بمعنى واحد، و«أل» فيها للتعريف، قال العطار في حاشيته على شرح المحلي على «جمع الجوامع» في ضبطه (١/٣٣٩): «ضبطه الكوراني بفتحها؛ لأن «كيا» معناه: العظيم، وأل حرف تعريف وهمزتها بالفتح؛ لأنها همزة وصل».

(٣) في ب، د زيادة: «فيها».

ابن العربي<sup>(١)</sup>، والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس<sup>(٢)</sup>.

★ [٤-] وأما النسخ: فهو يتعلق<sup>(٣)</sup> بالأحكام؛ لأنها محلُّ النسخ؛ إذ لا تُنسخ الأخبار.

ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم؛ وهو ما لم يُنسخ.

وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة، أحسنها: تأليف القاضي أبي بكر بن العربي.

وقد ذكرنا في هذه المقدمات باباً في قواعد النسخ، وذكر ما تكرر<sup>(٤)</sup> في القرآن من المنسوخ، وذكرنا سائرَه في مواضعه.

★ [٥-] وأما الحديث: فيحتاج المفسرُ إلى روايته وحفظه؛ لوجهين:

الأول: أن كثيراً من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسبابٍ قضايا وقعت في زمان النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك؛ ليُعلم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت؛

(١) الإمام المالكي المعروف، توفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢٥٢/٢).

(٢) الخزرجي المالكي، توفي سنة (٥٩٩هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (١٣٣/٢).

(٣) في ب، ج، هـ: «ما يتعلق».

(٤) في ج، هـ: «ما تقرر».

فإن النسخ مبني على معرفة تاريخ النزول؛ لأن المتأخر ناسخ للمتقدم.  
والوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله ﷺ مقدم على أقوال الناس.

★ [٦-] وأما القصص: فهو من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلا أن الضروري منه: ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زيادة مستغنى عنها.

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء ﷺ، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح.

★ [٧-] وأما التصوف: فله تعلق بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة.

وقد تكلمت المتصوفة<sup>(١)</sup> في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية، وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية.

(١) في د: «الصوفية».

وقد جمع أبو عبد الرحمن السُّلَمي<sup>(١)</sup> كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق»، وقال بعض العلماء: بل هو<sup>(٢)</sup> البواطل، وإذا أنصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعترض أو يُفدَح فيه، وتكلّمنا أيضًا على اثني عشر مقامًا من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.

[١-] فتكلّمنا على الشكر في «أم القرآن»؛ لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى.

[٢-] وتكلّمنا على التقوى في قوله تعالى في «البقرة»: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٣-] وعلى الذكر في قوله فيها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

[٤-] وعلى الصَّبْر في قوله تعالى فيها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

[٥-] وعلى التوحيد في قوله فيها: ﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهُ وَحْدَهُ﴾.

[٦-] وعلى محبة الله<sup>(٣)</sup> في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

[٧-] وعلى التوكُّل في قوله في «آل عمران»: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، السُّلَمي الأم، النيسابوري، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، له كتاب «حقائق التفسير»، و«طبقات الصوفية» وغيرهما، توفي سنة (٤١٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٤٧/١٧).

(٢) في ب، ج، هـ: «هي».

(٣) في أ: «المحبة».

[٨-] وعلى المراقبة في قوله في «النساء»: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .

[٩، ١٠-] وعلى الخوف والرَّجاء في قوله في «الأعراف»: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ .

[١١-] وعلى التوبة في قوله في «النور»: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ .

[١٢-] وعلى الإخلاص في قوله في «لم يكن»: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ .

★ [٩-] وأما أصول الدين: فتتعلق بالقرآن من طريقين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد، وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها، وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحق والمبطل.

فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق، مع التسديد والتأييد من الله والتوفيق.

★ [١٠-] وأما أصول الفقه: فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أن كثيراً من المفسرين لم يشتغلوا بها.

وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبين، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب،

وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

★ [١١-] وأما اللغة: فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن، وهي فنٌّ من فنون التفسير.

وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة، وقد ذكرنا - بعد هذه المقدمة - مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت، فيطول الكتاب بكثرة تكرارها.

★ [١٢-] وأما النحو: فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى علم اللسان<sup>(١)</sup>.

والنحو ينقسم قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي أحكام الكلام المركب.

والآخر: التصريف، وهو أحكام الكلمات قبل تركيبها.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويل<sup>(٢)</sup> بغير كبير فائدة.

(١) في ب، ج، هـ: «إلى معرفة اللسان»، وفي د: «إلى معرفة علم اللسان».

(٢) في ب، ج، د، هـ: «يطول».

★ [١٣-] وأما علم البيان: فهو علم شريف، تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائدَ فائقةً، ونكتًا مستحسنة راقية، وجعلنا في المقدمات بابًا في أدوات البيان؛ ليُفهم به ما يرد منها مفرقًا في مواضع<sup>(١)</sup> من القرآن.



(١) في د: «مواضعه».

## ﴿الباب الخامس﴾

في أسباب الخلاف بين المفسرين  
والوجوه التي نُرجَّحُ<sup>(١)</sup> بها بين أقوالهم

★ فأما أسبابُ الخلاف فهي اثنا عشر:

الأول: اختلاف القراءات.

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب؛ وإن اتفقت القراءة.

الثالث: اختلاف اللُّغويين في معنى الكلمة.

الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

الخامس: احتمال العموم أو الخصوص.

السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد.

السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.

التاسع: احتمال كون الكلمة زائدةً أو غيرَ زائدةٍ.

العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب، أو على التقديم والتأخير.

(١) في ج، هـ: «يترجح».



الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً .  
 الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ، وعن  
 السلف رضي الله عنهم.

★ وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر :

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض؛ فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد  
 بموضع آخر<sup>(١)</sup> حملناه عليه، ورجّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال .  
 الثاني: حديث النبي ﷺ؛ فإذا ورد عنه رضي الله عنه تفسير شيء من القرآن عولنا  
 عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح .

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة  
 القائلين بالقول تقتضي ترجيحه .

الرابع: أن يكون القول قول من يُقتدى به من الصحابة، كالخلفاء  
 الأربعة، وعبد الله بن عباس؛ لقول رسول الله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين  
 وعلمه التأويل»<sup>(٢)</sup>.

الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب؛ من اللغة، أو الإعراب  
 أو التصريف، أو الاشتقاق .

السادس: أن يشهد لصحة القول سياق<sup>(٣)</sup> الكلام، ويدلّ عليه ما قبله  
 أو ما بعده .

(١) في ب، ج، هـ: «على أن المراد بعض آخر»!

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٩٧)، (٢٨٧٩)، (٣٠٣٢)، (٣١٠٢).

(٣) في أ: «مساق»، وفي الهامش: «خ: سياق».

السابع: أن يكون ذلك المعنى هو المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليلٌ على ظهوره ورجحانه.

الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يُحمَل عليها اللفظ عند الأصوليين.

وقد يترجَّح المجاز إذا كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالاً من الحقيقة، ويسمى مجازاً راجحاً، والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما يقدَّم؟

فمذهب أبي حنيفة: تقديم الحقيقة؛ لأنها الأصل.

ومذهب أبي يوسف: تقديم المجاز الراجح؛ لرجحانه.

وقد يكون المجاز أفصح وأبرع، فيكون أرجح.

التاسع: تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى؛ لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل على التخصيص.

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد.

الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلا أن يدل دليل على الإضمار.

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه، إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير.

## ﴿الباب السادس﴾

### في ذكر المفسرين<sup>(١)</sup>

★ اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين:

فمنهم من فسّر القرآن، وتكلّم في معانيه، وهم الأكثرون.

ومنهم من توقّف عن الكلام فيه؛ احتياطًا؛ لما ورد من التشديد في ذلك؛ فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يفسّر من القرآن إلا آياتٍ بعددٍ، علّمه إياهنّ جبريل<sup>(٢)</sup>»، وقال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ»<sup>(٣)</sup>.

وتأوّل المفسرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنه في مُغَيَّيات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيفٍ من الله تعالى.

وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلّم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلّم بما<sup>(٤)</sup> تقتضيه أدوات العلوم، ونظرَ في أقوال العلماء المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢٢/١).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٢٣/٨)، والطبري في تفسيره (٧٨/١) وأعلّٰ إسناده، وحكم عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٤/١) بأنه حديث منكر.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢).

(٤) في ب: «فيما».

★ واعلم أن المفسرين على طبقات:

فالطبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم:

وأكثرهم كلاماً في التفسير: ابن عباس، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس ويقول: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»<sup>(١)</sup>، وقال ابن عباس: «ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه»<sup>(٢)</sup>.

ويتلوهما: عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت.

ثم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص.

وكل ما جاء عن الصحابة من التفسير فهو حسن مقبول.

والطبقة الثانية: التابعون:

وأحسنهم كلاماً في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصري،

وسعيد بن جبير، ومجاهد مولى ابن عباس، وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود.

ويتلوهم: عكرمة، وقتادة، والسدي، والضحاك بن مزاحم،

وأبو صالح، وأبو العالية.

ثم حمل تفسير القرآن عُدُولُ كُلِّ خَلَفٍ، وألف الناس فيه، كالمفضل<sup>(٣)</sup>،

(١) أخرجه الدينوري المالكي بإسناده في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/٤١٥).

(٢) لم أقف على إسناده، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (١/٢٣) بغير إسناد.

(٣) هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب النحوي اللغوي الكوفي، له كتاب =

وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم. ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع أقوال المفسرين<sup>(١)</sup>، وأحسن النظر فيها.

وممن صنف في التفسير أيضًا: أبو بكر النقاش<sup>(٢)</sup>، والشعلبي<sup>(٣)</sup>، والماوردي<sup>(٤)</sup>، إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمد ابن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه. وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين؛ كأبي إسحاق الزجاج<sup>(٥)</sup>،

= «ضياء القلوب» في معاني القرآن، نيف وعشرون جزءًا، توفي بعد سنة (٢٩٠هـ).

انظر: السير، للذهبي (٣٦٢/١٤)، وطبقات المفسرين، للداودي (٣٢٨/٢).

(١) في د: «المتقدمين».

(٢) هو محمد بن الحسن محمد بن زياد بن هارون، إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، صاحب تفسير «شفاء الصدور»، توفي سنة (٣٥١هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١٣٥/٢).

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، ويقال له: الثعالبي، وهو لقب لا نسب، صاحب تفسير «الكشف والبيان»، توفي سنة (٤٢٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٦٦/١).

(٤) هو علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماوردي البصري، صاحب تفسير «النكت والعيون»، توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٤٢٧/١).

(٥) هو إبراهيم بن السري بن سهل، توفي سنة (٣١١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (٤١١/١).

وأبي علي الفارسي<sup>(١)</sup>، وأبي جعفر النحاس<sup>(٢)</sup>.

### ★ وأما أهل المغرب والأندلس:

فصنف القاضي مُنذِرُ بن سعيد البلوطي<sup>(٣)</sup> كتابًا في غريب القرآن وتفسيره.

ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب<sup>(٤)</sup> كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابًا في غريب القرآن، وكتابًا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابًا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تواليه؛ فإنها نحو ثمانين تأليفًا، أكثرها في علوم القرآن؛ من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

وأما أبو عمرو الداني<sup>(٥)</sup> فتواليه تنيف على مئة وعشرين، إلا أن أكثرها في القراءات، ولم يؤلف في التفسير إلا قليلًا.

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان، اتهم بالاعتزال، توفي سنة (٣٧٧هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (٤٩٦/١).

(٢) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري، توفي سنة (٣٣٨هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (٣٦٢/١).

(٣) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي الأندلسي، أبو الحكم القاضي، توفي سنة (٣٥٥هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٣٣٦/٢).

(٤) هو مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي، النحوي المقرئ، توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٣٣٧/٢).

(٥) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، أبو عمرو الداني، توفي سنة (٤٤٤هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٣٧٩/١).

وأما أبو العباس المهدوي<sup>(١)</sup> فمُتَقِنُ التَّأْلِيفِ، حَسَنُ التَّرْتِيبِ، جَامِعُ  
لِفَنُونِ عُلُومِ الْقُرْآنِ.

ثم جاء القاضيان: أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية،  
فأبدع كل واحدٍ منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب: «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع  
لعُلُومِ الْقُرْآنِ، فلما تَلَفَ تَلَفَاهُ بكتاب: «قانون التأويل»<sup>(٢)</sup> إلَّا أَنَّهُ اخْتَرَمَتْهُ  
الْمَنِيَّةُ قَبْلَ تَخْلِيصِهِ وَتَلْخِيصِهِ، وَأَلَّفَ فِي سَائِرِ عُلُومِ الْقُرْآنِ تَوَالِيفَ مَفِيدَةً.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسنُ التواليف وأعدلُها، فإنه أَطْلَعَ عَلَى  
تَوَالِيفِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فَهَذَّبَهَا وَلَخَصَهَا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ حَسَنُ الْعِبَارَةِ، مُسَدِّدُ  
النَّظَرِ، مُحَافِظٌ عَلَى السَّنَةِ.

---

(١) هو أحمد بن عمار، أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، ألفه التفسير  
الكبير «التفصيل الجامع لعُلُومِ التَّنْزِيلِ»، ثم اختصره في «التحصيل لفوائد كتاب  
التفصيل الجامع لعُلُومِ التَّنْزِيلِ»، توفي بعد سنة (٤٣٠هـ). انظر: طبقات المفسرين،  
للدوادني (٥٦/١).

(٢) لابن العربي كتابان بهذا العنوان:

أحدهما: قانون التأويل في التفسير، وقد اختلف الباحثون في تسميته، واستظهر  
بعضهم أن اسمه: «واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل بفوائد التَّنْزِيلِ»، وهذا هو  
الكتاب الذي عناه ابن جزري.

والآخر: قانون التأويل، وهو جامع لفوائد شتى من عدة علوم، ولا يختص بالتفسير  
وعُلُومِ الْقُرْآنِ، وهو مطبوع في مجلد بتحقيق د. محمد السليمانى. انظر: قسم الدراسة  
الذي قدمه د. السليمانى لهذا الكتاب ص ١٢٤، ٣٩١.

ثم ختم علماء القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير<sup>(١)</sup>، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطةً في علمه، وقوةً في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق.

★ ومما بأيدينا من تواليف أهل المشرق: تفسير أبي القاسم الزمخشري، وأبي الفضل الغزنوي<sup>(٢)</sup>، وأبي الفضل ابن الخطيب<sup>(٣)</sup>.

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي، الجبلي المولد، الغرناطي المنشأ، الأستاذ أبو جعفر، صاحب «ملاك التأويل» في المتشابه في القرآن وغيره من المصنفات، توفي سنة (٧٠٨هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢٧/١).

(٢) في أ، ب: «الغزنوني»، وفي ج، هـ: «القزويني» وهو تصحيف.  
وهو محمد بن أبي يزيد طيفور السجاولندي الغزنوي، أبو عبد الله أو أبو الفضل، اختلفت المصادر في كنيته، المقرئ المفسر النحوي، له تفسير «عين المعاني» في تفسير السبع المثاني، و«الوقف والابتداء» وغيرهما، توفي سنة (٥٦٠هـ) على ما قاله الصفدي، وقد نقل عنه ابن جزى من تفسيره «عين المعاني» في أربعة مواطن: في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾، وفي الأنبياء عند قوله: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وفي المؤمنون عند قوله: ﴿هَيَاتَ﴾، وفي العلق عند قوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، وهو أحد المصادر التي استمد منها ابن جزى مادة تفسيره، وتفسيره هذا حُقق في عدة رسائل علمية في جامعة الإمام. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٢/٢٠٦)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٣/١٤٧)، وإنباه الرواة، للقفطي (٣/١٥٣)، والروض المعطار، للحميري (٤٢٨).

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين، الرازي، فخر الدين، صاحب تفسير «مفاتيح الغيب»، وكنيته أبو الفضل أو أبو عبد الله على اختلاف بين المصادر. توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٣/١٣٧)، وفیات الأعيان، لابن خلكان (٤/٢٤٨)، وأخبار العلماء، للقفطي (٢١٩).

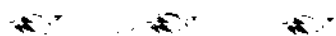


فأما الزمخشري : فمسدّد النظر، بارعٌ في الإعراب، متقنٌ في علم البيان؛  
إلا أنه ملأ كتابه من مذاهب المعتزلة ونصرهم، وحمل آيات القرآن على  
طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه، فخذ منه ما صفا، ودع ما كدر.

وأما الغزنوي : فكتابه مختصرٌ جامع، وفيه من التصوف نكتٌ بديعة.

وأما ابن الخطيب : فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري، وزاد عليه  
إشباع الكلام في قواعد علم الكلام، ونمّقه بترتيب المسائل، وتدقيق  
النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم، وربما  
يحتاج إلى تنخيل وتلخيص.

والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزّيهم أفضل ثوابه.



## ﴿الباب السابع﴾

### في الناسخ والمنسوخ

النسخ في اللغة: هو الإزالة، أو النقل.

ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد تقرُّره.

★ ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: نسخ اللفظ والمعنى، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم»<sup>(١)</sup>.

والثاني: نسخ اللفظ دون المعنى، كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألينة نكالا من الله والله عزيز حكيم»<sup>(٢)</sup>.

والثالث: نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير، وقع منه في القرآن على ما عدّه بعض العلماء<sup>(٣)</sup> مئتا موضع، ثنتان وعشرة<sup>(٤)</sup> مواضع منسوخة؛ إلا أنهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٣٠) في ضمن حديث طويل من خطبة عمر رضي الله عنه وفيه: «... ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرّا بكم أن ترغبوا عن آبائكم...».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٥)، وأحمد في مسنده (٢١٢٠٧)، (٢١٥٩٦)، وابن ماجه (٢٥٥٣).

(٣) في ب، د: «بعضهم».

(٤) في د: «واثنان وعشرة».

عَدُّوا التخصيص والتقييد والاستثناء نسخًا!، وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروقٌ معروفة، وستكلم على ذلك في مواضعه.

\* ونقدّم هنا ما جاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم؛ بالأمر بقتالهم؛ لِيُغْنِيَ ذلك عن تكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مئة آية وأربع عشرة آية، من أربع وخمسين سورة<sup>(١)</sup>:

### ★ (١-) ففي البقرة:

[١] ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية: ٨٣].

[٢] ﴿وَلَنَا آخِذُنَا﴾ [الآية: ١٣٩].

[٣] ﴿وَلَا تَسُدُّوْا﴾ [الآية: ١٩٠]؛ أي: لا تبتدؤوا بالقتال.

[٤] ﴿وَلَا تُقْبِلُوهُمْ﴾ [الآية: ١٩١].

[٥] ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [الآية: ٢١٧].

[٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾ [الآية: ٢٥٦].

### ★ (٢-) وفي آل عمران:

[٧] ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ [الآية: ٢٠].

(١) هذه المسألة استمدّها ابن جزّي بثلاثة من «عين المعاني» للغزنوي، بل هناك تطابق شبه تام بين النصين، غير أن ابن جزّي ذكر مئة وثلاث عشرة آية من ثلاث وخمسين سورة، حيث فات ابن جزّي ذكر الآية المئة والرابع عشرة من السورة الرابعة والخمسين التي ذكرها الغزنوي، وهي سورة التين، آية: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَشْكَرَ الْفَاعِلِينَ﴾ ٨. انظر: «عين المعاني».

[٨] ﴿مِنْهُمْ ثُغَّةٌ﴾ [الآية: ٢٨].

★ (٣-) وفي النساء:

[٩، ١٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ٦٣ و ٨١].

[١١] ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية: ٨٠].

[١٢] ﴿لَا تُكَلِّفْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [الآية: ٨٤].

[١٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [الآية: ٩٠].

★ (٤-) وفي المائدة:

[١٤] ﴿وَلَا ءَامِينَ﴾ [الآية: ٢].

[١٥] ﴿عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾<sup>(١)</sup>.

[١٦] ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [الآية: ١٠٥].

★ (٥-) وفي الأنعام:

[١٧] ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٦٧].

[١٨] ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ﴾ [الآية: ٩١].

[١٩] ﴿عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الآية: ١٠٤].

[٢٠] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٠٦].

(١) كذا ورد في الأصول الخطية!، والواقع أنه لا توجد في سورة المائدة آية بهذا اللفظ، وإنما الذي في المائدة: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [آية: ٩٢]، و﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ [آية: ٩٩].

[٢١] ﴿عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [الآية: ١٠٧].

[٢٢] ﴿وَلَا تَسُبُّوا﴾ [الآية: ١٠٨].

[٢٣، ٢٤] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ١١٢ و ١٣٧].

[٢٥] ﴿يَقَوْمِ أَعْمَلُوا﴾ [الآية: ١٣٥].

[٢٦] ﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾ [الآية: ١٥٨].

[٢٧] ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الآية: ١٥٩].

★ (٦-) وفي الأعراف:

[٢٨] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٩٩].

[٢٩] ﴿وَأْمُلِ لَهُمْ﴾ [الآية: ١٨٣].

★ (٧-) وفي الأنفال:

[٣٠] ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ﴾ [الآية: ٧٢]؛ يعني: المعاهددين.

★ (٨-) وفي التوبة:

[٣١] ﴿فَأَسْتَفِيمُوا لَهُمْ﴾ [الآية: ٧].

★ (٩-) وفي يونس:

[٣٢] ﴿فَأَنْظِرُوا﴾ [الآية: ٢٠].

[٣٣] ﴿فَقُلْ لِي عَمَلٍ﴾ [الآية: ٤١].

[٣٤] ﴿وَإِنَّمَا نُرِيتَكَ﴾ [الآية: ٤٦].

[٣٥] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية: ٦٥]؛ لما يقتضي من الإمهال.

[٣٦] ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ﴾ [الآية: ٩٩].

[٣٧] ﴿فَمَنْ أَمْتَدَى﴾ [الآية: ١٠٨]؛ لأن معناه الإمهال.

[٣٨] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ١٠٩].

★ (١٠-) وفي هود:

[٣٩] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [الآية: ١٢]؛ أي: تُنذِرُ ولا تُجبرُ.

[٤٠] ﴿أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ [الآية: ١٢١].

[٤١] ﴿وَانظُرُوا﴾ [الآية: ١٢٢].

★ (١١-) وفي الرعد:

[٤٢] ﴿عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [الآية: ٤٠].

★ (١٢-) وفي الحجر:

[٤٣] ﴿ذَرَّهُمْ﴾ [الآية: ٣].

[٤٤] ﴿فَأَصْفَحْ﴾ [الآية: ٨٥].

[٤٥] ﴿لَا تَدْنِ﴾ [الآية: ٨٨].

[٤٦] ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾ [الآية: ٨٩].

[٤٧] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٩٤].

★ (١٣-) وفي النحل :

[٤٨] ﴿إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ [الآية : ٣٥].

[٤٩] ﴿عَلَيْكَ أَلْبَلَعُ﴾ [الآية : ٨٢].

[٥٠] ﴿وَحَدِّ لَهُمْ﴾ [الآية : ١٢٥].

[٥١] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ [الآية : ١٢٧].

★ (١٤-) وفي الإسراء :

[٥٢] ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الآية : ٥٤].

★ (١٥-) وفي مريم :

[٥٣] ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ [الآية : ٣٩].

[٥٤] ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الآية : ٧٥].

[٥٥] ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ [الآية : ٨٤].

★ (١٦-) وفي طه :

[٥٦] ﴿قُلْ كُلُّ مَتْرَيْصٍ﴾ [الآية : ١٣٥].

★ (١٧-) وفي الحج :

[٥٧] ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾ [الآية : ٦٨].

★ (١٨-) وفي المؤمنين :

[٥٨] ﴿فَذَرَّهُمْ﴾ [الآية : ٥٤].

[٥٩] ﴿أَدْفَعْ﴾ [الآية: ٩٦].

★ (١٩-) وفي النور:

[٦٠] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: ٥٤].

[٦١] ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (٢٠-) وفي النمل:

[٦٢] ﴿فَمَنْ أَمَدَدْنِي﴾ [الآية: ٩٢].

★ (٢١-) وفي القصص:

[٦٣] ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا﴾ [الآية: ٥٥].

★ (٢٢-) وفي العنكبوت:

[٦٤] ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٥٠]؛ لما يقتضي من عدم الإيجاب.

★ (٢٣-) وفي الروم:

[٦٥] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ٦٠].

★ (٢٤-) وفي لقمان:

[٦٦] ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ [الآية: ١٢].

★ (٢٥-) وفي السجدة:

[٦٧] ﴿وَأَنْظِرْ﴾ [الآية: ٣٠].



★ (٢٦-) وفي الأحزاب:

[٦٨] ﴿وَدَعَّ أَدْنَاهُمْ﴾ [الآية: ٤٨].

★ (٢٧-) وفي سبا:

[٦٩] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونِي﴾ [الآية: ٢٥].

★ (٢٨-) وفي فاطر:

[٧٠] ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٢٣].

★ (٢٩-) وفي يس:

[٧١] ﴿فَلَا يَحْزَنَنَّ﴾ [الآية: ٧٦].

★ (٣٠-) وفي الصافات:

[٧٢] ﴿فَوَلَّ﴾ [الآية: ١٧٤].

[٧٣] ﴿وَوَلَّ﴾ [الآية: ١٧٨].

[٧٤، ٧٥] وما يليهما [الآيتان: ١٧٥، ١٧٩].

★ (٣١-) وفي ص:

[٧٦] ﴿أَصِيرَ﴾ [الآية: ١٧].

[٧٧] ﴿أَنَا مُنذِرٌ﴾ [الآية: ٦٥].

★ (٣٢-) وفي الزمر:

[٧٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: ٣]؛ لما فيه من الإمهال.

[٧٩] ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [الآية: ١٥].

[٨٠] ﴿يَقَوْمِ اعْمَلُوا﴾ [الآية: ٣٩].

[٨١] ﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾ [الآية: ٤١].

[٨٢] ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ﴾ [الآية: ٤٦]؛ لأن فيه تفويضا.

★ (٣٣-) وفي المؤمن :

[٨٣، ٨٤] ﴿فَاصْبِرْ﴾ في موضعين [الآية: ٥٥ و ٧٧].

★ (٣٤-) وفي السجدة :

[٨٥] ﴿أَدْفَعْ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤].

★ (٣٥-) وفي الشورى :

[٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٦].

[٨٧] ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا﴾ [الآية: ١٥].

[٨٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [الآية: ٤٨].

★ (٣٦-) وفي الزخرف :

[٨٩] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ [الآية: ٨٣].

[٩٠] ﴿فَاصْفَحْ﴾ [الآية: ٨٩].

★ (٣٧-) وفي الدخان :

[٩١] ﴿فَارْتَقِبْ﴾ [الآية: ٥٩].

★ (٣٨-) وفي الجاثية:

[٩٢] ﴿يَغْفِرُونَ﴾ [الآية: ١٤].

★ (٣٩-) وفي الأحقاف:

[٩٣] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٥].

★ (٤٠-) وفي القتال:

[٩٤] ﴿فَإِنَّمَا مَنَّا بِعَدُوِّ﴾ [الآية: ٤].

★ (٤١-) وفي ق:

[٩٥] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٩].

[٩٦] ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ [الآية: ٤٥].

★ (٤٢-) وفي الذاريات:

[٩٧] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (٤٣-) وفي الطور:

[٩٨] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ [الآية: ٣١].

[٩٩] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ٤٨].

[١٠٠] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ [الآية: ٤٥].

★ (٤٤-) وفي النجم:

[١٠١] ﴿فَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٢٩].

★ (٤٥-) وفي القمر :

[١٠٢] ﴿قَوْلٌ﴾ [الآية : ٦] .

★ (٤٦-) وفي ن :

[١٠٣] ﴿فَاصِرٌ﴾ [الآية : ٤٨] .

[١٠٤] ﴿سَنَسُدِّرُهُمْ﴾ [الآية : ٤٤] .

★ (٤٧-) وفي المعارج :

[١٠٥] ﴿فَاصِرٌ﴾ [الآية : ٥] .

[١٠٦] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ [الآية : ٤٢] .

★ (٤٨-) وفي المزمل :

[١٠٧] ﴿وَأَهْجُرْهُمْ﴾ [الآية : ١٠] .

[١٠٨] ﴿وَذَرْنِي﴾ [الآية : ١١] .

★ (٤٩-) وفي المدثر :

[١٠٩] ﴿ذَرْنِي﴾ [الآية : ١١] .

★ (٥٠-) وفي الإنسان :

[١١٠] ﴿فَاصِرٌ﴾ [الآية : ٢٤] .

★ (٥١-) وفي الطارق :

[١١١] ﴿مَهْلِكُ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية : ١٧] .

★ (٥٢-) وفي الغاشية :

[١١٢] ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۝﴾ [الآية: ٢٢]<sup>(١)</sup>.

★ (٥٣-) وفي الكافرين :

[١١٣] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الآية: ٦].

★ نَسَخَ ذَلِكَ كُلَّهُ : ﴿فَأَقْضُوا الشُّرُكَانَ﴾ [التوبة: ٥] ، و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿فَأَقْضُوا الشُّرُكَانَ﴾ [التوبة: ٥]

(١) في «عين المعاني» بعد هذه الآية : «(٥٤-) التين : [١١٤] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَتَكْفِيَهُ﴾

## ﴿الباب الثامن﴾

### في جوامع القراءات

★ وهي على نوعين: مشهورة، وشاذة.

- فالمشهورَةُ: القراءات السبع؛ وهي: حرف<sup>(١)</sup> نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبي عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم وحمزة والكسائي الكوفيّين.

ويجري مجراهم في الصحة والشُّهرة: يعقوبُ الحضرمي<sup>(٢)</sup>، وابن محيِصن، ويزيدُ بن القَعْقَاع<sup>(٣)</sup>.

- والشاذَّة: ما سوى ذلك، وإنما سميت شاذَّة؛ لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحَةً اللفظ و<sup>(٤)</sup>قويَّة المعنى.

(١) في د: «حروف».

(٢) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القَعْقَاع المدني، اختلف في وفاته قيل: سنة (١٢٧هـ)، وقيل: (١٢٨هـ)، وقيل: (١٣١هـ)، وقيل: (١٣٢هـ)، وقيل: (١٣٣هـ). انظر: معرفة القراء

الكبار، للذهبي (٤٠).

(٤) في ب، ج، هـ: «أو».

★ ولا يجوز أن يُقرأ بحرفٍ إلا بثلاثة شروط:

- ١- موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.
  - ٢- وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه، أو في بعض اللغات.
  - ٣- ونقله نقلاً متواتراً، أو مستفيضاً.
- ★ واعلم أنَّ اختلاف القُرَّاء على نوعين: أصول، وفرش الحروف.
- فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مطَّرد، ولا قانونٍ كليٍّ.

وهو على وجهين: اختلافٌ في القراءة:

باختلاف المعنى.

وباتِّفاق المعنى.

- وأما الأصول: فالاختلاف فيها لا يغيِّر المعنى.

وهي ترجع إلى ثمانٍ قواعد:

الأولى: المدُّ، وهو في حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمز، و<sup>(١)</sup>التقاء الساكنين.

الثانية: الهمز، وأصله التَّحْقِيق، ثم قد يخفَّف على سبعة أوجه:

إبدال: واوٌ، وياء، وألف.

وتسهيل: بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف.

وإسقاط.

(١) في أ: «أو».

الثالثة: الإدغام والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو في المتقاربين، وفي كلمة، وفي كلمتين.

وهو نوعان:

إدغامٌ كبير، انفرد به أبو عمرو؛ وهو إدغام المتحرّك.

وإدغامٌ صغير، لجميع القراء، وهو إدغام الساكن.

الرابعة: الإمالة، وهي: أن تنحَوَ بالفتحة نحوَ الكسرة، وبالألف نحوَ الياء، والأصل الفتح.

ويُوجِبُ الإمالةَ: الكسر، أو الياء.

الخامسة: الترقيق والتفخيم.

والحروف على ثلاثة أقسام:

[١-] مفخَّمٌ في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة.

[٢-] ومفخم تارةً ومرقَّق أخرى، وهي: الراء، واللام، والألف.

فأما الراء: فأصلها التفخيم، وترقق للكسر والياء.

وأما اللام: فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق.

وأما الألف: فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.

[٣-] والمرقق على كل حال: سائر الحروف.

السادسة: الوقف، وهو على ثلاثة أنواع:

[١-] سكُونٌ، جائر في الحركات الثلاث.



[٢-] وروم في المضموم والمكسور .

[٣-] وإشمام في المضموم خاصة .

السابعة : مراعاة الخط في الوقف .

الثامنة : إثبات الياءات وحذفها ، وتسكينها ، وفتحها .



## ﴿الباب التاسع﴾

### في المواقف

★ وهي أربعة أنواع: موقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.

- فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقر<sup>(١)</sup> إليه كذلك = لم يجز الفصل بينهما، والوقف على الكلام الأول قبيح.

وذلك الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل ذي موصول وصلته.

- وإن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثاني، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله = فالوقف على الأول كافٍ.

وذلك في التوابع والفضلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك.

إلا أن وصل الاستثناء المتصل أكد من المنقطع.

ووصل التوابع والحال إذا كانت اسماً مفرداً<sup>(٢)</sup> أكد من وصلها إذا كانت جملة.

(١) في ب، ج، هـ: «مفتقراً».

(٢) في أ: «اسماً مفرداً»، وفي ب، د: «أسماء مفردات».

- وإن كان الكلام الأول مستقلاً والثاني كذلك :

فإن كانا في قصة واحدة : فالوقف على الأول حسنٌ .

وإن كانا في قصتين مختلفتين : فالوقف تامٌ .

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب ، أو المعنى ، ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف ، ومن أقوالهم فيها راجحٌ ومرجوحٌ وباطلٌ .

وقد يُوقَفُ لبيان المراد ، وإن لم يتم الكلام .

★ تنبيهه : هذا الذي ذكرنا من رَغِي الإعراب والمعنى في المواقف استقرَّ عليه العمل ، وأخذ به شيوخُ المقرئين .

وكان الأوائل يراعون رؤوسَ الآيات ، فيقفون عندها ؛ لأنها في القرآن كالْفَقَر في النثر ، والقوافي في الشعر ، ويؤيد<sup>(١)</sup> ذلك : ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها : « أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته ، يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ثم يقف ، ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، ثم يقف<sup>(٢)</sup> .



(١) في ج ، د : «ويؤكد» .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧) .

## ﴿الباب العاشر﴾

### في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

★ أما الفصاحة: فلها خمسة شروط:

الأول: أن تكون الألفاظ عربية، لا مما أحدثه المولّدون، ولا مما غلّطت فيه العامة.

الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشية المستقلّة.

الثالث: أن تكون العبارة واقعة على المعنى، مؤفّية له، لا قاصرة عنه.

الرابع: أن تكون العبارة سهلة، سالمة من التعكير<sup>(١)</sup>.

الخامس: أن يكون الكلام سالمًا من العشو الذي لا يُحتاج إليه.

★ وأما البلاغة: فهي سياق الكلام على حسب ما يقتضيه الحال والمقام؛ من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقير، ومن التصريح والكناية، والإشارة، وشبه ذلك، بحيث يَهْزُ النفوس، ويؤثّر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد، أو يكاد.

★ وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع، وهي: تزين الكلام كما يزين العَلَمُ الثوب.

(١) في هامش ب: «التعقيد».

وقد وجدنا في القرآن منها : اثنين وعشرين نوعًا ، ونَبَّهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن ، ونذكر هنا أسماءها ، ونبين معانيها .  
 - النوع الأول : المجاز ، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ،  
 لعلاقة بينهما .

وهو اثنا عشر نوعًا :

[١-] التشبيه .

[٢-] والاستعارة .

[٣-] والزيادة .

[٤-] والنقصان .

[٥-] وتسمية المجاور باسم مجاوره .

[٦-] والمُلابس باسم مُلابسه .

[٧-] وإطلاق اسم الكلّ على البعض .

[٨-] وعكسه .

[٩-] وتسمية السبب باسم المسبّب .

[١٠-] وعكسه .

[١١-] والتسمية باعتبار ما يستقبل .

[١٢-] والتسمية باعتبار ما مضى ؛ وفي هذا خلافتٌ ، هل هو حقيقة

أو مجاز ؟ .

وأنفق أكثر<sup>(١)</sup> أهل علوم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منعه؛ لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى.

- النوع الثاني: الكناية، وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه، من غير تصريح.

- الثالث: الالتفات، وهو على ستة أنواع:

[١، ٢]- خروج من التكلم إلى الخطاب، أو الغيبة.

[٣، ٤]- وخروج من الخطاب إلى التكلم، أو الغيبة.

[٥، ٦]- وخروج من الغيبة إلى التكلم، أو الخطاب.

- الرابع: التجريد، وهو: ذكر شيء بعد اندراجه في لفظ عام متقدم.

والقصد بالتجريد: تعظيم المجرد ذكره، أو تحقيره، أو رفع الاحتمال.

- الخامس: الاعتراض، وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين، كالخبر والمخبر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخاله في أثناء كلام متصل.

والقصد به: تأكيد الكلام الذي أدرج فيه.

- السادس: التجنيس، وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى،

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.

ثم إن الاتفاق قد يكون :

في الحروف والصيغة .

أو في الحروف خاصة .

أو في أكثر الحروف لا في جميعها .

أو في الخط لا في اللفظ ، وهو تجنيس التصحيف .

- السابع : المطابقة<sup>(١)</sup> ، وهي ذكر الأشياء المتضادة ؛ كالسواد والبياض ، والحياة والموت ، والليل والنهار ، وشبه ذلك .

- الثامن : المقابلة ، وهي أن تجمع بين شيئين فصاعدًا ، ثم تقابلها بأشياء أخرى .

- التاسع : المشاكلة ، وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره ، لوقوعه في صحبته .

- العاشر : التردد ، وهو ردُّ أول الكلام على آخره ، ويسمى في الشعر : رد العجز على الصدر .

- الحادي عشر : لزوم ما لا يلزم ، وهو أن تلتزم قبل حرف الروي حرفًا آخر ، وكذلك<sup>(٢)</sup> عند رؤوس الآيات .

- الثاني عشر : القلب ، وهو أن يكون الكلام يصح<sup>(٣)</sup> ابتداءً قراءته من

(١) في ب : «الطباقي» .

(٢) في ب ، د : «وذلك» .

(٣) في أ : «تصح» ، وفي ب : «يصلح» .

أوله وآخره، نحو: دعد، أو تُعكس كلمائهُ فيقدّم المؤخر منها ويؤخر المقدم.

- الثالث عشر: التقسيم، وهو أن تقسم المذكورَ إلى أنواعه، أو<sup>(١)</sup> أجزائه.

- الرابع عشر: التّميم، وهو أن تزيد في الكلام ما يوضحه أو يؤكد، وإن كان مستقلاً دون هذه الزيادة.

- الخامس عشر: التّكرار، وهو أن تضع الظاهر موضع المضمّر، فتكرّر الكلمة على وجه: التعظيم، أو التهويل، أو لمذح المذكور، أو ذمّه، أو للبيان.

- السادس عشر: التهكّم، وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب، أو بالمخبر عنه، كذكر البشارة في موضع النّذارة.

- السابع عشر: اللفّ والنشر، وهو أن تُلَفّ في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلّقات بها<sup>(٢)</sup>.

وفيه طريقتان:

[١-] أن تبدأ في ذكر المتعلّقات بالأول.

[٢-] وأن تبدأ بالآخر.

(١) في أ، د: «و».

(٢) في أ: «متعلقاتها»، وفي الهامش: «خ: متعلقات بها».



- الثامن عشر: الجمع، وهو: أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد، وفي وصف واحد، وشبه ذلك.

- التاسع عشر: التّرصيع، وهو أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوية الوزن، أو متقاربة مع الألفاظ التي في أوله.

- الموقفي عشريّن: التّسجيع، وهو أن تكون كلمات الآية على رويّ حرف واحد.

- الحادي والعشرون: الاستطراد، وهو أن تتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود، كخروج الشاعر من النّسيب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه إنّما قصد المدح.

- الثاني والعشرون: المبالغة.

وقد تكون بصيغة الكلمة، نحو: صيغة فعّال ومفعّال.

وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف.

فإن اشتدّت المبالغة فهي غلوّ وإغراق، وذلك مستكرّة عند أهل هذا الشأن.

## ﴿الباب الحادي عشر﴾

في إعجاز القرآن وإقامة الدليل

على أنه من عند الله ﷻ

★ ويدلُّ على ذلك عشرةُ وجوه:

- الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام<sup>(١)</sup> المخلوقين.
- الثاني: نظمُه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.
- الثالث: عجزُ الخلق في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.
- الرابع: ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.
- الخامس: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة؛ فوقعت على حسب ما قال.
- السادس: ما فيه من التعريف بالباري ﷻ، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة

(١) في د: «عن غيره من كلام...».

البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والردّ على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحى من العليم الخبير، ولا يشكُّ عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.

- السابع: ما شرع فيه من الأحكام، وبين<sup>(١)</sup> من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمره العلوم.

- الثامن: كونه محفوظًا عن الزيادة والنقصان، محروسًا عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

- التاسع: تيسيره للحفظ؛ وذلك معلومٌ بالمعاينة.

- العاشر: كونه لا يملّه قارئه ولا سامعه على كثرة الترداد، بخلاف سائر الكلام.



(١) في زيادة: «فيه».

## ﴿الباب الثاني عشر﴾

### في فضائل القرآن

وإنما نذكر منها: ما ورد في الحديث الصحيح.

- فمن ذلك: <sup>(١)</sup> عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» <sup>(٢)</sup>.

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتنع فيه وهو عليه شاقٌ له أجران» <sup>(٣)</sup>.

- وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مرٌّ» <sup>(٤)</sup>.

- وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن

(١) في زيادة: «ما ورد».

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧) واللفظ له.

فلهو أشدُّ تفضيلاً من صدور الرجال من النعم بعقلها»<sup>(١)</sup>.

- وعن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(٢)</sup>.

- وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين»<sup>(٣)</sup>.

- وعن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، قال هذا بابٌ من السماء فتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملكٌ فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطيته»<sup>(٤)</sup>.

- وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»<sup>(٥)</sup>.

- وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

(٦) سبق تخريجه، وهو جزء من حديث أبي أمامة أول حديث أورده المؤلف في هذا الباب.

- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»<sup>(١)</sup>.

- وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر!، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر!، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قال: فضرب في صدري وقال: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يا أبا المنذر»<sup>(٢)</sup>.

- وعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تُقدَّمه سورة البقرة وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهما<sup>(٣)</sup> بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرْقٌ»<sup>(٤)</sup>، أو كأنهما فرقان من طير صواف تُحاجَّان عن صاحبهما»<sup>(٥)</sup>.

- وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حفظ عشرَ آياتٍ من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدَّجَالِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٠).

(٣) في ب، ج، د، هـ: «ما نسيتهما»، وفي الرواية في مسلم: «ما نسيتهن».

(٤) أي: ضوء، وهو الشمس. انظر: النهاية لابن الأثير (٢١٣٨/٥).

(٥) أخرجه مسلم (٨٠٥).

(٦) أخرجه مسلم (٨٠٩).

- وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»<sup>(١)</sup>.

- وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت علي لم ير مثلهن قط؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه مسلم (٨١١).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٤).

## ﴿ المقدمة الثانية ﴾

### في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دَوْرُها في القرآن، أو تقع فيه في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف.

★ وإنما جمعناها<sup>(١)</sup> في هذا الباب لثلاث فوائد:

- إحداهما: تيسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرقة، فجمعناها أسهل لحفظها.

- والثانية: ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، كما أن تواليف القراءات جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور.

- والثالثة: الاختصار، فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن؛ خوف التطويل بتكرارها.

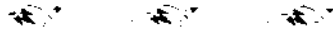
وربما نبهنا على بعضها؛ للحاجة إلى ذلك.

ورتبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسير كلمة في موضعها من القرآن فلينظرها في هذا الباب.

(١) في ب، ج، د: «جعلناها».



واعتبرنا في هذه الحروف الحرف الذي يكون فاء الكلمة وهو الأصلي،  
دون الحروف الزوائد في أول الكلمات<sup>(١)</sup>.



(١) ثمة تشابه، إلى حد كبير، في شرح الكلمات الغريبة وتعداد معانيها بين مادة الغريب لابن جزي هنا وبين «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، وهما متعاصران، ومن بلدة واحدة، وكلاهما من تلاميذ أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي، ومقارنة سريعة بين غريب ابن جزي وغريب أبي حيان في باب واحد توصل إلى هذه النتيجة، يَبْدُ أن ابن جزي اقتصر -في المقدمة- على شرح الكلمات الغريبة التي تكررت في القرآن مرتين فأكثر، وأما أبو حيان فشرح كل كلمة غريبة ولو جاءت في القرآن في موضع واحد، فلعلهما استمداً ما أدتُهما في كتابيهما من كتاب واحد رجعاً إليه جميعاً!.

﴿حرف الهمزة﴾<sup>(١)</sup>

١- آية : لها معنيان :

أحدهما : عبرة وبرهان .

والثاني : آية من القرآن ، وهي كلام متّصل إلى الفاصلة ، والفواصل : هي رؤوس الآيات .

٢- أتى بقصر الهمزة : معناه : جاء ، ومضارعه : يأتي ، ومصدره : إتيان ، واسم الفاعل منه : آت ، واسم المفعول منه : مأتى ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿وَعَدُّمَ مَائِيًّا﴾ [مريم : ٦١] .

(١) يلحظ المطالع لهذه المقدمة في اللغات أن ترتيب حروف الهجاء فيها يختلف عما هو سائد ومألوف عند المشاركة ، وذلك لأن المؤلف تكلف اتباع طريقة أهل جهته المغاربة في ترتيب حروف الهجاء ، فالمغاربة والمشاركة يتحدون في ترتيب الحروف الهجائية المفردة إلى حرف الزاي ثم بعد ذلك يحصل خلاف بينهم في ترتيب بقية الحروف ، يقول القلقشندي في «صبح الأعشى» (٢٢/٣) : «واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين : مفرد ومزدوج ، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب ، أما المفرد : فأهل الشرق يرتّبونه على هذا الترتيب :

أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، لا ، ي .

وأما أهل الغرب فإنهم يرتّبونه على هذا الترتيب :

أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، هـ ، و ، لا ، ي .

٣- وآتى بمد الهمزة: معناه: أعطى، ومضارعه: يؤتي، ومصدره: إيتاء، واسم الفاعل: مؤتٍ؛ ومنه: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢].

٤- أبى يأبى: أي: امتنع.

٥- أَثَرُ الشَّيْءِ: بقيته وأمارته، وجمعه: آثار.

والأثر - أيضاً -: الحديث.

و﴿أَشْرَفَ مِنِّ عَلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٤]: بقيته.

﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾ [الروم: ٩]: حرثوها.

وآثر الرجلُ الشيءَ يؤثره: أي: فضله.

٦- إثمٌ: ذنبٌ؛ ومنه: ﴿ءَاثِمٌ﴾ و﴿أَيْمٍ﴾ أي: مذنبٌ.

٧- أَجْرٌ: ثوابٌ.

وبمعنى: الأجرة؛ ومنه: ﴿أَسْتَجِرُّهُ﴾ [القصر: ٢٦]، و﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ [القصر: ٢٧].

وَأَمَّا: ﴿أَسْتَجَارَكَ فَاجِرُهُ﴾ [التوبة: ٦] و﴿وَيُجْرِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١]

و﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢] و﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]

= فذلك كله من الجوار؛ بمعنى: التأمين.

٨- آمَنَ إيماناً أي: صدق.

والإيمان في اللغة: التصديق مطلقاً.

وفي الشرع: التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والمؤمن في الشرع: المصدق بهذه الأمور.

والمؤمن اسم الله تعالى:

أي: المصدق لنفسه.

وقيل: إنه من الأَمْن، أي: يؤمّن أوليائه من عذابه<sup>(١)</sup>.

٩- وأَمِنَ - بقصر الهمزة وكسر الميم - أَمْنًا وَأَمَنَةً: ضدُّ الخوف.

وَأَمِنَ - أيضًا - : من الأمانة.

وَأَمَّنَ غَيْرَهُ: من التأمين.

١٠- أَلِيمٌ: مؤلِمٌ أي: موجعٌ؛ ومنه: ﴿تَأْلُمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله تَكَلَّفَ: «الإيمان في اللغة: التصديق مطلقاً»، أقول: هذا هو المشهور عند اللغويين وجمهور المفسرين، وهذا التفسير للإيمان أشهر ما احتج به المرجئة القائلون بأن الإيمان هو التصديق، يعنون به تصديق القلب، والقول بأن الإيمان هو التصديق مطلقاً، يقتضي أن كلَّ تصديقٍ إيمانٌ، وخالف في ذلك الإمام ابن تيمية تَكَلَّفَ فقال: الإيمان في اللغة تصديق خاص، وهو التصديق فيما يؤتمن عليه المخبر؛ كالأخبار عن الأمور الغائبة، فلا يقال لمن صدَّق مخبراً عن طلوع الشمس: آمَنَ له، بل صدَّقه؛ لأنَّ طلوع الشمس من الأمور الحسية الظاهرة. وقوله: «والإيمان في الشرع: هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»، أقول: نعم هذا هو الإيمان في الشرع بمعناه الخاص المتعلق بالاعتقاد، ويطلق الإيمان في الشرع إطلاقاً عاماً يشمل جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، يدل لذلك قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبه، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»، وفي الحديث رد على المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان. وعلى ذلك فيكون الإيمان بمعناه العام اسماً لكل ما شرعه الله من الاعتقادات والأعمال والأقوال، ولذا قال أهل السنة: الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.

١١- إمام: له أربعة معان:

[١] القدوة.

[٢] والكتاب.

[٣] والطريق.

[٤] وجمع «آم» أي: تابع؛ وهو: ﴿لِلْمُنَقِبِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

١٢- أمة: لها أربعة معان:

[١] الجماعة من الناس.

[٢] والدين.

[٣] والحين.

[٤] والإمام؛ أي: القدوة.

١٣- أمي: لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك وصف العرب بالأميين.

١٤- أم: لها معنيان:

[١] الوالدة.

[٢] والأصل.

وأم القرى: مكة.

١٥- أخرى: مؤنثة: آخر، وآخر.

١٦- آل: له معنيان:

[١] الأهل؛ ومنه: ﴿آل لُوطٍ﴾ [الحجر: ٦١].

[٢] والأتباع والجنود؛ ومنه: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٥٠].

١٧- أمس: اليوم الذي قَبْلَ يومِك.

والزمانُ الماضي.

١٨- إِنَاهُ: وقته، وجمعه: آنَاءُ؛ ومنه: ﴿ءَانَاءُ آلِيلٍ﴾ [الزمر: ٩].

١٩- أَمْرٌ: له معنيان:

أحدهما: طلب الفعل على الوجوب، أو الندب، أو الإباحة.  
وقد تأتي صيغة الأمر لغير الطلب، كالتهديد، والتعجيز، والتعجب،  
والخبر.

والثاني: بمعنى الشأن والصفة.

وقد يراد به العذاب؛ ومنه: ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [مرد: ٥٨].

٢٠- إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وهو والد  
الأسباط، واليهود من ذريتهم.

٢١- إِيَابٌ: رجوع؛ ومنه: ﴿مَتَابٍ﴾ أي: مرجع.

و«رجلٌ أَوَابٌ»: كثيرُ الرجوع إلى الله.

والتأويب: التسبيح؛ ومنه: ﴿يَجِيَالُ أَوِيٍّ﴾ [سبا: ١٠].

٢٢- إِفْكٌ: أشدُّ الكذب، والأفاك: الكذاب.

وَأَفَكَ الرجلُ عن الشيء: أي: صَرَفَ عنه؛ ومنه: ﴿تُؤَفِّكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

٢٣- أوى الرجلُ إلى الموضع -بالقصر- .

وأواه غيره -بالمد- ؛ ومنه : ﴿الْمَأْوَى﴾ [النازعات : ٣٩] .

٢٤- أَفَّ : كلمة شرٌّ .

٢٥- آلاءُ الله : نِعْمُهُ ؛ ومنه : ﴿آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا﴾ [الرحمن : ١٣] .

٢٦- أَسِيفٌ : له معنيان :

[١] الحُزْنُ .

[٢] والغضب ؛ ومنه : ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف : ٥٥] .

٢٧- إسوة -بكسر الهمزة وضمها- : قُدوة .

٢٨- أَسِيَّ الرجلُ يَأْسِي أَسًا : أي : حَزِنَ ؛ ومنه : ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ [المائدة : ٢٦] و﴿فَكَيْفَ ءَاسَى﴾ [الأعراف : ٩٣] .

٢٩- أَذَانٌ -بالقصر- : إعلامٌ بالشيء ؛ ومنه الأذان بالصلاة .

والأذان -بالمد- : جمع أذُنٍ .

٣٠- أَذِنَ اللهُ : يَأْتِي بمعنى : العلم ، والأمر ، والإرادة ، والإباحة .

وَأَذِنْتُ بالشيء : عَلِمْتُ <sup>(١)</sup> به -بكسر الذال- .

وَأَذَنْتُ به غيري -بالمد- .

٣١- إِضْرُ : له معنيان :

[١] الثَّقُلُ .

(١) في ب ، د : «أعلمتُ» .

[٢] والعهدُ.

٣٢- أَيْدٌ: قوة؛ ومنه: ﴿وَأَيْدِنَهُ﴾ [البقرة: ٨٧] و﴿بَيَّنَّهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

والأيدي: جمع يدٍ، فهمزتها زائدة.

٣٣- أَكَلٌ -بضم الهمزة-: اسم المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها.

والأكُلُ -بفتح الهمزة-: المصدر.

٣٤- أَيْكَةٌ: غَيْضَةٌ.

٣٥- أَثَاثٌ: متاع البيت.

٣٦- أَجَااجٌ: مُرٌّ.

٣٧- أَرَاثُكُ: أَسِرَّةٌ، واحدها: أَرِيكة.

٣٨- أَنِيَّةٌ: له معنيان:

[١] جمعُ إِنْاءٍ؛ ومنه: ﴿يَكْنِئُونَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

[٢] وشديدة الحرِّ؛ ومنه: ﴿عَيْنٍ أَيْنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥].

ووزن الأول: أَفْعِلَةٌ، والثاني: فاعِلَةٌ، ومذكَّرها: آيٌ؛ ومنه: ﴿حَبِيبٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

٣٩- أَحَدٌ: له معنيان:

[١] واحدٌ؛ ومنه: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

[٢] واسمٌ نفْيٍ، بمعنى: إنسان.



٤٠- أَيَّْانَ: معناه: متى.

٤١- أَيَّْ: بمعنى: كيف، ومتى، وأين.

٤٢- إِنَّ المكسورة المشددة: للتأكيد.

والمفتوحة المشددة: مصدرية.

٤٣- إِنَّمَا: للحصر.

٤٤- إِنَّ المكسورة المخففة: أربعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] ونافية.

[٣] وزائدة.

[٤] ومخففة من الثقيلة.

٤٥- أَنَّ المفتوحة المخففة: أربعة أنواع:

[١] مصدرية.

[٢] وزائدة.

[٣] ومخففة من الثقيلة.

[٤] وعبارة عن القول.

٤٦- إِذَا: نوعان:

[١] ظرفُ زمانٍ مستقبلٍ، ومعناها الشرط، وقد تخلو عن الشرط.

[٢] وفجائية.

٤٧- إذ: لها معنيان :

[١] ظرفُ زمان ماضٍ .

[٢] وسببٌ للتعليل .

٤٨- أو :

[أ-] العاطفةُ : لها خمسة معان :

[١] الشكُ .

[٢] والإبهام .

[٣] والتخيير .

[٤] والإباحة .

[٥] والتنويع <sup>(١)</sup> .

[ب-] والناصبَةُ للفعل : بمعنى : «إلى أن»، أو : «إلا أن»، أو : «كي» .

٤٩- أم : استفهامٌ، وقد يكون فيها معنى <sup>(٢)</sup> الإنكار، أو الإضراب .

وتكون :

متصلةٌ ؛ للمعادلة بين ما قبلها وما بعدها .

ومنفصلةٌ مما قبلها .

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ .

(٢) في ب : «وقد يكون بمعنى» .

- ٥٠- إمَّا المكسورة المشددة: للتثنية، والشك، والتخير.
- وقد تكون مركبةً مِنْ «إِنْ» الشرطية و«مَا» الزائدة.
- ٥١- أمَّا المفتوحة المشددة: للتقسيم، والتفصيل.
- ٥٢- أَلَا المفتوحة المخففة: للتنبيه، والاستفتاح، والتوبيخ، والعَرَض، والتمني.
- ٥٣- إِلَّا المكسورة المشددة: استثناء.
- وتكون للإيجاب بعد غير الواجب.
- وتكون مركبةً مِنْ «إِنْ» الشرطية و«لَا» النافية.
- ٥٤- أَيَّ المشددة: سبعة أنواع:
- [١] شرطية.
  - [٢] واستفهامية.
  - [٣] وموصولة.
  - [٤] ومنادى.
  - [٥] وصفة.
  - [٦] وظرفية إذا أُضيفت إلى ظرف.
  - [٧] ومصدرية إذا أُضيفت إلى مصدر.
- ٥٥- إِيَّ المكسورة المخففة: معناها: التصديق.

٥٦- إلى : معناها : انتهاء الغاية .

وقد<sup>(١)</sup> تكون بمعنى «مع» .

٥٧- الهمزة : للاستفهام، والتقدير، والتوبيخ، والنداء، والتسوية،  
وللمتكلم، وأصلية، وزائدة؛ للبناء .



---

(١) في أ، ب: «وقيل» .

## ﴿حرف الباء﴾

٥٨- بَارِئٌ: خَالِقٌ، ومنه: ﴿الْبَرِيَّةُ﴾ [الينة: ٦] أي: الخلق.

٥٩- بَعَثٌ: له معنيان:

[١] بَعَثُ الرسل.

[٢] وبعث الموتى من القبور.

٦٠- بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ: وَسَّعَهُ، وَضَدَهُ: قَبَضَ وَقَدَّرَ الرِّزْقَ أَي: ضَيَّقَهُ.

ومن أسماء الله تعالى: القابض والباسط.

و﴿بَسْطَةً﴾: زيادةً.

٦١- بَشَرَ: مِنَ الْبَشَارَةِ، وَهِيَ: الْإِعْلَامُ بِالْخَيْرِ قَبْلَ وُرُودِهِ.

وقد تكون للشرِّ إذا ذُكِرَ معها.

ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه: الْمُبَشِّرُ وَالْبَشِيرُ.

واستبشِّرَ بالشيء: فرح به.

٦٢- بُعِدَ: له معنيان:

[١] ضِدُّ الْقُرْبِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ: بُعِدَ -بِضْمِ الْعَيْنِ-.

[٢] والهلاك، والفعل منه: بكسرها، ومنه: ﴿كَمَا بَعْدَتْ نُمُودٌ﴾

[مود: ٩٥].

٦٣- بلاءٌ: له معنيان:

[١] العذاب.

[٢] والاختبار، ومنه: ﴿ابْتَأَنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] و﴿وَبَلَّوْكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٦٤- برٌّ: له معنيان:

[١] الكرامة، ومنه: بر الوالدين، و﴿أَنْ تَبَرَّوهُمَا﴾ [المنحة: ٨].

[٢] والتَّقْوَى والجمع لخصال الخير، ومنه: ﴿الْبِرِّ مِنْ أَنْتَقَى﴾

[البقرة: ١٨٩].

ورجل بارٌّ وبرٌّ، وجمعه<sup>(١)</sup>: أبرار.

والبرُّ: من أسماء الله تعالى.

٦٥- بات: معروف، ومصدره بَيَاتٌ.

ويَتُّ الأمر: دَبَّرَهُ بالليل.

٦٦- بغتة: فجأة.

٦٧- بُروج: جمع بُرْج، وهو الحصن.

وبروج السماء: منازل الشمس والقمر.

(١) في ب، ج، هـ: «والجمع».

٦٨- بَيَّنَ : ظرَفَ .

وبين يدي الشيء : ما تقدَّم قبله .

والْبَيِّنُ : الفراق والاجتماع ؛ لأنه من الأضداد .

٦٩- بَيَّنَاتٌ : براهين من المعجزات وغيرها .

ومبيّنة : من البيان .

٧٠- مُبَيَّنٌ<sup>(١)</sup> : من البيان، وله معنيان :

[١] بَيَّنٌ غير متعدي .

[٢] ومبيِّنٌ لغيره .

٧١- بدا يبدو - بغير همز- : ظَهَرَ ، وأبديته : أظهرته .

والبادي -أيضاً- : من البادية ، ومنه : ﴿بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ﴾ [الاحزاب: ٢٠]

٧٢- بدأ - بالهمز- : من الابتداء ، ويقال : بدأ الله<sup>(٢)</sup> الخلق ، وأبدأه .

وقد جاء القرآن بالوجهين .

٧٣- بَغَى : له معنيان :

[١] العدوان على الناس .

[٢] والحسد .

والبِغَاء -بكسر الباء- : الزَّنا ، ومنه : امرأةٌ بَغِيٌّ أي : زانية .

(١) في هـ : «بَيَّن» .

(٢) اسم الله لم يرد في ب ، ج ، د ، هـ .

وابتغى الشيء وبغاه: أي: طلبه.

٧٤- بَثَّ الحديدَ وغيره: نشره.

و﴿الْمَبْثُوثُ﴾ [القارعة: ٤]: المنتشر.

و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]: متفرقة.

والبَثُّ: الحُزْنُ الشديد؛ ومنه: ﴿أَشْكُوا بَنِي﴾ [يوسف: ٨٦].

٧٥- بَوَّأ: أنزل الرجل منزلاً؛ ومنه: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٤]

و﴿لَبَّوْنَهُمْ﴾ [النحل: ٤١]، و﴿مُبَوَّأ﴾ [يونس: ٩٣].

٧٦- بَوَّارٌ: هالِكٌ؛ ومنه: ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨] أي: هلكى.

٧٧- باء بالشيء: رجع به.

وقد يقال بمعنى: اعترف.

٧٨- بأساء: الفقر.

والبؤس: الشدة والمحنة.

و﴿الْبَاسِ الْفَقِيرِ﴾ [الحج: ٢٨]: من البؤس.

والبأس: القتال، والشجاعة، والمكروه.

وبأس الله: عذابه.

وَبِئْسَ: كلمة ذم.

٧٩- برزخ: شيء بين شيئين.

والبرزخ: ما بين الموت والقيامة.



٨٠- بديع: له معنيان:

[١] جميل.

[٢] ومبدع أي: خالق الشيء ابتداءً.

٨١- بسر: عبس، ومنه: ﴿بَايِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤].

٨٢- بصير: من البصر، يقال: أبصرته، ويَصُرْتُ به<sup>(١)</sup>.

والبصائر: البراهين، جمع بصيرة.

٨٣- برز: ظهر؛ ومنه: ﴿بَارِزَةٌ﴾ [الكهف: ٤٧]، و﴿بَرِزُونَ﴾ [غافر: ١٦].

٨٤- بطش: أخذ بشدة.

٨٥- بخس: نقص.

٨٦- بعل: له معنيان:

[١] زوج المرأة، وجمعه: بُعُولَةٌ.

[٢] والبعل - أيضًا - : الرب، وقيل: اسم صنم؛ ومنه: ﴿أَنذَعُونَ بَعْلًا﴾

[الصفات: ١٢٥].

٨٧- بهجة: حُسن، وبهيج: حَسَنٌ.

٨٨- مبلسون: جمع مبلِس، وهو:

اليائس.

(١) في ج، هـ: «بصرته، وأبصرت به».

وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته .

وقيل: الحزين النادم؛ ومنه: ﴿يُئْلِسُ﴾ [الروم: ١٢] .

ومنه اشتق: إبليس .

٨٩- بُهت: انقطعت حجته .

٩٠- تبارك: من البركة، وهي الكثرة والنماء .

وقيل: تقدّس .

٩١- بلى: جوابٌ يقتضي إثبات الشيء .

٩٢- بل: معناها: الإضرابُ عمّا قبلها .

٩٣- الباء: للإلصاق، ولنقل الفعل في التعدي، وللقسم، وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفية، وزائدة .



## ﴿ حرف التاء ﴾

٩٤- تَلَا يَتْلُو : له معنيان :

[١] قرأ .

[٢] وتبع .

٩٥- تقوى : مصدرٌ مشتقٌّ من الوقاية ، فالتاء بدل من واو .

ومعناه : الخوفُ ، والتزامُ طاعة الله ، وتركُ معاصيه ؛ فهو جماع كلِّ خير .

٩٦- تاب يتوب : رجع ، توبةً وتوباً ؛ فهو تائب .

وتَوَّاب : كثير التوبة .

وتَوَّاب : اسم الله تعالى أي : كثير التوبة على عباده .

وتاب الله على العبد :

ألهمه للتوبة<sup>(١)</sup> .

أو قَبِلَ توبته .

٩٧- تَبَّابٌ : خسِران ، وتَبَّ : خَسِرَ .

٩٨- تَبَّارٌ : هلاكٌ ؛ ومنه : ﴿ مُتَّبَرٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٩] .

(١) في د : «التوبة» .

٩٩- أترفوا: نُعموا، والمتَرَفُونَ: المنعمون<sup>(١)</sup> في الدنيا.



---

(١) في د: «المتنعمون».

## ﴿ حرف الثاء ﴾

١٠٠- ثمود: قبيلة من العرب الأقدمين.

١٠١- ثوى في الموضع: أقام فيه، ومنه: ﴿مَثْوَى﴾.

١٠٢- تُبُورٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، و﴿دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] أي صاحوا: واهلاكاه<sup>(١)</sup>.

١٠٣- ثمر: ما يؤكل مما تُنبت<sup>(٢)</sup> الأرض.

ويقال بالفتح والضم.

١٠٤- ثَقِفُوا: أخذوا، وظَفِرَ بهم؛ ومنه: ﴿فَإِنَّمَا تَنَفَّقْتُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧].

١٠٥- ثاقب: مضيء.

١٠٦- ثَمَّ:

[أ-] بالفتح: ظرف.

[ب-] وبالضم: حرف عطف يقتضي الترتيب والمهلة.

وقد يرد لغير الترتيب، كالتأكيد، وترتيب الإخبار.



(١) في ب، ج، د، هـ: «هلاكا».

(٢) في ب، ج، هـ: «تنبت».

## ﴿ حرف الجيم ﴾

١٠٧- جعل: لها أربعة معانٍ:

[١] صير.

[٢] وألقى.

[٣] وخلق.

[٤] وأنشأ يفعل كذا.

١٠٨- جَنَاحُ الطائر: معروف.

وجَنَاحُ الإنسان: إبطه، ومنه: ﴿وَأَضْمُكُمْ إِلَيْكُمْ جَنَاحَكُمْ﴾ [الفصص: ٣٢].

و﴿لَا جُنَاحَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]: لا إثم؛ فمعناه: إباحة.

وجَنَحَ للشيء: مال إليه.

١٠٩- لا جرم: لا بُدَّ.

١١٠- اجتنبى: اختار.

١١١- جدال: مخالفة، ومخاصمة، واحتجاج.

١١٢- تجأرون: تصيحون بالدعاء.

١١٣- جَواري: جمع جارية، وهي السفينة.

١١٤- أجرم فهو مُجرّم له معنيان :

[١] الكفر .

[٢] والعصيان .

١١٥- جِنٌّ : الجنون .

وقد جاء بمعنى الملائكة .

١١٦- جَانٌّ : له معنيان :

[١] الجنون<sup>(١)</sup> .

[٢] والحيّة الصغيرة .

١١٧- جَنَّةٌ : بالفتح : البستان .

وبالكسر : الجنون .

وبالضم : التُّرس وما أشبهه مما يُستتر به ؛ ومنه استعير : ﴿ أَيْمَنَهُمْ جُنَّةٌ ﴾

[المجادلة : ١٦] .

(١) تفسير هذه الكلمة والكلمة التي قبلها -وهي «جِنٌّ»- بالجنون مشكّلٌ، ولم أقف بعد البحث على مَنْ فسرها بذلك، فلعله وهمٌ أو سبق قلم، ولعل صواب تفسير هاتين الكلمتين : أنهم الجنُّ المعروفون المخلوقون من النار، قال المؤلف في تفسير آية «الرحمن» : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾ . . . «الجانُّ : الجنُّ، يعني : إبليس والد الجن»، وجاء في «تحفة الأريب» لأبي حيان الأندلسي (ص : ٩٠) : «جانٌّ : واحد الجن، وجنسٌ من الحيّات»، وانظر تفسير المؤلف لآية «الكهف» : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ وآية «النمل» : ﴿ كَانَتْ جَانًّا ﴾ .

١١٨- جاثية: أي: على رُكبهم؛ لا يستطيعون القيام؛ مما هم فيه.

وقوله: ﴿جِثْيَا﴾ [مریم: ٦٨]: جمع جاثٍ.

١١٩- الجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها.

١٢٠- جاثمين: باركين على ركبهم.

١٢١- جَبَّار: اسم الله تعالى له معنيان:

[١] قهار.

[٢] ومتكبر.

وقد يكون من الجبر للكَسِير وشبهه.

والجَبَّار -أيضاً-: الظالم.

١٢٢- أجداث: قبور.

١٢٣- جَزَى: له معنيان:

[١] من الجزاء بالخير والشر.

[٢] وبمعنى أغنى؛ ومنه: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

وأما أجزاً بالهمز فمعناه: كفى.

١٢٤- جَرَح: له معنيان:

[١] من الجروح.

[٢] وبمعنى: الكسب والعمل؛ ومنه: ﴿جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]،

و﴿أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

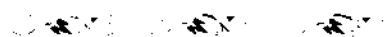


ولذلك سُمِّيَتْ كلاب الصيد: جوارح؛ لأنها كواسِبُ لأهلها.

١٢٥- جُنُب: له معنيان:

[١] من الجنابة.

[٢] وبمعنى: البُعْد؛ ومنه: ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ [القصص: ١١].



## ﴿ حرف الحاء ﴾

١٢٦- حمدٌ: هو الثناء، سواء كان جزاءً على نعمة، أو ابتداءً، والشكر إنما يكون جزاءً؛ فالحمد من هذا الوجه أعمُّ.

والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد إلا باللسان؛ فالشكر من هذا الوجه أعمُّ.

وحميدٌ: اسم الله تعالى، أي: محمودٌ.

١٢٧- حكمة: عقل<sup>(١)</sup>، أو علم.

وقيل في: ﴿الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]: هي السنة.

١٢٨- حكيم: اسم الله تعالى، من:

الحكمة.

أو من الحكم بين العباد.

أو من إحكام الأمور وإتقانها.

١٢٩- حلِيم: الحلم: العقل.

وقد يقال بمعنى: العفو.

(١) في د: «كمال».

والأحلام: العقول.

والحليم: من أسماء الله تعالى:

قيل: الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

وقيل: معناه العفو عن الذنوب.

وأحلام النوم: ما يُرى في المنام.

١٣٠- حِط: بطل، وأحبطه الله: أبطله.

١٣١- حنيف: مسلم وموحد لله.

وقيل: حاج.

وقيل: مختبئ.

وجمعته: حنفاء.

١٣٢- محصنين ومحصنات: الإحصان له أربع معان:

[١] الإسلام.

[٢] الحرية.

[٣] والعفاف.

[٤] والتزويج.

﴿لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]: يقيكم.

١٣٣- حُجَّة - بالضم -: دليل وبرهان.

وحاج فلان فلانًا: جادله، وحجته: غلبه بالحجة.

والحَجَّ - بالفتح والكسر - : القصد؛ ومنه أخذ: ﴿حَجَّ أَلَيْتَ﴾

[آل عمران: ٩٧].

وَحِجَّةٌ - بالكسر - : سَنَةٌ، وجمعها: حَجَج.

١٣٤ - حِطَّةٌ : أي : حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا .

وقيل : هي كلمة بالعبرانية تفسرها : « لا إله إلا الله » .

١٣٥ - حضر : بالضاد : من الحضور؛ ومنه : ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ [الروم: ١٦] ،

و﴿يَتَرَبَّيْطُ الْمُحَضَّرُونَ﴾ [القدر: ٢٨] .

وبالطاء : من المنع؛ ومنه : ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] ،

و﴿كَهَشِيرِ الْمُحْظَرِ﴾ [القدر: ٣١] .

وبالذال : من الحذر وهو الخوف؛ ومنه : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾

[الإسراء: ٥٧] .

١٣٦ - حِفْظُ الْعِلْمِ : وَغْيُهُ ، وَحِفْظُ الشَّيْءِ : حِرَاسَتُهُ .

والحفيظ : اسم الله تعالى :

قيل : معناه العليم .

وقيل : حافظ الخلق ، أي : كَالِئْتِهِمْ مِنَ الْمَهَالِكِ .

١٣٧ - حَاقَ بِهِمْ : حَلَّ بِهِمْ .

١٣٨ - حَبْلٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّاسِ : أي : عهدٌ .

وحبل الله : القرآن .

وأصله: الحبل المعروف.

١٣٩- حَسِبَ - بكسر السين -: ظَنُّ، ومضارعه: بالفتح والكسر.

وحَسَبَ - بالفتح -: مِنَ العدد، ومضارعه: يَحْسُبُ بالضم؛ ومنه: الحساب، والحُسابان.

﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠] أي: مَرَامٍ، واحدها: حُسْبَانَةٌ.

١٤٠- حساب: مِنَ الظَّنِّ، وَمِنَ العدد.

﴿يَغْيِرُ حِسَابٍ﴾: يحتمل:

الوجهين.

وأن يكون: مِنَ المحاسبة، أي: لا يحاسب عليه.

ومن التقدير، أي: بغير تضيق.

﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا: ٣٦] أي: كافياً.

١٤١- حَسِبَ: اسم الله تعالى، فيه أربعة أقوال:

[١] كافٍ.

[٢] وعالمٌ.

[٣] وقادرٌ.

[٤] ومحاسبٌ.

١٤٢- حَسْبُكَ الله: أي: كافيك.

١٤٣- حُزْنٌ: تَأَسَّفٌ عَلَى ماضٍ أَوْ حَالٍ.

والخوف: تَوَقُّعٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

ويقال: حَزَنَ بِكَسْرِ الزَّايِ، وَحَزَنَهُ غَيْرُهُ بَفَتْحِهَا، وَأَحْزَنَهُ -أَيْضًا-.

١٤٤- حَصِيرٌ: مُجْبَسٌ؛ مِنْ الْحَضَرِ.

وَأُحْصِرَ عَنِ الشَّيْءِ: حُجِسَ عَنْهُ.

وحسير -بالسين-: كَلِيلٌ.

١٤٥- حَصِيدٌ: هُوَ مَا يَحْصَدُ مِنَ الزَّرْعِ وَغَيْرِهِ.

واستعير منه: ﴿فَأَيُّمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [مود: ١٠٠] أي: بَاقٍ وَذَاهِبٌ.

١٤٦- حَمِيمٌ: لَهُ مَعْنِيَانِ:

[١] الصَّدِيقُ<sup>(١)</sup>.

[٢] وَالْمَاءُ الْحَارُّ.

١٤٧- مُحِیْصٌ: مَهْرَبٌ.

١٤٨- حَجَرٌ: لَهُ أَرْبَعَةُ مَعَانٍ:

[١] الْحَرَامُ.

[٢] وَالْعَقْلُ.

[٣] وَمَنَازِلُ ثَمُودَ.

(١) فِي ج، د: «الصَّدِيقُ».

[٤] وحجر الكعبة .

١٤٩- جَمَلٌ - بكسر الحاء-: ما على ظهر الدابة وغيرها .

ويستعار للذنوب .

وبالفتح: ما في بطن المرأة، وجمعه: أحمال .

١٥٠- إحسان: له ثلاثة معان:

[١] فعل الحسنات .

[٢] والإِنعام على الناس .

[٣] ومراقبةُ الله تعالى المشارُ إليها في قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»<sup>(١)</sup> .

١٥١- حقٌّ: له أربعة معان:

[١] الصدق .

[٢] والعدل في الحكم .

[٣] والشيء الثابت .

[٤] والأمر الواجب .

والحق: اسم الله تعالى، أي: الواجبُ الوجود<sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه مسلم (٨) في ضمن حديث جبريل الطويل .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: «أي واجب الوجود»، أقول: هذا من معنى اسمه تعالى الحق، ويدخل في معنى هذا الاسم (الحق) أنه الموصوف بكل كمال، المنزه =

١٥٢- حاصِبٌ : ريح شديدة، سُمِّيَتْ بذلك ؛ لأنها ترمي بالحصباء أي :  
الحصى.

والحاصب -أيضاً- : الحجارة.

١٥٣- حَلِيَّةٌ : حَلِيٌّ.

١٥٤- حَرْجٌ : ضيق، أو مشقة.

١٥٥- حَوْلٌ : له معنيان :

[١] العام.

[٢] والحيلة.

و﴿جَوْلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] - بكسر الحاء - : انتقالاً.

١٥٦- حَرْثُ الْأَرْضِ : مصدر، ثم استعمل بمعنى : الأرض، والزرع،  
والجنات.

١٥٧- حَسٌّ -بغير ألف- : قَتْلٌ ؛ ومنه : ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢].  
وأحسَّ : مِنْ الْحِسِّ.

١٥٨- حُرْمٌ -بضمّتين- : محرمون بالحج.

= عن كل نقص، وأنه الإله الحق، رب كل شيء ومليكه، فيدخل في معنى هذا الاسم جميع  
أسمائه الحسنی وصفاته العلی.

ويجوز إطلاق واجب الوجود على الله تعالى خيراً، لا اسماً، فهو تعالى واجب  
الوجود، أي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم، وليس ذلك من الأسماء الحسنی  
التي يدعى بها.



١٥٩- حُقِبَ -بضمّتين- وأحقَابٌ : جمع حَقَبٍ ؛ وهو مدَّةٌ من الدهر، يقال : إنها ثمانون سنة .

١٦٠- حَف الشيءُ بالشيءِ : أطاف<sup>(١)</sup> به من جوانبه ، ومنه : ﴿وَحَفَفْتَهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف : ٣٢] و﴿أَلَمْ لَيْكَةَ حَافِيَتُكَ﴾ [الزمر : ٧٥] .

١٦١- حَلَّ بالمكان : يَحِلُّ -بالضم والكسر- .

وحلَّ من إحرامه : يَحِلُّ -بالكسر<sup>(٢)</sup> لا غير- .

١٦٢- حَطَامٌ : فُتَاتٌ .

والحطام : ما تحطَّم من عِيدَانِ الزرع اليابس .



(١) في د : «أحاط» .

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب ، ج ، د ، هـ .

## ﴿ حرف الخاء ﴾

١٦٣- خلق : له معنيان :

- [١] من الخَلْقَة ؛ ومنه : الخالق اسم الله ، والخالق .  
 [٢] وخلق الرجلُ : كَذَبَ ؛ ومنه : ﴿ وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءً ﴾ [العنكبوت : ١٧] و﴿ أُخْلِقُ ﴾ [ص : ٧] أي : كَذَبُ .

١٦٤- خلاق : نصيب .

١٦٥- خير : ضد الشرِّ ، وله أربعة معان :

- [١] العمل الصالح .  
 [٢] والمال .  
 [٣] والخَيْرَة .  
 [٤] والتفضيل بين شيئين .  
 ١٦٦- خلا : له معنيان :  
 [١] من الخُلُوة .  
 [٢] وبمعنى : ذهب وتقدَّم ؛ ومنه : ﴿ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [البقرة : ١٣٤] .

١٦٧- خطيئة: ذنب، وجمعه: خطايا وخطيئات، والفعل منه: حَطِئَ، فهو خاطئٌ.

وأما الخطأ بغير عمد؛ فالفعل منه: أخطأ.

١٦٨- خاسئين: مطرودين؛ من قولك: خَسَأْتُ الكلبَ، ومنه: ﴿أَخْسُوا﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

١٦٩- خلف -بفتح الخاء وإسكان اللام- له معنيان:

[١] وراء.

[٢] وَمَنْ خَلَفَ سَلْفَهُ بَشَرٌ.

فإذا خلفه بخير قيل بفتح اللام.

١٧٠- خلاف: له معنيان:

[١] من المخالفة.

[٢] وبمعنى: بَعْدَ أَوْ دُونِ؛ ومنه: ﴿يَمْقَعِدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١].

١٧١- حَوَّلَ: أعطى.

١٧٢- حُلَّةٌ -بضم الخاء-: مودَّةٌ؛ ومنه: الخليل، وجمعه: أَخِلَاءٌ.

١٧٣- خِلَالٍ: له معنيان:

[١] وِدَادٌ؛ ومنه: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

[٢] وبمعنى: بَيْنَ؛ ومنه: ﴿خِلَالِ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥] و﴿خِلَالَكُمْ﴾

[التوبة: ٤٧].

- ١٧٤- خَرَّ يَخْرُ: سقط على وجهه .
- ١٧٥- خامدين: مَيِّتِينَ<sup>(١)</sup> هالكين، وأصله: من خمود النار .
- ١٧٦- خَطَبُ: خبرٌ .
- والخطب -أيضاً-: الأمر العظيم .
- وخطبة النساء: بالكسر .
- وخطبة الخطيب: بالضم .
- ١٧٧- خَرَّاصُونَ: كَذَّابُونَ؛ ومنه: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦] .
- والخَرْص -أيضاً-: التقدير؛ وقيل: إِنَّ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ منه؛ أي: يقولون بالظن من غير تحقيق .
- ١٧٨- خَبَالٌ: شَرٌّ .
- ١٧٩- خَوَّان: كثير الخيانة .
- ١٨٠- مختال: من الخيلاء .
- ١٨١- خَتَّار: غَدَّار؛ مِنْ: خَتَرَ العهد .
- ١٨٢- مخمصةٌ: مِنْ الخَمَص؛ وهو الجوع .
- ١٨٣- أَخْدَان: جمع خَذَنٍ؛ وهو الخليل .
- ١٨٤- خَرَّاجٌ وَخَرْجٌ: أي: أَجْرَةٌ، أو عَطِيَّةٌ .

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ .

## ﴿ حرف الدال ﴾

١٨٥ - دين : له خمسة معان :

[١] الملة .

[٢] والعادة .

[٣] والجزاء .

[٤] والحساب .

[٥] والفهر .

١٨٦ - أدنى : له معنيان :

[١] أقرب ؛ فهو من الدنو .

[٢] وأقل ؛ فهو من الدنيء الحقيق .

١٨٧ - دأب : له معنيان :

[١] عادة .

[٢] وجدّ وملازمة ؛ ومنه : ﴿ سَبْعَ مِائِينَ دَابَّاءَ ﴾ [يوسف : ٤٧] أي : متتابعة

للزراعة ؛ من قولك : دأبْتُ على الشيء : دمت عليه .

١٨٨ - دار السلام : الجنة .

١٨٩- دوائر: صروف الدهر، واحدها: دائرة؛ ومنه: ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾

[التوبة: ٩٨].

١٩٠- دعاء: له خمسة معان:

[١] الطلب من الله.

[٢] والعبادة؛ ومنه: ﴿تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦].

[٣] والتمني: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

[٤] والنداء؛ ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣].

[٥] والدعوة إلى الشيء؛ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

١٩١- دابة: كل ما يديب، فتعم<sup>(١)</sup> جميع الحيوان.

١٩٢- دحور: إبعاد؛ ومنه: المدحور: المطرود.

١٩٣- دغ- بتشديد العين- يدغ أي: دفع بعنف؛ ومنه: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾

[الماعون: ٢]، و﴿يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً﴾ [الطور: ١٣].

١٩٤- درأ: دفع؛ ومنه: ﴿وَيَذَرُون﴾ [الرعد: ٢٢].

١٩٥- مدرارًا: من: در المطر: إذا صب.

١٩٦- داخرين: صاغرین.

١٩٧- دُكَّت الأرض: أي<sup>(٢)</sup>: دُفَّت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض

ومنه: ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الاعراف: ١٤٣] أي: مستويًا مع الأرض.

(١) في ب، ج، هـ: «فيجمع».

(٢) في أ: «إذا».

## ﴿ حرف الذال ﴾

١٩٨- ذُكِّرَ: له أربعة معان:

[١] ضد النسيان.

[٢] والذكر باللسان.

[٣] والقرآن؛ ومنه: ﴿تَزَلَّنَا الْذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٩].

[٤] والشرف.

و﴿مَذْكِرٌ﴾ [القمر: ١٥]: مَفْتَعِلٌ من الذِّكْر.

١٩٩- ذَنُوبٌ: بضم الذال: جمع ذَنْبٍ.

وبالفتح: النَّصِيب؛ ومنه: ﴿ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَهْلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩] أي: نصيبًا من العذاب.

والذُّنُوبُ -أيضًا-: الدَّلُوء.

٢٠٠- ذَبْحٌ: بكسر الذال: المذبوح.

وبالفتح: المصدر.

٢٠١- ذَرَأٌ: خلق ونشر.

٢٠٢- ذَلُولٌ: مُذَلَّلَةٌ لِلْعَمَلِ؛ مِنَ الذُّلِّ - بِكسر الـ ذال -؛ وَمِنْهُ: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ [يس: ٧٢].

وَرَجُلٌ ذَلِيلٌ: مِنَ الذُّلِّ - بِالضَّمِّ - .

و﴿وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا﴾ [الإنسان: ١٤]: أَدْنَيْتَ<sup>(١)</sup>.

٢٠٣- أَذْقَانٌ: جَمْعُ ذَقْنٍ.

﴿وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا﴾ [الإنسان: ١٤]

(١) فِي ج، هـ: «أَي: دَنَيْتَ».



## ﴿ حرف الراء ﴾

٢٠٤- رَبٌّ: له أربعة معانٍ:

[١] الإله.

[٢] والسيد.

[٣] والمالك للشيء.

[٤] والمصلح للأمر.

٢٠٥- رَبٌّ: شكٌّ؛ ومنه: ﴿أَرْتَابُوا﴾ [النور: ٥٠]، و﴿مُرِيبٌ﴾ [هود: ٦٢].

و﴿رَبَّ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: حوادث الدهر.

٢٠٦- رَجَعَ: يستعمل متعدّيًا بمعنى: ردّ.

وغير متعدّد.

والمرجع: اسم مصدر، أو زمان، أو مكان؛ من الرجوع.

٢٠٧- رَعَى: له معنيان:

[١] من النظر.

[٢] ومن رعى الغنم.

٢٠٨- رُوحٌ : له أربعة معان :

[١] النفس التي بها الحياة ؛ ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

[٢] والوحي ؛ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [النحل: ٢] .

[٣] وجبريل ؛ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] .

[٤] ومَلَكٌ عظيم ؛ ﴿نَنزِلُكَ أَلْمَلَكَةَ وَالرُّوحِ﴾ [الفرد: ٤] .

ورُوحٌ -بفتح الراء- : رائحة طيبة .

والرَّيحان : الرزق ، وقيل : الشجر المعروف .

٢٠٩- رُكَّامٌ : بعضه فوق بعض ؛ ومنه : ﴿مَرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤] ،

و﴿فَبَرَكُومٌ﴾ [الأنفال: ٣٧] .

٢١٠- رجا : طمع .

وقد يستعمل في الخوف ؛ ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ٧] .

٢١١- رجالٌ : جمع رجل .

وجمع راجلٍ أي : غير راكب ؛ ومنه : ﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧] ،

ومثله : ﴿بِحَبْلِكَ وَرِجْلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] .

٢١٢- رَفَتْ : له معنيان :

[١] الجماع .

[٢] والكلام بهذا المعنى .

٢١٣- رَجَزٌ: عذابٌ، إِلَّا<sup>(١)</sup>: ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ﴾ [المدر: ٥]؛ فهي الأوثان.

والرَّجَس -بالسين-: النَجَس؛ حقيقةً، أو مجازًا.

وقد يستعمل بمعنى العذاب.

٢١٤- رَهَبٌ: خوفٌ؛ ومنه: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

٢١٥- رَوْوفٌ: من الرَّأْفَةِ، وهي الرحمة.

إِلَّا أن الرَّأْفَةَ في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل؛ فهي أعمُّ من الرَّأْفَةِ.

٢١٦- مَرْضَاةٌ: مَفْعَلَةٌ من الرِّضَا.

٢١٧- رَاسِيَاتٌ: ثابتات؛ ومنه قيل للجبال: رواسي، ومنه: ﴿مُرْسَنَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ثبوتها.

٢١٨- رَغَدًا: كثيرًا.

٢١٩- رِبْوَةٌ: مكان مرتفع.

٢٢٠- رَبَا: هو في اللغة: الزيادة؛ ومنه: ﴿وَيُبْرِئِ الْمَدْقَنَتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وربت الأرض: انتفخت.

٢٢١- أَرْحَامٌ: جمع رَحِمٍ؛ وهو فرج المرأة.

ويستعمل -أيضًا- في القرابة.

٢٢٢- أَرْجِه: أَخْرَهْ؛ ومنه: ﴿تَرْجِي﴾ [الأحزاب: ٥١] و﴿مُرْجُونَ﴾ [التوبة: ١٠٦].

(١) في د: «رجز: له معنيان: عذاب، والرجز: ..».

ويجوز فيه : الهمز، وتركه .

٢٢٣- رأى<sup>(١)</sup> : من رؤية العين<sup>(٢)</sup> : يتعدى إلى واحد .

ومن رؤية القلب -بمعنى العلم- : يتعدى إلى مفعولين .

٢٢٤- تربص : انتظر .

٢٢٥- رفات : فُتات .

٢٢٦- أرذل العمر : الهرم .

و﴿الْأَزْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] : من الرُدْالة .

٢٢٧- رقى : من الرقية بفتح القاف ؛ ومنه : ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧] .

ورقي في السُّلَم : بالكسر في الماضي ، والفتح في المستقبل .

٢٢٨- أرداكم : أهلككم ، والردي : الهلاك ؛ ومنه : ﴿لَتَرْذِينَ﴾ [الصافات: ٥٦]

و﴿تَرَذَى﴾ [الليل: ١١] .

٢٢٩- رجفة : زلزلة وشدة<sup>(٣)</sup> .



(١) في هـ : «أراني» .

(٢) في د : «البصر» .

(٣) في ب : «شديدة» .

## ﴿ حرف الزاي ﴾

٢٣٠- زُبُر - بضمّين - : كُتِبَ .

والزُّبُور : كتاب داود عليه السلام .

٢٣١- زُخْرَفٌ : زينةٌ .

والزخرف - أيضًا - : الذهب .

٢٣٢- زكاة : له في اللغة معنيان : الزيادة ، والطهارة .

ثم استعمله الشرع في إعطاء المال ؛ وهو من :

الزيادة ؛ لأنه يبارك له فيه فيزيد .

أو من الطهارة ؛ لأنه يطهره من الذنوب .

وزكّيت الرجل : أثّنت عليه .

وزكّا هو - مخففة - : أي صار زاكياً<sup>(١)</sup> .

٢٣٣- زوج : له ثلاثة معان :

[١] الرجل .

(١) في د : «زكياً» .

[٢] والمرأة؛ وقد يقال فيها: زوجة.

[٣] وبمعنى: الصنف والنوع؛ ومنه: ﴿أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣]، و﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧].

٢٣٤- زَلَّ: له معنيان:

[١] زَلَّ القدم عن الموضع.

[٢] وفعل الزَّلَل.

٢٣٥- زَاغَ عن الشيء زَيْغًا: مال عنه، وأزاغه غيره: أماله.

٢٣٦- زُلْفَى: قربي، و﴿أَزْلَفْتَ﴾: قُرْبَت.

﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]: ساعات.

٢٣٧- زَعَمَ: أي: ادَّعى ولم يوافقهِ غيره.

قال ابن عباس: زَعَمَ: كنايةٌ عن كذب<sup>(١)</sup>.

٢٣٨- زَعِيمٌ: ضامن.

٢٣٩- يُزَجِّي: يسوق.

٢٤٠- زَلْزَلَةُ الْأَرْضِ: اهتزازها.

وتستعمل بمعنى: الشدَّة والخوف؛ ومنه: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤].

(١) هذا من قول من ابن عمر رضي الله عنهما، وليس من قول ابن عباس رضي الله عنه، أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٩/٢٣) إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «زَعَمَ: كُتِبَ الكَذِبُ».

٢٤١- زجرة واحدة: صيحة، يعني: نفخة الصور.

والزجرة: الصيحة بشدة وانتهاز.

و﴿وَأَزْدُجِرَ﴾ [الفر: ٩]: من الرُّجْرِ.



## ﴿ حرف الطاء ﴾

٢٤٢- طَبَعَ : خَتَمَ ، والخاتم : الطابع .

٢٤٣- طَوَّلَ -بفتح الطاء- : فَضَّلَ ، أَوْ غَنَى .

٢٤٤- طَائِرٌ : له معنيان :

[١] من الطَّيْرَانِ .

[٢] ومن الطَّيْرَةِ .

٢٤٥- طَوَى : قِيلَ : اسم للوادي .

وقيل : معناه : مرتين ، أي : قُدَّسَ الوادي مرتين .

٢٤٦- طَهَّارَةٌ : له معنيان :

[١] الطهارة بالماء ؛ ومنه : ﴿ جُنُبًا فَاطْهَرُوا ﴾ [المائدة: ٦] ، والماء الطهور ؛

وهو المطَّهَّرُ .

[٢] والطهارة من القبائح والردائل ؛ ومنه : ﴿ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢]

٢٤٧- طَيِّبٌ : له معنيان :

[١] اللذيذ<sup>(١)</sup> .

(١) في ج ، د : « الدين » .



[٢] والحلال.

٢٤٨- طُوفان: سيل عظيم.

٢٤٩- طاغوت: أصنام وشياطين، ويكون مفردًا وجمعًا.

والطاغوت -أيضًا-: رئيس النصارى -على قول-.

٢٥٠- طباق: بعضها على بعض.

و﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]: حالًا بعد حال.

٢٥١- طُورٌ -بالضم-<sup>(١)</sup>: الجبل، وهو الطُّود.

٢٥٢- طَفِقَ يفعلُ كذا: أي: جعل يفعله.

٢٥٣- طائفين: من الطواف<sup>(٢)</sup>.

و﴿طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: لَمَمٌ، و﴿طَئِفٌ﴾: فاعل منه.



(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

(٢) في ج، د: «طائفتين: من الطوائف».

## ﴿ حرف الظاء ﴾

٢٥٤- ظَهَرَ الأمرُ: بدا، وأظهره غيره: أبداه.

٢٥٥- ظهيرٌ: معين.

٢٥٦- ظاهر الرجلُ من امرأته، وتظاهر وتظَهَّرَ أي: قال لها: «أنتِ عليّ كظهر أمي»، وهو الظَّهار.

٢٥٧- ظَهَرُ البيتِ: أعلاه.

وظهرته أي: ارتفعت عليه؛ ومنه: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧].

٢٥٨- ظَلَمَ: يقع في القرآن على ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والمعاصي.

[٣] وظلم الناس أي: التعدي عليهم.

٢٥٩- ظَنَّ: له ثلاثة معان:

[١] التَّحْقِيقُ.

[٢] وغلبة أحد الاعتقادين.

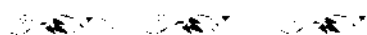
[٣] والتُّهْمَةُ.

٢٦٠- ظمأً : عطشٌ .

٢٦١- ظلال : جمع ظلّ .

وُظِّل - بالضم - : جمع ظُلة ؛ وهي ما كان من فوق .

٢٦٢- ظلّ بالنهار : بمنزلة بات بالليل .



## ﴿ حرف الكاف ﴾

٢٦٣- كافر: له معنيان:

[١] من الكفر؛ وهو الجحود.

[٢] وبمعنى: الزرع<sup>(١)</sup>؛ ومنه: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: الزَّرَاعُ.

وتكفير الذنوب: غفرانها.

٢٦٤- كَافَّةً: جميعاً.

٢٦٥- كَرَّةً: رجعة.

٢٦٦- كَبَّرَ - بكسر الباء-: من السَّنَّ، يَكْبُرُ - بالفتح - في المضارع.

وَكَبَّرَ الأمرُ - بالضم - في الماضي والمضارع.

وَكُبَّرَ - بضم الكاف وفتح الباء-: جمع كبرى.

وَكُبَّارٌ - بالضم والتشديد-: كبيرٌ، مبالغَةٌ.

والكِبَرُ: التكبرُ.

وَكَبَّرَ الشيءَ - بكسر الكاف وضمها-: معظَّمَهُ.

(١) في د: «الزارع».

والكبرياء: المُلْك والعظمة.

والمتكبر: اسم الله تعالى، من الكبرياء بمعنى<sup>(١)</sup>: العظمة.

٢٦٧- كَفَلَ: يَكْفُلُ أَي: ضَمَّ الصَّبِي وَحَصَّنَهُ.

﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص: ٢٣]: اجْعَلْنِي كَافِلَهَا.

٢٦٨- كَفَلَ: نَصِيبٌ.

٢٦٩- كِلَالَةٌ: هي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد.

٢٧٠- كَاد: قارب الأمر ولم يفعله.

فإذا نُفِيَ اقْتَضَى الإثبات.

٢٧١- كَرِيمٌ: من الكرم، وهو الحَسَب والجلالة والفضل.

وكريم: اسم الله تعالى؛ أَي: محسنٌ.

٢٧٢- أَكَنَّةٌ: أَغْطِيَةٌ.

وأكنان: جمع كِنٌ؛ وهو ما وَقَى من الحر والبرد.

٢٧٣- كَهْلٌ: هو الذي انتهى شبابه.

٢٧٤- أَكْمَامٌ: جمع كِمٍّ؛ وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها.

٢٧٥- أَكَبَّ الرجلُ على وجهه؛ فهو مُكَبَّبٌ، وَكَبَّهْ غَيْرُهُ: بغير ألف.

٢٧٦- كَهْفٌ: غَارٌ.

(١) في ب، ج، هـ: «وبمعنى».

٢٧٧- كَيْدٌ: هو من المخلوق: احتيالٌ.

وهو من<sup>(١)</sup> الله: مشيئةُ أمرٍ ينزل<sup>(٢)</sup> بالعبد من حيث لا يشعر.

٢٧٨- كِسْفًا بفتح السين: جمع كِسْفَةٍ؛ وهي القطعة من الشيء.

وبالسكون: كذلك، أو مفرد.

٢٧٩- كُتِبُوا: أي: أهلكوا، ﴿يَكْنُتُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٧]: يُهْلِكُهُمْ، أو يَخْزِيهِمْ<sup>(٣)</sup>.

٢٨٠- أَكْمَهُ: هو الذي وُلِدَ أعمى.

٢٨١- كَانَ: على نوعين:

[١] تَامَّةٌ؛ بمعنى حضر، أو حدث، أو وقع، وهي ترفع الفاعل.

[٢] وناقصة؛ وهي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبر عنه في زمانها.

وقد تأتى بمعنى الدوام في مثل قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوَراً رَحِيماً﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه: لم يزل ولا يزال موصوفاً بذلك الوصف.

٢٨٢- كَأَنَّ: معناها التشبيه.

٢٨٣- كَي: معناها التعليل.

(١) في ب، ج، د، هـ: «ومن».

(٢) في د: «يقع».

(٣) في د: «يخرجهم».

٢٨٤- كم : معناها التكثير، وهي خبرية، واستفهامية.

٢٨٥- كَأَيِّنُ : بمعنى : كم.

وهي عند سيويه : كافُ التشبيه دخلت على أيّ.

٢٨٦- كَلَّا : حرف ردع وزجر.

وقيل : إنها تكون للنفي، أي : ليس الأمر كما ظننت.

وقيل : إنها استفتاح كلام بمعنى ألا .

٢٨٧- الكاف : بمعنى التشبيه، وبمعنى التعليل.

وقيل : إنها تكون زائدة.



## ﴿ حرف اللام ﴾

٢٨٨- لَبَسَ الأمرَ: أي: خَلَطَهُ، بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل.

ولَبَسَ الثوبَ: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٨٩- أَلْبَابٌ: عقول؛ وهو جمع لُبٍّ.

٢٩٠- لَبِثَ في المكان: أقام فيه.

٢٩١- لَمَزَ يَلْمِزُ: أي: عاب الشيء.

٢٩٢- لَوْلَوْ: جوهر.

٢٩٣- لَغَوُ الكلام: الباطلُ منه، والفحش<sup>(١)</sup>.

ولغو اليمين: ما لا يلزم.

٢٩٤- لَهَا - بفتح الهاء - : من اللُّهُو، ومضارعه: يَلْهُو.

وَلَهِيَ عن الشيء - بالكسر والياء - يَلْهَى - بالفتح - : إذا أعرض عنه.

وَأَلْهَاهُ الشَّيْءُ: إذا أشغله؛ ومنه: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩].

٢٩٥- لَطِيفٌ: اسم الله تعالى؛ قيل: معناه رفيق.

(١) في د: «ومنه الفحش».



وقيل : خبير بخفّيات الأمور .

٢٩٦- لدى ولدن : معناهما عند .

٢٩٧- ليت : معناها التمني .

٢٩٨- لعلّ : معناها الترجّي في المحبوبات ، والتوقّع للمكروهات .

وأشكل ذلك في حق الله تعالى ؛ فقليل : جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب ، وبالنظر إلى المخاطب ، أي : ذلك مما يُرتجى عندكم ، أو <sup>(١)</sup> يُتوقّع .

وقد يكون معناها : التعليل <sup>(٢)</sup> ، أو مقارنة الأمر ؛ فلا إشكال .

٢٩٩- لو : لها معنيان :

[١] التمني .

[٢] وامتناع شيء لامتناع غيره .

٣٠٠- لولا : لها معنيان :

[١] العرض ، مثل : لوّما .

[٢] وامتناع شيء لوجود غيره .

٣٠١- لمّا : لها معنيان :

[١] النفي ، وهي الجازمة .

(١) في ب ، ج ، هـ : «أي» .

(٢) في د : «التقليل» .

[٢] ووجود شيء لوجود غيره .

وأما لَمَّا - بالتخفيف - : فهي لام التأكيد دخلت على «ما» .

وقال الكوفيون : هي بمعنى «إلا» الموجبة بعد النفي .

٣٠٢- لا : ثلاثة أنواع :

[١] نافية .

[٢] وناهية .

[٣] وزائدة .

٣٠٣- اللام : خمسة أنواع :

[١] لام الجرّ .

[٢] ولام كي .

[٣] ولام الجحود .

[٤] ولام الأمر .

[٥] ولام التأكيد في القسم وغيره ؛ وهي المفتوحة .

ثم إن لام الجرّ لها ثلاثة معان : المِلْك ، والاستحقاق ، والتعليل .

وقد تأتي للتعدي إذا ضعفَ العامل .

وقد تأتي بمعنى «عند» ؛ نحو : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه : ١٤] ،

و﴿لَذُلُّوكَ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

ولام كي معناها : السبيّة ، والتعليل .

وقد تأتي بمعنى الصيرورة في العاقبة ؛ نحو : ﴿فَالْفَقْطَةُ ءَالُ فِرْعَوْنَ  
لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ [النصم : ٨] .

وقد تأتي بمعنى «أن» المصدرية ؛ ومنه : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾  
[النساء : ٢٦] .

~~~~~

﴿ حرف الميم ﴾

٣٠٤- مرضُ الجسد: معروف.

ومرض القلب: الشكُّ في الإيمان، والبُغضة في الدين.

٣٠٥- المَنُّ: شبه العسل.

وقيل: خبزٌ^(١) النَّقيّ.

والسلوى: طائر.

والمَنُّ -أيضًا-: الإنعام.

والمَنُّ -أيضًا-: ذِكرُ العطيّة.

والمَنُّ -أيضًا-: القطع؛ ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

٣٠٦- أمانِيّ: جمع أمنيّة، ولها ثلاثة معان:

[١] ما تتمنّاه النفس.

[٢] والتلاوة.

[٣] والكذب.

(١) في د: «الخبز».

وكذلك تمنى ؛ له هذه المعاني الثلاثة .

٣٠٧- ملأ القوم : أشرفهم ، وذوو الرأي منهم .

٣٠٨- مثل - بفتح الميم والثاء - له أربعة معان :

[١] الشبيه والنظير .

[٢] ومن المثل المضروب ؛ وأصله من التشبيه .

[٣] ومثل الشيء : حاله وصفته .

[٤] والمثل : الكلام الذي يُتمثل به .

ومثل الشيء - بكسر الميم - : شُبَّهه .

٣٠٩- مَرِيَّةٌ : شكٌ ؛ ومنه : ﴿الْمُنْتَرِينَ﴾ [البقرة : ١٤٧] أي : الشاكين .

و﴿فَلَا تُمَارِ﴾ [الكهف : ٢٢] من المراء ؛ وهو الجدل .

٣١٠- أَمَلَى لَهُمْ : أمهلهم وزادهم .

٣١١- مهاد : فراش .

٣١٢- مَدَّ يَمْدُ : أي : أملى .

وقد تكون بمعنى : زاد ؛ مثل : أمدَّ بالآلف من المَدَد^(١) .

٣١٣- مُضَغَةٌ : قطعة لحم .

٣١٤- إملاقٌ : فقر .

(١) في ب ، د : «المداد» .

٣١٥- مَرِيدٌ وَمَارِدٌ: مِنَ الْعُتُوِّ وَالضَّلَالِ.

٣١٦- مَكَانَةٌ: بِمَعْنَى: مَكَانٍ.

أو: مِنَ التَّمَكُّينِ^(١) وَالْعَزِّ؛ وَمِنْهُ: ﴿مَكِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

٣١٧- مُوَاخِرٌ: فَوَاعِلٌ مِنَ الْمَخْرِ؛ يُقَالُ: مَخَرَّتِ السَّفِينَةُ: إِذَا جَرَتْ تَشَقُّ الْمَاءِ.

٣١٨- مَجِيدٌ: مِنَ الْمَجْدِ؛ وَهُوَ الْكَرَمُ وَالشَّرَفُ.

٣١٩- مَقَّتٌ: هُوَ الدَّمُ، أَوْ الْبَغْضُ عَلَى فِعْلِ الْقِيحِ.

٣٢٠- مَعِينٌ: مَاءٌ جَارٍ كَثِيرٌ؛ وَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ: مَعَنَ الْمَاءُ أَي: كَثُرَ.

وَقِيلَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَيْنِ، وَوَزَنُهُ: مَفْعُولٌ؛ فَالْمِيمُ زَائِدَةٌ.

٣٢١- مَرِيحٌ: مُخْتَلِطٌ.

وَالْمَارِجُ: لَهَبُ النَّارِ؛ مِنْ قَوْلِكَ: مَرَجَ الشَّيْءُ: إِذَا اضْطَرَبَ.

وَقِيلَ: مِنَ الْإِخْتِلَاطِ؛ أَي: خُلِطَ نَوْعَانِ مِنَ النَّارِ.

٣٢٢- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ: أَي: خَلَّى بَيْنَهُمَا. ۞

وَقِيلَ: خَلَطَهُمَا.

وَقِيلَ: أَفَاضَ أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ.

٣٢٣- مُهْلٌ: فِيهِ قَوْلَانِ:

(١) فِي د: «التَّمَكُّن».

دُرْدِيُّ الزَيْت^(١).

وما أُذِيبَ مِنَ النِّحَاسِ.

٣٢٤- مَنُون : لَهُ مَعْنِيَان :

[١] الْمَوْتِ.

[٢] وَالذَّهْرِ.

٣٢٥- مَس : لَهُ مَعْنِيَان :

[١] اللَّمَسُ بِالْيَدِ وَغَيْرِهِ.

[٢] وَالْجَنُونِ.

٣٢٦- مَن : أَرْبَعَةُ أَنْوَاع :

[١] شَرْطِيَّة.

[٢] وَمَوْصُولَةٌ.

[٣] وَاسْتِفْهَامِيَّة.

[٤] وَنَكْرَةٌ مَوْصُوفَةٌ.

٣٢٧- مَا :

[أ-] إِذَا كَانَتْ اسْمًا فَلَهَا سِتَّةُ أَنْوَاع :

[١] شَرْطِيَّة.

(١) هُوَ مَا يَبْقَى فِي أَسْفَلِهِ . «لِسَانُ الْعَرَبِ» مَادَّةُ (دَرْد).

[٢] وموصولة .

[٣] واستفهامية .

[٤] وموصوفة .

[٥] وصفة .

[٦] وتعجبية .

[ب-] وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع :

[١] نافية .

[٢] ومصدرية .

[٣] وزائدة .

[٤] وكافّة .

[٥] ومهيّئة^(١) .

٣٢٨- من : لها ستة أنواع :

[١] لا ابتداء الغاية .

[٢] ولجملة الغاية .

[٣] وللتبويض .

(١) أي : تهییء «إن» وأخواتها للدخول على الجمل . انظر : «أوضح المسالك» لابن هشام (١/٣١٠) .

[٤] ولييان الجنس .

[٥] وللتعليل .

[٦] وزائدة .

٣٢٩- مهما : اسم شرط .



﴿ حرف النون ﴾

٣٣٠- نَظَرَ : له معنيان :

[١] من النَّظَر .

[٢] ومن الانتظار .

فإذا كان من الانتظار : تعدَّى بغير حرف .

وَمِنْ نظر العين : يتعدى بـ «إلى» .

وَمِنْ نظر القلب : يتعدى بـ «في» .

٣٣١- أَنْظَرَ -بالألف- : أَخْرَجَ ؛ وَمِنْهُ : ﴿ أَنْظِرْنِي ﴾ [الأعراف : ١٤] ، و﴿ مِنْ

الْمُنْظَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥] ، و﴿ فَنَظَرَهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

٣٣٢- نَضَرَهُ -بالضاد- : مِنَ التَّنْعَمِ ؛ وَمِنْهُ : ﴿ يُؤْمِنُ بِإِذْنِ نَاصِرَةٍ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾

[القيامة : ٢٢] أَي : ناعمة .

وأما : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ نَاطِرٌ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾ [القيامة : ٢٣] : فهو من ^(١) النظر .

٣٣٣- نعمة : بفتح النون : مِنَ النَّعِيمِ .

وبكسرهما : مِنَ الْإِنْعَامِ .

(١) في ب ، ج ، هـ : «فمن» .

٣٣٤- أنعام: هي الإبل والبقر والغنم، دون سائر البهائم. ويجوز تذكيرها وتأنيسها.

ويقال لها -أيضا-: نَعَمٌ.

٣٣٥- نِعَم: كلمة مدح، ويجوز فيها: كسر النون وفتحها، وإسكان العين وكسرها.

٣٣٦- نَعَم -بفتح النون والعين-: كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها من نفي أو إثبات.

بخلاف «بلى»؛ فإنها للإثبات خاصة.

ويجوز في «نعم»: فتح العين وكسرها.

٣٣٧- نَذُّ: هو المضاهي والمماثل والمعاند، وجمعه: أندادٌ.

٣٣٨- أَنْذَر: أَعْلَمَ بالمكروه قبل وقوعه؛ ومنه: ﴿نَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، و﴿مُنْذِرٌ﴾ [الرعد: ٧]، و﴿الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، ﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك: ١٧] أي: إنذارِي؛ فهو مصدر؛ ومنه: ﴿عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [القمر: ١٦].

وَنَذَرَ النَّذْرَ: بغير ألف؛ ومنه: ﴿نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، و﴿وَلْيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

٣٣٩- نَكَالٌ: له معنيان:

[١] العقوبة.

[٢] والعبرة.

٣٤٠- نَجَّى - بتشديد الجيم - : له معنيان :

[١] من النجاة .

[٢] ومن النجوة ؛ وهو الموضع المرتفع ؛ ومنه : ﴿سَجَّكَ بِدَنِكَ﴾

[يونس : ٩٢] على قول .

٣٤١- نجوى : معناه : كلامٌ خفي ؛ ومنه : ناجى ، و﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾

[مريم : ٥٢] .

وقيل : إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾

[الإسراء : ٤٧] .

وقد يحمل ذلك على حذف مضاف تقديره : وإذ هم أصحاب نجوى .

٣٤٢- نسيان : له معنيان :

[١] الذُّهول ؛ ومنه : ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

[٢] والترك ؛ ومنه : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة : ٦٧] .

٣٤٣- نسخٌ : له معنيان :

[١] الكتابة ؛ ومنه : ﴿تَسْتَنَسِخُ مَا كُتِبَ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية : ٢٩] .

[٢] والإزالة ؛ ومنه : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

٣٤٤- نصرٌ - بالصاد المهملة - : معروف .

وبالسين : اسم صنم ^(١) ؛ ﴿وَيَعُوقُ وَشَرَآ﴾ [نوح : ٢٣] .

(١) في د زيادة : «ومنه» .

واسم طائر -أيضاً- .

٣٤٥- نشور: خروج الناس من القبور، يقال: أنشروهم الله فنشروا .

﴿الرَّيْحَ نُشِّرَا﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ لأنها تنشر السحاب .

٣٤٦- نشوز -بالزاي-: له معنيان :

[١] شرّ بين الرجل والمرأة .

[٢] وارتفاع؛ ومنه: ﴿أَنْشُرُوا﴾ [المجادلة: ١١] أي: قوموا من المكان .

٣٤٧- نُزْلٌ -بضمين-: رِزْقٌ؛ وهو ما يطعم الضيف .

٣٤٨- نَأَى: أي: بُعد؛ ومنه: ﴿وَيَنْتَوَتْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] .

٣٤٩- نَكَصَ: رجع إلى وراء .

٣٥٠- نَفَرَ نَفُورًا عن الشيء: ينْفِرُ -بضم المضارع-؛ ومنه: نفرت

الداية .

ونَفَرَ يَنْفِرُ -بكسر المضارع- نفيرًا: أي: أسرع وجَدًّا؛ ومنه: ﴿أَنْفِرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٨] .

٣٥١- نَبَأٌ: خبر؛ ومنه اشتق النبيء بالهمز، وترك الهمز تخفيفً .

وقيل: إنه -عند من ترك الهمز- مشتق من النبوة؛ وهي الارتفاع .

٣٥٢- نطفة: أي نقطة من ماء؛ ومنه: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾

[فاطر: ١١] يعني: من المنى .

٣٥٣- أَنَابَ إلى الشيء: رجع ومال إليه؛ ومنه: ﴿مُنِيبٌ﴾ [مزد: ٧٥] .

٣٥٤- نَفِدَ يَنْفَدُ: أي: تَمَّ وانقطع.

٣٥٥- نَهَرٌ -بفتح الهاء-: الوادي، ويجوز الإسكان.

وَأَمَّا ﴿السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ﴾ [الضحى: ١٠]: فهو من الانتهار؛ وهو الزُّجر.

٣٥٦- منيرٌ: من النور؛ وهو الضوء حسًّا أو معنًى.

٣٥٧- نَصَبٌ: بضمّتين، وبضمّ النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد: بمعنى واحد؛ وهو حَجَرٌ أو صنم كان المشركون يذبحون عنده، وجمعه: أنصاب.

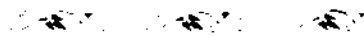
٣٥٨- نَصَبٌ -بفتحيتين-: تعبٌ، و﴿مَسْنَى الشَّيْطَانُ يَنْصَبُ﴾ [ص: ٤١] أي: بلاءٌ وشرٌّ.

٣٥٩- نَقَمَ الشَّيْءَ يَنْقِمُهُ: أي: كرهه وعابه.

٣٦٠- نَضِيدٌ: منضوّدٌ بعضه إلى بعض.

٣٦١- نَكِيرِي: إنكاري^(١)، ويقال: نَكَرَ الشَّيْءَ وأنكره: بمعنى^(٢).

٣٦٢- يَنْسِلُونَ: من النَّسْلان؛ وهو الإسراع في المشي مع قرب الخطأ.



(١) في أ، د: «نكير: إنكار».

(٢) في د زيادة: «واحد».

﴿ حرف الصاد ﴾

٣٦٣- صراطٌ : هو في اللغة : الطريق ، ثم استعمل في القرآن بمعنى : الطريقة الدينية .

وأصله السين ، ثم قلبت صادًا ؛ لحرف الإطباق بعدها .
وفيه ثلاث لغات : بالصاد ، وبالسین ، وبين الصاد والزاي .

٣٦٤- صلاة : إذا كانت من الله : فمعناها رحمة .

وإذا كانت من المخلوق : فلها معنيان :

[١] الدعاء .

[٢] والأفعال المعلومة .

٣٦٥- صومٌ : أصله في اللغة : الإمساك مطلقًا .

ثم استعمل شرعًا في : الإمساك عن الطعام والشراب^(١) .

وقد جاء بمعنى الصمت في قوله : ﴿ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ [مريم : ٢٦] ؛ لأنه إمساكٌ عن الكلام .

(١) في هامش ب : «والجماع» .

٣٦٦- صدقة: ينطلق^(١) على: الزكاة الواجبة، وعلى التطوع؛ ومنه: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَفِّقَاتِ﴾ بالتشديد؛ أي: المتصدقين [الحديد: ١٨].

وأما: ﴿أَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥٢] بالتخفيف: فهو من التصديق.

٣٦٧- صدقة - بضم الدال - : صداق المرأة؛ ومنه: ﴿وَأَتَوْا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ﴾ [النساء: ٤].

٣٦٨- الصدق: في القول: ضد الكذب.

والصدق في الفعل: حُسن النية فيه.

والصدق في القصد: العزم الصادق.

٣٦٩- صعد يصعد أي: ارتفع.

وأصعد - بالألف - يُصعد - بالضم - أي: أبعد في الهروب؛ ومنه: ﴿إِذْ نُصْعِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

٣٧٠- صعيداً طيباً: أي: تراباً.

والصعيد: وجه الأرض.

٣٧١- صدّ: له معنيان:

[١] فالمتعدّي: بمعنى: منع غيره من شيء، ومصدره: صدّ، ومضارعه بالضم.

[٢] وغيره: بمعنى: أعرض، ومصدره: صدودّ.

(١) في د: «تطلق».

٣٧٢- صار: له معنيان:

- [١] من الانتقال؛ ومنه: ﴿نَصِيرُ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٥٣]، و﴿الْمَصِيرُ﴾.
 [٢] وبمعنى: ضَمَّ، ومضارعه: يَصُور؛ ومنه: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٣٧٣- صاعقة: لها ثلاثة معان:

- [١] الموت.
 [٢] وكلُّ بلاءٍ يصيب.
 [٣] وقطعة نارٍ تنزل مع شدة الرعد والمطر.
 وجمعها: صواعق.
 ٣٧٤- أَصَرَ عَلَى الذَّنْبِ يُصِرُّ إِصْرَارًا: دام عليه، ولم يتب منه.
 ٣٧٥- صُوعًا: مِكْيَالًا؛ وهو السقاية والصاع.
 وسُوع - بالسین -: اسم صنم.

٣٧٦- صابين^(١): قوم يعبدون الملائكة ويقولون: إنها بنات الله.
 وقيل: إنهم يرون تأثير الكواكب.
 وفيه لغتان:

الهمز.

(١) كذا رسمت كلمة «صابين» في النسخ الخطية بغير همز؛ اتباعًا لقراءة نافع.

وتركّه؛ مِنْ: صَبَا إِلَى الشَّيْءِ: إِذَا مَالَ إِلَيْهِ.

٣٧٧- تَصْطَلُّونَ: تَفْتَعِلُونَ؛ مِنْ: صَلَّى بِالنَّارِ^(١): إِذَا تَسَخَّنَ بِهَا، وَالطَّاءُ بَدَلٌ مِنَ التَّاءِ.

٣٧٨- اصْطَفَى: أَي: اخْتَارَ، وَأَصْلُهُ: مِنَ الصَّفَا؛ أَي: اتَّخَذَهُ صَفِيًّا.

٣٧٩- صَغَارٌ -بِفَتْحِ الصَّادِ-: ذِلَّةٌ؛ وَمِنْهُ: ﴿صَغُرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].
وَالصَّغِيرُ: ضِدُّ الْكَبِيرِ.

٣٨٠- صَدَفَ عَنِ الشَّيْءِ يَصْدِفُ: أَعْرَضَ عَنْهُ.

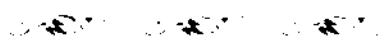
٣٨١- صَرِيخٌ: مُغِيثٌ؛ وَمِنْهُ: ﴿مَا أَنَا بِمُفْرِحِكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٣٨٢- صَلْصَالٌ: طِينٌ يَابَسٌ.

فَإِذَا مَسَّتْهُ النَّارُ: فَهُوَ فَخَّارٌ.

٣٨٣- صَرْحٌ: قَصْرٌ.

وَهُوَ -أَيْضًا-: الْبِنَاءُ الْعَالِي.



(١) فِي د: «النَّار».

﴿ حرف الضاد ﴾

٣٨٤- ضرب : له أربعة معان :

[١] مِنَ الضَّرْبِ باليد وشبهه .

[٢] ومن ضرب الأمثال .

[٣] ومن السفر؛ ومنه : ﴿ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [النساء : ١٠١] .

[٤] ومن الالتزام؛ ومنه : ﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ ﴾ [آل عمران : ١١٢] أي :
الزموها .

و﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾ [الكهف : ١١] أي : ألقينا عليهم النوم .

و﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ ﴾ [الزخرف : ٥] أي : نُمسك عنكم التذكير .

٣٨٥- ضاعف الشيء : كثره ، ويجوز فيه التشديد .

وضِعِف الشيء - بكسر الضاد- : مثلاه ، وقيل : مثله .

والضُّعَف - أيضًا- : العذاب .

والضُّعَف بالضم : يجوز^(١) فيه الفتح .

(١) في ب ، د : « ويجوز » .

٣٨٦- ضُرٌّ - بفتح الضاد وضمها - : بمعنى واحد .

وكذلك الضير - بالياء - ؛ ومنه : ﴿لَا يَضِرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

والضرأء : ما يصيب من المرض وشبهه .

٣٨٧- ضَحَى : أول النهار ، والفعل منه : أضحى .

وأما ضَحِيٌّ - بكسر الحاء - يَضْحَى في المضارع فمعناه : برز للشمس ، وأصابه حرُّها ؛ ومنه : ﴿لَا تَطْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه : ١١٩] .

٣٨٨- ضَيْفٌ : يقال للواحد ، والاثنين ، والجماعة .

٣٨٩- ضَيْقٌ - بكسر الضاد - : مصدر .

وبفتحها مع إسكان الياء : تخفيفٌ من ضَيْقٍ المشدد ؛ كَمَيْتٌ وَمَيْتٌ .



﴿ حرف العين ﴾

٣٩٠- عاذ بالله يعوذ: أي: استجار به، ولجأ إليه؛ ليدفع عنه ما يخاف.

ويقال -أيضاً-: استعاذ يستعيز.

ومنه: ﴿عُذْتُ بِرَبِّي﴾ [غافر: ٢٧]، و﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣].

٣٩١- العالمين: جمع عالم؛ وهو عند المتكلمين: كلُّ موجود سوى الله تعالى.

وقيل: العالمين: الإنس والجن والملائكة؛ لجمعه جمع العقلاء.

وقيل: الإنس خاصة؛ لقوله: ﴿الذُّكْرَانِ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

٣٩٢- يعمهون: يتحيرون في ضلالهم، والعمّة: الحيرة.

٣٩٣- عدل يعدل عدلاً: ضدُّ جار.

وعدل عن الحق عدولاً.

وعدلتُ فلاناً بفلان: سويتُ بينهما؛ ومنه: ﴿بَرَبِّهِمْ يَقْدِرُونَ﴾ [الأنعام: ١].

والعدل له ثلاثة معان:

[١] ضد الجور.

[٢] والفدية؛ ومنها: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، و﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُئِلْ عَدْلٌ﴾ [الأنعام: ٧٠].

[٣] ومثل الشيء؛ ومنه: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥].

٣٩٤- عزيز: اسم الله تعالى، معناه: الغالب.

وعزَّ: غلب؛ ومنه: ﴿وَعَزَّزْنِي فِي الْحِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أي: غلبني.

والغلبة ترجع إلى: القوة، والقدرة؛ ومنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] أي: قوينا.

وقيل: العزيز: العديم المثل.

٣٩٥- عفا: له أربعة معان:

[١] عفا عن الذنب؛ أي: صفح عنه.

[٢] وعفا: أسقط حقه؛ ومنه: ﴿إِلَّا أَنْ يَفْقُوكَ أَوْ يَفْقُوا﴾ [البقرة: ٢٣٧].

[٣] وعفا القوم: كثروا؛ ومنه: ﴿حَتَّىٰ عَفَّوْا﴾ [الأعراف: ٩٥].

[٤] وعفا المنزل: درس.

٣٩٦- عَفُوٌّ: له ثلاثة معان:

[١] الصفح عن الذنب.

[٢] والإسقاط.

[٣] والسهل من غير كلفة؛ ومنه: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَفْهُ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٣٩٧- عَيْنٌ : له في القرآن معنيان :

[١] العين المبصرة .

[٢] وعين الماء .

وله في غير القرآن معانٍ كثيرةٌ .

٣٩٨- عَيْنٌ - بكسر العين - : واسعاتُ العيون ؛ وهو جمع عَيْنَاء .

٣٩٩- عَنَتٌ : معناه الهلاك ، أو المشقة ؛ ومنه : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ﴾ [البقرة : ٢٢٠] أي : لأهلككم ، أو ضيق عليكم .

والعَنَت - أيضًا - : الزنا ؛ ومنه : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ [النساء : ٢٥] .

وأما : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ [طه : ١١١] فليس من هذا ؛ لأن لامه واوٌ ، فهو من : عنا يعنوا : إذا خضع .

٤٠٠- عاقب : له معنيان :

[١] من العقوبة على الذنب .

[٢] ومن العُقْبَى ؛ ومنه : ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابْتُمْ﴾ [المنحة : ١١] أي : أصبتم عقبي .

٤٠١- أعجاز نخل : أصولها .

٤٠٢- أعجز^(١) الشيء : إذا فات ولم يُقدَّر عليه ؛ ومنه : ﴿وَمَا هُمْ

(١) في د : «أعجزه» .

يُمَجِّزِينَ ﴿الزمر: ٥١﴾، و﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤].

وأما ﴿مُعْجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] - بالألف - فمعناه: مسابقين.

٤٠٣ - عال يعيل عيلة: أي: افتقر؛ ومنه: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ [الضحى: ٨].

وعال يعول: عدل عن الحق.

وعال يعول - أيضًا -: كثر عياله؛ والأشهر أن يقال في هذا المعنى:

أعال^(١) بالألف.

٤٠٤ - عرج يعرج - بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع -: صعد

وارتقى؛ ومنه: ﴿الْمَعَارِجُ﴾ [المعارج: ٣].

وعرج - بالكسر في الماضي والفتح في المضارع -: صار أعرج.

٤٠٥ - عُتِبَى: معناه: الرضا؛ ومنه: ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]،

و﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤].

والعتاب: العذل.

٤٠٦ - أعدَّ - بالألف -: يسَّر الشيءَ وهَيَّاه.

وعدَّ - بغير ألف -: من العدد.

٤٠٧ - عرش: سرير المَلِك؛ ومنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]

و﴿أَمَّا كَذَا عَرْشُكَ﴾ [النمل: ٤٢].

وعرش الله: فوق السماوات.

(١) لم ترد في ب، ج، هـ.

و﴿تَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧، النحل: ٦٨]: يبنون^(١).

و﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَآ﴾ [البقرة: ٢٥٩]: سقوفها.

٤٠٨- عورة: أصلُ معناه: الانكشاف فيما يكره كشفه؛ ولذلك قيل: عورة الإنسان.

و﴿ثَلَاثُ عَوْرَتٍ﴾ [النور: ٥٨] أي: أوقات انكشافٍ.

و﴿يُؤْتِنَا عَوْرَةً﴾ [الأحزاب: ١٣] أي: خاليةً معرضةً للسُّراق.

٤٠٩- عاقر: له معنيان:

[١] المرأة العقيم.

[٢] واسم فاعل من: عقر الحيوان.

٤١٠- عَبْرَ يَعْبُرُ: له معنيان:

[١] من عبارة الرؤيا ومنه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

[٢] ومن الجواز على الموضع؛ ومنه: ﴿عَابِرِي سَبِيلِي﴾ [النساء: ٤٣].

٤١١- عَمُونَ وَعَمِينَ^(٢): جمع عَمٍ؛ وهو صفة على وزن فَعِيل - بكسر العين -؛ من العَمَى في البصر، أو في البصيرة.

(١) في النسخ المعتمدة: «و«تعريشون»: تبنون»، وليس كذلك لفظ الآية، إنما هو بالياء كما أثبتُّه، وهو موافق لإحدى النسخ الخطية التي لم أعتدّها أصالة في المقابلة، وإنما أرجع إليها للاستئناس.

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب، د.

٤١٢- علا يعلو: تكبر؛ ومنه: ﴿قَوْمًا عَلَيْنَ﴾ [المؤمنون: ٤٦] و﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصر: ٤].

والعلي: اسم الله، والمتعالي، والأعلى؛ من العلو؛ بمعنى: الجلال والعظمة.

وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به^(١).

٤١٣- عَزَبَ الشَّيْءُ: غاب؛ ومنه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٦١] أي: لا يخفى عنه^(٢).

٤١٤- عُصْبَةٌ: جماعة من العشرة إلى الأربعين.

٤١٥- عَلَقَةٌ: واحدة العلق؛ وهو الدَّم.

٤١٦- عاصِفٌ: ريع شديدة.

٤١٧- عَصَفٌ: ورقُّ الزرع.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك: «قوله: «من العلو؛ بمعنى: الجلال والعظمة». إلخ، أقول: يلاحظ أنه اقتصر على معنيين من معاني العلو: الأول: الجلال والعظمة، المتضمن لعلو القهر.

والثاني: التنزيه لله عما لا يليق به، وهذا يتضمن علو القدر، ولم يذكر تَعَالَى علو الذات، وهو ارتفاعه تعالى فوق جميع المخلوقات مستويا على عرشه، وهذا هو الذي اختلف فيه أهل السنة والمبتدعة كالجهمية ومن وافقهم، فاسمه العلي سبحانه يتضمن معاني العلو الثلاثة. والله أعلم».

(٢) في د: «لا يغيب ولا يخفى عنه».

﴿ حرف الغين ﴾

٤١٨- غِشَاوَةٌ : غطاءٌ ؛ إما حقيقةً ، أو مجازًا .

٤١٩- غمام : هو السحاب .

٤٢٠- غُلِّفَ : جمع أغلف ؛ وهو كلُّ شيء جعلته في غلاف ؛ أي : قلوبنا محجوبة .

٤٢١- غُرْفَةٌ -بضم الغين- لها معنيان :

[١] المسكن المرتفع .

[٢] والغرفة من الماء بالضم ، وبالفتح : المرة الواحدة .

٤٢٢- غادر : ترك ؛ ومنه : ﴿لَا يَغَادِرُ﴾ [الكهف : ٤٩] ^(١) .

٤٢٣- غَلَّ يَغْلُ : من الغلول ؛ وهو الخيانة ، والأخذ من المغنم بغير حق .
والغِلُّ : الحقد .

٤٢٤- أغلال : جمع غُلٍّ -بالضم- ؛ وهو ما يجعل في العنق ، ومنه : ﴿مَقْلُولَةٌ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

٤٢٥- غلا يغلو : من الغلو ؛ وهو مجاوزة الحد والإفراط ؛ ومنه :

(١) في ب ، ج ، هـ : ﴿لَمْ تَغَادِرْ﴾ [الكهف : ٤٧] .

﴿لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] أي: لا تجاوزوا الحق.

٤٢٦- غائط: المكان المنخفض؛ ثم استعمل في حاجة الإنسان.

٤٢٧- غَشِيَ الأمر يَغْشَى - بالكسر في الماضي والفتح في المضارع - معناه: غَطَّى حسًا أو معنى؛ ومنه: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]؛ لأنه يَغْطِي بظلامه.

ويُنْقَلُ^(١) بالهمزة، والتشديد؛ فيقال: غَشَى وأغشى.

﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ عَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] يعني: ما يغشاهم^(٢) من العذاب أي: يصيبهم؛ ومنه: ﴿غَنَشِيَّةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧].

والغاشية - أيضًا - : القيامة، لأنها تغشى الخلق.

٤٢٨- غَبَر: له معنيان:

[١] ذهب.

[٢] وبقي.

ومنه: ﴿عَجُورًا فِي الْغَيْرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١] أي: في الهالكين الذاهبين، أو في الباقيين في العذاب.

٤٢٩- غرور - بضم الغين - : مصدر.

وبفتحها: اسم فاعل مبالغة؛ ويراد به: إبليس.

(١) في د: «ويستعمل».

(٢) في ج، د: «يغشيه».

٤٣٠- غاض الشيء : نقص ؛ ومنه : ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤] ، و﴿يَغِيضُ
الْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨] .

وغاز يغيط - بالطاء المشالة - : من الغيط .

٤٣١- غَوْرٌ : أي : غائر ؛ من غار الماء : إذا ذهب .

٤٣٢- غرام : عذاب ؛ ومنه : ﴿إِنَّا لَمُعْرِمُونَ﴾ (١٦) [الواقعة: ٦٦] .

والمعرم : غُرم المال ؛ ومنه : ﴿مِنْ مَّعْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠] .



﴿ حرف الفاء ﴾

٤٣٣- فُرْقَان : أي : مفرّق بين الحق والباطل ؛ ومنه : ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي : تَفْرِقَةً .

ولذلك سمي القرآن : بالفرقان .

٤٣٤- فِتْنَة : جماعة من الناس .

٤٣٥- فِصَالٌ : فطام من الرّضاع .

٤٣٦- فَضْلٌ : له معنيان :

[١] الإحسان .

[٢] والريح في التجارة وغيرها ؛ ومنه : ﴿يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] .

٤٣٧- فسق : أصله الخروج ، وتارة يرد بمعنى الكفر ، وتارة بمعنى

العصيان .

٤٣٨- فِتْنَة : لها ثلاثة معان :

[١] الكفر .

[٢] والاختبار .

[٣] والتعذيب .

٤٣٩- فَاءٌ يَفِيءُ: أي: رجع.

٤٤٠- فُلُكٌ -بضم الفاء-: أي: سفينة؛ ويستوي فيه المفرد والجمع.

٤٤١- فَلَكَ -بفتح الحين-: القطب الذي تدور به الكواكب.

٤٤٢- فزع: له معنيان:

[١] الخوف.

[٢] والإسراع؛ ومنه: ﴿إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ [سبا: ٥١].

٤٤٣- فرح: له معنيان:

[١] السرور.

[٢] والبطر.

٤٤٤- فاحشة وفحشاء: هي كل ما يَقْبَحُ ذكره من المعاصي.

٤٤٥- فرض: له معنيان:

[١] الوجوب.

[٢] والتقدير.

٤٤٦- فتح: له معنيان:

[١] فتح الأبواب؛ ومنه: فتح البلاد وشبهها.

[٢] والحكم؛ ومنه: ﴿أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ويقال

للقاضي: فتّاح.

واسم الله تعالى الفتح : قيل : الحاكم ، وقيل : خالق النصر والفتح .

٤٤٧- انفَضُّوا : أي : تفرَّقوا .

٤٤٨- فطر : خلقه ابتداءً ؛ ومنه : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٤] .

و﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ ﴾ [الروم : ٣٠] : الخَلْقَةُ التي خَلَقَ الخَلْقَ عليها .

وأفطر - بالالف - : من الطعام .

٤٤٩- فُطُورٌ : شقوق ؛ ومنه : ﴿ أَنْفَطَرْتُ ﴾ [الانفطار : ١] ، أي : انشَقَّتْ ،

و﴿ يَنْفَطِرْنَ ﴾ [مريم : ٩٠] .

٤٥٠- فُجٌّ : طريق واسع ، وجمعه : فِجَاجٌ .

٤٥١- فار التنور : يقال لكل شيءٍ هاج وغلا حتى فاض ؛ ومنه : ﴿ وَهِيَ

تَقُورُ ﴾ [الملك : ٧] ، وقولهم : فارت القدر .

٤٥٢- فَوْجٌ : جماعة من الناس ، وجمعه : أفواج .

٤٥٣- فاكهين : من التلذذ بالفاكهة .

أو من الفكاهة ؛ وهي السُرور واللّهو .

٤٥٤- فؤاد : هو القلب ، وجمعه : أفئدة .

٤٥٥- اسْتَفْزَرَ يَسْتَفْزِرُ : أي : استخَفَّ .

٤٥٦- فقه : فهم ؛ ومنه : ﴿ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ، و﴿ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا ﴾ [هود : ٩١] .

٤٥٧- في : حرف جر بمعنى الظرفية .

وقد تكون للتعليل ، وقد تكون بمعنى «مع» .

وقيل : بمعنى «على» .

٤٥٨ - الفاء : ثلاثة أنواع :

[١] عاطفة .

[٢] ورابطة .

[٣] وناصفة للفعل بإضمار «أن» .

ومعناها : الترتيب ، والتعقيب ، والتسبيب^(١) .



(١) في د : «والتسبيب» .

﴿ حرف القاف ﴾

٤٥٩- قرآن : له معنيان :

[١] الكتاب العزيز .

[٢] ومصدرُ : قرأ ؛ أي : تلا ، ومنه : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٧] .

٤٦٠- قنوتٌ : له خمسة معانٍ :

[١] العبادة .

[٢] والطاعة .

[٣] والقيام في الصلاة .

[٤] والدعاء .

[٥] والسكوت .

٤٦١- قضاءٌ : له سبعة معانٍ :

[١] الحُكْم .

[٢] والأمر .

[٣] والقدر السابق .

[٤] وفعل الشيء .

[٥] والفراغ منه .

[٦] والموت .

[٧] والإعلام بالشيء ؛ ومنه : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ﴾ [الحجر : ٦٦] .

٤٦٢ - قَدَرَ : له خمسة معان :

[١] من القُدرة .

[٢] ومن التَّقدير .

[٣] ومن المِقْدَار .

[٤] ومن القدر والقضاء .

[٥] وبمعنى التَّضييق ؛ نحو : ﴿ فَفَقَدَرْنَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ [الفجر : ١٦] .

وقد يشدّد الفعل ويخفّف .

والقدرُ - بفتح الدال وإسكانها - : القضاء ، والمقدار .

وبالفتح لا غير : من القضاء .

٤٦٣ - قام : له ثلاثة معان :

[١] من القيام على الرّجلين .

[٢] ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه ؛ ومنه : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

النِّسَاءِ ﴾ [النساء : ٣٤] .

[٣] وقام الأمرُ : ظهر واستقام ؛ ومنه : ﴿ الَّذِينَ أَلْقَيْنَا ﴾ [التوبة : ٣٦] ، و﴿ دِينَ

الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة : ٥] .

٤٦٤- أقام: له ثلاثة معان:

[١] أقام الرجل غيره؛ من القيام.

[٢] ومن التقويم؛ ومنه: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧].

[٣] وأقام في الموضع: سكن؛ ومنه: ﴿ثَقِيفٌ﴾ أي: دائم.

٤٦٥- قَيَّوم: اسم الله تعالى؛ وزنه قَيْعُول؛ وهو بناء مبالغة؛ من القيام على الأمور، معناه: مدبِّر الخلائق في الدنيا والآخرة؛ ومنه: ﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

٤٦٦- قِيَام: له معنيان:

[١] مصدر قام على اختلاف معانيه.

[٢] وبمعنى: قَوَام الأمر ومِلاكه.

وَقِيم - بغير ألف - : جمع قِيمَةٍ.

٤٦٧- قَرْض: سلف؛ والفعل منه: أقرض يُقرض.

٤٦٨- أقسط - بالألف - قِسْطًا^(١): عدل في الحكم؛ ومنه: ﴿يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وقَسْط - بغير ألف - : جار؛ ومنه: ﴿وَأَمَّا الْفَنِيطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

[الجن: ١٥].

(١) في د: «يُقْسِط».

٤٦٩- مقاليد: فيه قولان: خزائن، ومفاتيح^(١).

٤٧٠- قَدَس يُقَدَّس: من التنزيه والطهارة.

وقيل: من التعظيم.

والقُدُّوس: اسم الله تعالى، فُعُول؛ من النزاهة عما لا يليق به.

٤٧١- قال يقول: من القول.

وقد يكون بمعنى الظن.

ومصدره: قَوْلٌ، وقِيلَ.

وقال يَقِيل: من القائلة؛ ومنه: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، و﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

٤٧٢- قَفَى: اتَّبَعَ؛ وأصله: من القفا؛ يقال: قَفَوته: إذا جئت في أثره.

وقَفَيْتَ - بالتشديد - : إذا سَقَتْ شَيْئًا فِي أَثَرِهِ؛ ومنه: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧].

٤٧٣- قُرُنٌ: جماعة من الناس، وجمعه: قرون.

٤٧٤- قواعد البيت: أساسه، واحده: قاعدة.

و﴿وَالْفَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٦٠]: واحدة: قاعدة؛ وهي العجوز.

٤٧٥- قُرْبَانٌ: ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها.

وقربان - أيضًا - : من القرابة.

(١) في ج، هـ: «ومفاتيح».

٤٧٦- قَلَى يَقْلِي: أبغض؛ ومنه: ﴿وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]، و﴿لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

٤٧٧- اقترف: اكتسب حسنة، أو سيئة.

٤٧٨- قَصَصَ: له معنيان:

[١] من الحديث.

[٢] ومن قصَّ الأثر؛ ومنه: ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، و﴿قُصِّصَ﴾ [الفصص: ١١].

٤٧٩- قَرَرْتُ به عينًا أَقَرُّ: بالكسر في الماضي والفتح في المضارع.

وَقَرَرْتُ في المكان: بالفتح في الماضي والكسر في المضارع.

٤٨٠- قَسَاسٌ: ميزان.

٤٨١- قَتَرُ وَقْتَرَةٌ: غبار.

وهو عبارة عن تغيُّر الوجه.

٤٨٢- قُتُورٌ: من التقدير.

٤٨٣- قَارَعَةٌ: داهية وأمر عظيم.

٤٨٤- قَبَسٌ: شعلة نار.

٤٨٥- قَنِطٌ: يشس من الخير.

٤٨٦- قَرَطَاسٌ: صحيفة، وجمعها: قراطيس.

﴿ حرف السين ﴾

٤٨٧- أسباطٌ : جمع سبطٍ ؛ وهم ذرية يعقوب عليه السلام ، كان له اثنا عشر ولداً ذكراً ، فأعقب كل واحد منهم عقباً .

والأسباط في بني إسرائيل : كالقبائل في العرب .

٤٨٨- سبيل : هو الطريق ، وجمعه : سُبُلٌ .

ثم استعمل في طريق الخير والشر .

وسبيل الله : الجهاد .

وابن السبيل : الضيف ، وقيل : الغريب .

٤٨٩- سَوَى - بالتشديد - : له معنيان :

[١] من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء .

[٢] وبمعنى : اتقن وأحسن ؛ ومنه : ﴿ فَسَوَّيْنَاكَ فَعَدْلَكَ ﴾ [الأنطار : ٧] .

٤٩٠- سَوَاءٌ - بالفتح والهمز - : من التسوية بين الأشياء .

و﴿ سَوَاءٌ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٥٥] : وسطها .

و﴿ سَوَاءٌ الصِّرَاطِ ﴾ [ص : ٢٢] : قَصْدُ الطريق .

٤٩١- سَوَى - بالكسر أو الضم مع ترك الهمز - : استثناءً .

وقد يكون من التسوية .

٤٩٢- سفهاء : جمع سفيه ؛ وهو الناقص العقل .

وأصل السَّفَه : الخَفَّة ؛ ولذلك قيل لمبذر المال : سفيه ، وللكفار والمنافقين : سفهاء .

٤٩٣- سلوى : طائرٌ يشبه السُّمَانَى ، وكان ينزل على بني إسرائيل مع المنّ .

٤٩٤- سأل : له معنيان :

[١] طلب الشيء .

[٢] والاستفهام عنه .

وسال - بغير همز - : من المعنيين المذكورين ، ومن السَّيل .

٤٩٥- سبحان : تنزيه ، وسَبَّحْتُ الله أي : نَزَّهْتُهُ عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفاتِ الحدوث^(١) وجميع العيوب والنقائص .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : « قوله : « وصفات الحدوث » أقول : هذا لفظ مجملٌ يحتمل حقاً وباطلاً ؛ فإن أريد به تنزيهه تعالى عن وصفه بشيء من خصائص المخلوق مما يستلزم تمثيله سبحانه بخلقه فهو حقٌّ ، وإن أريد به تنزيهه عما يكون بمشيئته تعالى من أفعاله ، وهو ما يعبرون عنه بحلول الحوادث ، ويقصدون نفي قيام الأفعال الاختيارية به ؛ فإن ذلك باطلٌ . وهذا أصل عند أكثر المتكلمين ، فإنه يقولون : إنه تعالى منزّه عن حلول الحوادث ، يريدون نفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه ؛ كالمجيء والتزول والاستواء على العرش ، والله أعلم .

٤٩٦- سار يسير: مشى ليلاً أو نهاراً.

٤٩٧- سَرَى يَسْرِي: مشى ليلاً.

ويقال -أيضاً-: أسرى -بالألف-.

٤٩٨- سَخِرَ يَسْخَرُ -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- أي: استهزأ.

٤٩٩- سَخَّرَ -بالتشديد-: من التسخير.

٥٠٠- سَخَرِيًا بضم السين: من السُّخْرَةِ؛ وهو تكليف الأعمال.

وبالكسر: من الاستهزاء.

٥٠١- سلطان: له معنيان:

[١] البرهان.

[٢] والقوة؛ ومنه: ﴿لَا تَفْذُوكَ إِلَّا يَسْلُطَنَّ﴾ [الرحمن: ٣٣].

٥٠٢- سام يسوم: أي: كُلف الأمر وألزمه؛ ومنه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩].

وأصله: من سوم السلعة في البيع.

٥٠٣- سِمْ يَسَام: أي: ملّ؛ ومنه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

٥٠٤- سُنَّة: أي: عادة.

٥٠٥- سَلَف الأمر: أي: تقدّم.

وأسلفه الرجل: أي: قدّمه؛ ومنه: ﴿هَبْنِيأَ يَمَّا أَسْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة: ٢٤].

٥٠٦- سرّاء: فَعْلَاء؛ من السرور.

٥٠٧- سارع إلى الشيء: بادر إليه.

٥٠٨- إسراف: إفراط.

والمسرفون: أي: المبذرون، أو المفرطون في الكفر والمعاصي.

٥٠٩- سَوَاءٌ: عورة.

والسوء: ما يسوء -بالفتح والضم-.

و﴿السَّوَاءُ﴾ [الروم: ١٠]: فَعْلَى؛ من السوء.

و﴿يَسِئَ بِهِمْ﴾ [مود: ٧٧]: فَعِلَ بِهِم السوء.

٥١٠- سَنَةٌ -بفتح السين-: عامٌ، ولامها محذوفة، وجمعها: سنين.

وقد تقال بمعنى: القحط والجذب.

٥١١- سِنَةٌ -بكسر السين-: ابتداء النوم، وفاؤها واو محذوفة؛ لأنها من الوسن.

٥١٢- سَلَكَ يَسْلُكُ: له معنيان:

[١] أدخل؛ ومنه: ﴿أَسْلُكُ يَدَكَ﴾ [النقص: ٣٢] و﴿فَسَلَّكُمْ يَنْبِيعَ﴾ [الزمر: ٢١].

[٢] ومن: سلوك الطريق.

٥١٣- أسفارٌ: جمع: سَفَرٍ -بفتح السين-.

وجمع: سَفَرٍ؛ وهو الكتاب.

٥١٤- ساح يسيع: أي: سار؛ ومنه: ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢٧].

و﴿السَّيِّحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]: الصائمون.

٥١٥- سَوَّلَ - بتشديد الواو - : زَيَّنَ؛ ومنه: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾

[يوسف: ١٨].

٥١٦- سراييل: جمع سربال؛ وهو القميص.

٥١٧- سبأ: قبيلة من العرب.

٥١٨- سَمُوم: شِدَّةُ الحرِّ.

٥١٩- سلام: له ثلاثة معان:

[١] التحية.

[٢] والسلامة.

[٣] والقول الحسن؛ ومنه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

[الفرقان: ٦٣].

٥٢٠- سلام: اسم الله تعالى؛ معناه: ذو السلامة من كل نقص؛ فهو من

أسماء التنزيه.

وقيل: مُسَلَّم العباد من المهالك.

وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة.

٥٢١- سَلَّمَ - بفتح السين - : انقيادٌ، وإلقاءٌ باليد.

وهو -أيضاً- بَيْعٌ.

٥٢٢- سَلَّمَ - بفتح السين وإسكان اللام - : صَلَح ومهادنة .

٥٢٣- سَلَّمَ - بكسر السين وإسكان اللام - : معناه : الإسلام .

٥٢٤- سُلِّمَ - بضم السين وفتح اللام مشددة - : هو الذي يُصْعَد فيه .

٥٢٥- أَسْلَمَ يُسْلِمُ : له ثلاثة معان :

[١] الدُّخُول في الإسلام .

[٢] والإخلاص لله .

[٣] والانقياد ؛ ومنه : ﴿ فَلَمَّا أَمْلَأَ ﴾ [الصافات : ١٠٣] .

٥٢٦- سَعَى يَسْعَى : له ثلاثة معان :

[١] عَمِلَ عَمَلًا ؛ ومنه : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩] .

[٢] ومشى ؛ ومنه : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة : ٩] .

[٣] وأسرع في مَشْيِهِ ؛ ومنه : ﴿ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ [يس : ٢٠] .

٥٢٧- سَكَنَ يَسْكُنُ : له معنيان :

[١] من السكون ضد الحركة .

[٢] ومن السُّكْنَى في الموضع .

٥٢٨- سَكِينَةٌ : وقار وطمأنينة .

٥٢٩- سَائِعٌ : سهل للشَّرَاب^(١) ، لا يَعْصُ بِهِ من شربه .

(١) في ب : «الشرب» .

- ٥٣٠- سابغات: دروع واسعات طوال.
- ٥٣١- أساطير الأولين: ما كتبه المتقدمون.
- ٥٣٢- مسيطر: أي مُسَلَّط.
- و﴿أَمْ هُمُ الْمُضَيَّطُونَ﴾ [الطور: ٣٧] أي: الأرباب.
- ٥٣٣- سندس واستبرق: ثياب حرير.
- وقيل: السندس: رقيق الديباج، والاستبرق: صفيقه.
- ٥٣٤- سحقًا: بُعْداً؛ ومنه: ﴿مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾ [الحج: ٣١] أي: بعيد.
- ٥٣٥- سعير: جهنم.
- و﴿شِعْرَتٍ﴾ [التكوير: ١٢]: أوقدت.
- ٥٣٦- سبب - وجمعه: أسباب - : له خمسة معان:
- [١] الجبل؛ ومنه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥].
- [٢] والاستعارة من الجبل في المودة والقراية؛ ومنه: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].
- [٣] والطريق؛ ومنه: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥].
- [٤] والباب؛ ومنه: ﴿أَسْبَبَ السَّمَكَاتِ﴾ [غافر: ٣٧].
- [٥] وسبب الأمر: مُوجِبُهُ.

﴿ حرف الشين ﴾

٥٣٧- شَعَرَ : بالأمر يشْعُرُ : أي : عَلِمَهُ .

والشعور : العلم من طريق الحسِّ ؛ ومنه : ﴿ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢] .

٥٣٨- شَهِدَ يَشْهَدُ : له معنيان :

[١] من الشهادة على الشيء .

[٢] ومن الحضور .

٥٣٩- شَهِدَاءُ : جمع شهيد ؛ وله ثلاثة معان :

[١] من الشهادة على الشيء .

[٢] ومن الحضور .

[٣] ومن الشهادة في سبيل الله .

٥٤٠- شَكَرَ : قد تقدم في الحمد^(١) .

وَالشَّاكِرُ وَالشَّكُورُ : اسم الله المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب .

وقيل : المثنى على العباد .

(١) انظر المادة (١٢٦) .

- ٥٤١- شَرَى: أي: باع.
- وقد يكون بمعنى: اشترى.
- ٥٤٢- شِقَاقٌ: عداوة ومعاندة؛ ومنه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣].
- ٥٤٣- شهاب: كوكب.
- وقد يطلق على شعلة النار.
- ٥٤٤- شجر: هو كل ما ينبت في الأرض.
- و﴿شَجَرَ يَبْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] أي: اختلفوا فيه.
- ٥٤٥- شَنَانٌ: عداوة وشرٌّ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها.
- ٥٤٦- شَرَعَ الله الأمر: أي: أمر به.
- والشريعة والشرعة: الملة.
- وشرعت الدَّوَابُّ في الماء.
- ٥٤٧- شعائرُ الله: معالم دينه، واحدها: شَعيرة أو شِعارَة.
- ٥٤٨- شِرْكٌ: له معنيان:
- [١] من الإشرak.
- [٢] وهو -أيضاً- النصيب؛ ومنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠].
- ٥٤٩- شركاء: جمع شريك.
- ٥٥٠- مشحون: أي: مملوء.

﴿ حرف الهاء ﴾

٥٥١- الهُدَى : له معنيان :

[١] الإرشاد .

[٢] والبيان .

وَمِنَ الْبَيَانِ : ﴿وَأَمَّا تَعُوذُ فَهَدِيْتَهُمْ﴾ [نصبت : ١٧] .

والإرشاد قد يكون :

إلى الطريق .

وإلى الدين .

وبمعنى التوفيق والإلهام .

٥٥٢- الهُدَى - بفتح الهاء وإسكان الدال - : ما يُهْدَى إلى الكعبة من

البهائم .

٥٥٣- هاد يهود : أي : تاب ؛ ومنه : ﴿هُدْنًا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

و﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [البقرة : ٦٢] أي : تهوّدوا ؛ أي : صاروا يهودًا ، وأصله

من قولهم : ﴿هُدْنًا إِلَيْكَ﴾ .

٥٥٤- هود: له معنيان:

[١] اسم نبي عاد عليه السلام.

[٢] وبمعنى اليهود؛ ومنه: ﴿كُونُوا هُودًا﴾ [البقرة: ١٣٥].

٥٥٥- هوى النفس - مقصور -؛ وهو ما تحبّه وتميل إليه.

والفعل منه: بكسر الواو في الماضي، وفتحها في المضارع.

والهواء - بالمد والهمز -؛ ما بين السماء والأرض.

﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي: مُنْخَرِقَةٌ لَا تَعِي^(١) شيئا.

وهوى يهوي - بالفتح في الماضي والكسر في المضارع -؛ وقع من علو.

ويقال - أيضًا - بمعنى الميل؛ ومنه: ﴿أَفْتَدَتْ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾

[إبراهيم: ٣٧].

٥٥٦- هاجر: خرج من بلاده؛ ومنه سمي: المهاجرون.

٥٥٧- هجر: من الهجران.

ومن الهجر - أيضًا -؛ وهو: فحش الكلام.

وقد يقال في هذا: أهجر - بالالف -.

٥٥٨- أهلاً لغير الله به: أي: صبح، والإهلال: الصياح.

ثم استعمل في:

الكلام بغير صياح.

(١) في ب، د: «لا تغني».

وفي النية؛ أي: أريدَ به غيرُ الله.

٥٥٩- مهيمن عليه: أي شاهدٌ. وقيل: مؤتمن.

والمهيمن: اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم.

وقيل: الشاهد.

وقيل: الرقيب.

٥٦٠- هَوَانٌ وَهُونٌ: أي: ذُلٌّ.

٥٦١- مُهَيْن -بضم الميم-: مُفْعِلٌ مشتق من الهوان؛ أي: مُذِلٌّ.

وأما مَهِين -بفتح الميم-: فمعناه: ضعيف، أو ذليل.



﴿ حرف الواو ﴾

٥٦٢- وَقُودُ النَّارِ - بفتح الواو- : ما توقد به من الحطب وشبهه .

وَالْوُقُودُ - بالضم- : المصدر .

٥٦٣- وَجْهٌ : له معنيان :

[١] الجارحة .

[٢] والجهة ؛ ومنه : ﴿ وَجْهَةٌ ﴾ [البقرة: ١٤٨] .

وأما وجه الله :

ففي قوله : ﴿ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، أي : طلب رضاه .

وفي قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [النصم: ٨٨] ، ﴿ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾

[الرحمن: ٢٧] :

قيل : الوجه : الذات .

وقيل : صفة كاليدنين ؛ وهو من المتشابه^(١) .

٥٦٤- وَعْدٌ يَعِدُ وَغَدًا : بالخير .

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك عند تفسير المؤلف قوله تعالى : ﴿ فَأَيِّنَّا تُولُوا فَتَمَّ

وَجْهُ اللَّهِ ﴾ صفحة ٣٥٢ .

وقد يقال في الشرِّ إذا قُيِّدَ .

وأوعد - بالألف - يُوعِدُ وَعِيدًا : بالشرِّ لا غير .

٥٦٥- وَدَّ يَوَدُّ : له معنيان :

[١] من المودَّة والمحبَّة .

[٢] وبمعنى : تمنَّى ، نحو : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [النساء : ٨٩] .

والوَدُّ بالضم : المحبَّة .

و﴿ وَدَّ ﴾ [نوح : ٢٣] : اسم صنم ، بضم الواو وفتحها .

٥٦٦- ودود : اسم الله تعالى ؛ أي : محبٌّ لأوليائه .

وقيل : محبوب .

٥٦٧- ويلٌ : كلمة شر .

وقيل : إن الويل واِدٍ في جهنم .

٥٦٨- وَجَبَ : له معنيان :

[١] من وجوب الحق .

[٢] وبمعنى : سقط ، كقولهم : وجب الحائط : إذا سقط ؛ ومنه : ﴿ وَجَبَتْ

جُنُوبَهَا ﴾ [الحج : ٣٦] .

٥٦٩- وَسَطٌ وَأَوْسَطٌ : له معنيان :

[١] من التوسط بين الشيئين .

[٢] وبمعنى: الخيار والأحسن^(١).

٥٧٠- وَسِعَ يَسَعُ سَعَةً: من الاتساع ضد الضيق.

والسعة: الغنى.

والواسع: اسم الله تعالى؛ أي: واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة.

وقيل: واسع: جواد.

٥٧١- مُوسِعٌ: غني؛ أي: واسع الحال، وهو ضد الْمُقْتِر.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]: قيل: أغنياء، وقيل: قادرون.

﴿إِلَّا وَسَعَهَا﴾: طاقتها.

٥٧٢- وَلَّى: له معنيان:

[١] أدبر.

[٢] وجعل والياً.

٥٧٣- تَوَلَّى: له ثلاثة معان:

[١] أدبر وأعرض بالبدن، أو بالقلب.

[٢] وصار والياً.

[٣] واتخذ ولياً؛ ومنه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [السائدة: ٥٦].

٥٧٤- وَلِيٌّ: ناصر.

(١) في ج، د: «والإحسان».

والولي: اسم الله؛ قيل: ناصر، وقيل: متولي أمر الخلائق.

٥٧٥- مولى: له سبعة معان:

[١] السيد الأعظم.

[٢] والناصر.

[٣] والولي - أي القريب.

[٤] والمالك.

[٥] والمعتق.

[٦] والمعتق.

[٧] وبمعنى: أولى؛ ومنه: ﴿مَأْوَانَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ [الحديد: ١٥].

٥٧٦- وَلَجَ يَلِجُ: أي: دخل؛ ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾.

وأولج يُولِجُ: أدخل؛ ومنه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾.

٥٧٧- وَهَنَ يَهِنُ: ضعف؛ ومنه: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ [مريم: ٤]، والوهن: الضعف.

٥٧٨- وَرَدَ الْمَاءُ يَرُدُّهُ: إذا جاء إليه.

وأورده غيره.

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩]: الذي يتقدمهم إلى الماء فيستقي لهم.

٥٧٩- أَوْزَعَنِي: أي: ألهمني ووفقني.

٥٨٠- يوزعون: يدفعون.

٥٨١- وليد: صبي، وجمعه: ولدان.

٥٨٢- وجل: يُوَجَّلُ وجَلًا: خاف، ومنه: ﴿لَا تُوجَلْ﴾ [الحجر: ٥٣]،
و﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ و﴿وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢].

٥٨٣- أوجس: وجد في نفسه وأضمر.

٥٨٤- وارى يُواري: أي: ستر؛ ومنه: ﴿يُؤَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]
و﴿مَا وُرِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

وتواری: أي: استتر واستخفى.

٥٨٥- وطئ يطاء: له ثلاثة معان:

[١] جماع المرأة.

[٢] ومن الوطاء بالأقدام؛ ومنه: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْكُوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

[٣] والإهلاك؛ ومنه: ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْكُوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥].

٥٨٦- وقر - بفتح الواو-: هو الصمم والثقل في الأذن.

والوقر - بكسر الواو-: الحمل؛ ومنه: ﴿فَالْحَمِيلَتِ وَقَرًا﴾ [الذاريات: ٢].

٥٨٧- ودق: هو المطر.

٥٨٨- واصب: أي: دائم.

٥٨٩- وكيل: كفيل بالأمر.

وقيل: كافٍ.

٥٩٠- وَزَّرَ - بكسر الواو وإسكان الزاي - : له معنيان :

[١] الذنب ؛ ومنه : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

[٢] والحِمل الثقيل ، وهو الأصل ؛ ومنه : ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [طه : ٨٧] ؛ أي : أحمالاً .

٥٩١- وَزَّرَ - بفتحين - : أي : ملجأً .

٥٩٢- وزير : أي : مُعين ، وأصله : من الوزر بمعنى : الثقل ؛ لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله .

٥٩٣- وسوس الشيطان إلى الإنسان : ألقى في نفسه .

والوسواس : الشيطان .

٥٩٤- أَوْحَى يُوحِي وَحْيًا : له ثلاثة معان :

[١] كلام الملك عن الله للأنبياء ؛ ومنه قيل للقرآن : وَحْيٌ .

[٢] وبمعنى الإلهام ؛ ومنه : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل : ٦٨] .

[٣] وبمعنى الإشارة ؛ ومنه : ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم : ١١] أي : أشار .

٥٩٥- وَعَى العلمَ يعني^(١) : حفظه ؛ ومنه : ﴿أَذِّنْ وَعِيَةً﴾ [الحاقة : ١٢] .

وأوعى - بالألّف - يُوعِي : جمع المال في وعاء ؛ ومنه : ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج : ١٨] .

(١) في أ ، ب : «يعني» .

﴿ حرف الياء ﴾

٥٩٦- يمين: له أربعة معان:

[١] اليد اليمنى .

[٢] والجهة اليمنى .

[٣] وبمعنى القوة .

[٤] وبمعنى الحلف .

٥٩٧- أيمن: أي: إلى الجهة اليمنى .

٥٩٨- يسيرٌ: له معنيان:

[١] قليل ؛ ومنه: ﴿كَئِلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥] .

[٢] وهينٌ ؛ ومنه: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ .

واليسر: ضد العسر .

٥٩٩- ينس من الأمر يئأس: أي: انقطع رجاءه ؛ ومنه: ﴿وَلَا تَأْنِسُوا مِنَ

رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] ، و﴿إِنَّهُ لَيَنْفُسُ﴾ [مرد: ٩] .

وأما ﴿أَفَلَمْ يَأْنِسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الرعد: ٣١]: فمعناه: ألم يعلم .

٦٠٠- يَمٌ: هو البحر .

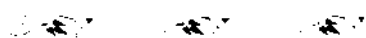
٦٠١- مَيْسِرٌ: هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك.

وهو مأخوذ من: يَسُرُّ لي كذا: إذا وَجَبَ.

وَالْيَسَرُ - بفتح الياء والسين - : الرجل الذي يشتغل بالميسر، وجمعه: أيسار.

وميسر العرب: أنهم كان لهم عشرة قِداح - وهي الأزلام - لكل واحد منها^(١) نصيب معلوم من ناقة ينحرونها، وبعضها^(٢) لا نصيب له، ويجزؤونها عشرة أجزاء، ثم يُدْخِلُون الأزلامَ في خريطة ويضعونها على يَدَيِ عدلٍ، ثم يُدْخِلُ يده فيها فيُخْرِجُ باسم رجل قِدْحًا، فمن خرج له قِدْحٌ له نصيب: أخذ ذلك النصيب، ومن خرج له قِدْح لا نصيب له: غَرِمَ ثمن الناقة كُلِّها.

٦٠٢- يَنْبُوغٌ: أي: عَيْنٌ من ماء، والجمع ينابيع.



(١) في د: 'منهم'.

(٢) في د: 'وبعضهم'.

﴿ الكلام على الاستعاذة ﴾

★ فيه عشر فوائد من فنونٍ مختلفة:

- الأولى: لفظ التعوذ على خمسة أوجه:

[١] «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وهو المروي عن النبي ﷺ^(١)، والمختار عند القراء.

[٢] و«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، وهو مروي عن النبي ﷺ^(٢).

[٣] و«أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم».

[٤] و«أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي».

[٥] و«أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد»=

وهي محدثة.

- الثانية: يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة؛ سواء ابتدأ أول سورة، أو جزء سورة.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٧/٢)، (ح: ٢٦١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والأمر بذلك على الندب .

- الثالثة : يُجَهَر بالاستعاذة عند الجمهور ، وهو المختار .

وروي الإخفاء عن حمزة ونافع .

- الرابعة : لا يتعوّذ في الصلاة عند مالك .

ويتعوّذ في أول ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة .

وفي كل ركعة عند قوم .

فحجة مالك : عمل أهل المدينة .

وحجة غيره : قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] ؛ وذلك يعم الصلاة وغيرها^(١) .

- الخامسة : إنما جاء «أعوذ» بالمضارع دون الماضي ؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل ؛ لأنها كالدعاء .

وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده ؛ مشاكلةً للأمر به في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَعِذْ ﴾ .

- السادسة : ﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ يحتمل أن يراد به :

الجنس ؛ فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين .

أو العهد ؛ فالاستعاذة من إبليس .

(١) انظر : المحرر الوجيز (١/ ٥٥) .

وهو من :

شَطَنَ : إذا بَعُدَ ؛ فالنون أصلية ، والياء زائدة ، ووزنه : «فَعَال» .

وقيل : من شاط : إذا هاج ؛ فالنون زائدة ، والياء أصلية ، ووزنه : «فَعْلَان» .

وإن سَمَّيْت به : لم ينصرف على الثاني ؛ لزيادة الألف والنون ، وانصرف على الأوَّل .

- السابعة : ﴿الرَّجِمِ﴾ : فَعِيل بمعنى مفعول ، ويحتمل معنيين :

أن يكون بمعنى : لعين وطريد ؛ وهذا يناسب إبليس ؛ لقوله : ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (الحجر : ٣٤) .

وأن يكون من : الرَّجَمَ بالنجوم ؛ وهذا يناسب الجنس ؛ لقوله : ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك : ٢٥) .

والأول أظهر .

- الثامنة : من استعاذ بالله صادقاً أعاده ، فعليك بالصدق ، ألا ترى امرأة عمران لما أعادت مريم وذريتها عصمها الله ؛ ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «ما من مولود إلا نَحَسه الشيطان فيستهل صارخاً ، إلا ابن مريم وأُمّه»^(١) .

- التاسعة : الشيطان عدوٌّ حَذَّر الله منه ؛ إذ لا مطمع في زوال عَادِيَّتِهِ^(٢) ، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فيأمره -أولاً- بالكفر ويشككه في

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٨) ، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة ؓ .

(٢) قال في «لسان العرب» (٢٦٤ / ١٩) : «ويقال : كَفَّ عَنَّا عَادِيَتُكَ : أي : ظلمك وشرَّك» .

الإيمان، فإن قَدَّرَ عليه وإلَّا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلَّا ثَبَّطَهُ عن الطاعة، فإن سَلِمَ من ذلك أَفْسَدَهَا عليه بالرياء والعجب.

- العاشرة: القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلق.

فعلاجُ الشيطان: بالاستعاذة منه، والمخالفة له.

وعلاج النفس: بالقهر.

وعلاج الدنيا: بالزهد.

وعلاج الخلق: بالانقباض والعزلة.



﴿ الكلام على البسملة ﴾

★ فيه عشر فوائد^(١) :

- الأولى : ليست البسملة عند مالك بآية من الفاتحة ولا من غيرها ، إلا من النمل خاصة .

وهي عند الشافعي : آية من الفاتحة .

وعند ابن عباس : آية من كل سورة .

فحجة مالك : ما ورد في الحديث الصحيح : أنَّ رسول الله ﷺ قال : «أنزلت عليَّ سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين»^(٢) ؛ ولم يذكر البسملة ، وكذلك ما ورد في الحديث الصحيح : «إنَّ الله يقول : قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين : يقول العبد : الحمد لله رب العالمين . . .»^(٣) فبدأ بهذا دون البسملة .

وحجة الشافعي : ما ورد في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ : «بسم

(١) انظر : المحرر الوجيز (٥٨/١) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣١) ، والترمذي (٢٨٧٥) ، وأحمد في مسنده (٩٣٤٥) في ضمن حديث طويل .

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٥) .

الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين»^(١).

وحجة ابن عباس: ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

- الثانية: إذا ابتدأت أول سورة بسملة، إلا «براءة»، وسنذكر علّة سقوطها من «براءة» في موضعه.

وإذا ابتدأت جزء سورة:

فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو الداني^(٢).
وتترك البسملة عند غيره.

وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى: فاختلف القراء في البسملة وتركها.
- الثالثة: لا يبسمل في الصلاة عند مالك.

وببسمل عند الشافعي جهراً في الجهر، وسراً في السرّ.
وعند أبي حنيفة: سراً في الجهر والسرّ.

فحجة مالك من وجهين:

أحدهما: أنها ليست عنده آية من الفاتحة حسبما ذكرنا.

والآخر: الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥).

(٢) انظر: التيسير في القراءات السبع، للداني (١٨).

لا يذكرون: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول الفاتحة ولا في آخرها^(١).

وحجة الشافعي من وجهين:

أحدهما: أن البسملة عنده آية من الفاتحة.

والآخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسبما ذكرناه.

- الرابعة: كانوا يكتبون: «باسمك اللهم»، حتى نزل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرٍ بَهَا﴾ [مرد: ٤١] فكتبوا: «بسم الله»، حتى نزل: ﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] فكتبوا: «بسم الله الرحمن»، حتى نزل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتبوها.

وحذفت الألف من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾؛ لكثرة الاستعمال.

- الخامسة: الباء من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: متعلقة باسم محذوف عند البصريين، والتقدير: ابتدائي كائن بسم الله؛ فموضعها: رفع.

وعند الكوفيين: تتعلق بفعل، تقديره: أبدأ أو أتلو؛ فموضعها: نصب.

وينبغي أن يقدر متأخراً؛ لوجهين:

أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص.

والآخر: تقديم اسم الله اعتناءً؛ كما قدم في ﴿بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرٍ بَهَا﴾

[مرد: ٤١].

(١) أخرجه مسلم (٣٩٩).

- السادسة: الاسم مشتق من السموّ عند البصريين؛ فلامه واوٌ محذوفة.

وعند الكوفيين: مشتقٌ من السّمة -وهي العلامة-؛ ففاؤه واوٌ محذوفة.

ودليل البصريين: التصغير والتكسير؛ لأنهما يردّان الكلمات إلى أصولها، فقول العرب: أسماءٌ وسُمِّيَ دليلٌ على أن الفاء هي السين، وأن اللام حرف علة.

وقول الكوفيين أظهر في المعنى؛ لأنّ الاسم علامةٌ على المسمى.

- السابعة: قولك «الله» اسم مرتجل جامد، والألف واللام فيه لازمة، لا للتعريف.

وقيل: إنه مشتق من التألّه، وهو التعبد.

وقيل: من الولهان، وهي الحيرة؛ لتحير العقول في شأنه.

وقيل: أصله «إله» من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوّله على غير قياس، ثم أدخلت الألف واللام عليه.

وقيل: أصله «الإله» بالألف واللام، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام؛ كما تنقل في «الأرض» وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى.

وفُحِّم؛ للتعظيم، إلّا إذا كان قبله كسرة.

- الثامنة: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ صفتان، من الرحمة، ومعناهما:

الإحسان؛ فهي صفة فعل.

وقيل: إرادة الإحسان؛ فهي صفة ذات^(١).

- التاسعة: الفرق بين الرحمن والرحيم على ما روي عن رسول الله ﷺ: أَنَّ الرحمن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الآخرة^(٢).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قوله: «ومعناهما: الإحسان» إلخ، أقول: هذا يتضمن تفسير الرحمة إما بالإحسان أو بإرادة الإحسان، قال: «والإحسان صفة فعل»، والذين يقولون هذا يريدون ما يخلقه الله من النعم؛ فالرحمة -إذن- عبارة عن مخلوقاته سبحانه، وإن سموها صفة فعل فهو غلط في العقل؛ فإن المفعول لا يكون صفة للفاعل، بل أثر فعله، وهم لا يثبتون فعلا يقوم بالفاعل بمشيئته، فليس عندهم إلا فاعل ومفعول، وقد يفسرون الرحمة بإرادة الإحسان، وعليه فهي صفة ذاتية، كما قال المؤلف، أي إنها قائمة بذاته تعالى، وكل من التفسيرين فيه صرف للفظ عن ظاهره؛ فإن الرحمة لها معنى يقابل الغضب؛ كما جاء في الحديث القدسي: «إن رحمتي سبقت غضبي»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية (ص ٣١) في الذين ينفون صفة الرحمة والمحبة والغضب والرضا: «إنهم يفسرون ذلك إما بالإرادة، وإما ببعض المفعولات من النعم والعقوبات» أهـ. وعليه فالواجب إثبات الرحمة صفة لله حقيقة، وتفسيرها بالإحسان تفسير لها بأثرها. والرحمة في صفات الله نوعان: صفة ذاتية، وصفة فعلية، وذهب ابن القيم إلى أن الصفة الذاتية مدلول اسم الرحمن، والفعلية مدلول اسمه الرحيم. وينبغي أن يعلم أن الرحمة المضافة إلى الله نوعان: نوع هو صفة له سبحانه، ذاتية أو فعلية، كما تقدم، وإضافتها إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهي مدلول الاسمين الشريفين، والنوع الثاني رحمة مخلوقة، وإضافتها إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى مَأْسَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ هَـنَا الْمَطَرُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اتَّيَسَّتْ جُوهُهُمْ فَبِئْسَ اللَّهُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٣٣)، والرحمة هنا الجنة، وفي الحديث القدسي أن الله قال للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشياء»، ومن النوع الأول قول سليمان ﷺ متوسلا: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْكَافِرِينَ﴾، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/١٢٧).

وقيل : الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين ، والرحيم خاص بالمؤمنين ؛ لقوله : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الاحزاب: ٤٣] ؛ فالرحمن أعم وأبلغ .

وقيل : الرحيم أبلغ ؛ لوقوعه بعده على طريقة الارتقاء إلى الأعلى .

- العاشرة : إنما قدم الرحمن لوجهين :

اختصاصه بالله .

وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات .



﴿سورة أم القرآن﴾

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
 ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ].

وتسمَّى: سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع
 المثاني.

★ وفيها عشرون فائدة، سوى ما تقدَّم في «اللغات» من تفسير
 ألفاظها.

واختلف: هل هي مكية أو مدنية؟

ولا خلاف أن الفاتحة سبعُ آيات.

إلا أن الشافعي يعدُّ البسملة آيةً منها.

والمالكي يسقطها، ويعدُّ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيةً.

- الفائدة الأولى: قراءة الفاتحة في الصلاة واجبةٌ عند مالك والشافعي،

خلافاً لأبي حنيفة.

وحجتهما : قوله ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »^(١) .
وحجة أبي حنيفة : قوله ﷺ للذي علّمه الصلاة : « اقرأ ما تيسر من القرآن »^(٢) .

- الثانية : اختلف هل أوّل الفاتحة على إضمار قول : تعليمًا للعباد ،
أي : قولوا : الحمد لله ؟ أو هو ابتداء كلام الله ؟

ولا بدّ من إضمار القول في : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما بعده .

- الثالثة : الحمد أعمّ من الشكر ؛ لأنّ الشكر لا يكون إلّا جزاءً على
نعمة ، والحمد يكون جزاءً كالشكر ، ويكون ثناءً ابتداءً .

كما أنّ الشكر قد يكون أعمّ من الحمد ؛ لأن الحمد باللسان ، والشكر
باللسان والقلب والجوارح .

فإذا فهمت عموم الحمد : علمت أنّ قولك : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقتضي :

الثناء عليه بما هو أهله من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال
والعلم والقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمّن معاني أسمائه
الحسنى التسعة والتسعين .

ويقتضي شكره والثناء عليه بكلّ نعمة أعطى ، ورحمة أولى جميع خلقه في
الآخرة والأولى .

فيا لها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات ، وتقف دون مداه عقول

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) .

الخلائق! ويكفيك أن الله جعلها أوّل كتابه، وآخر دعوى أهل الجنة.

- الرابعة: الشكر باللسان: هو الشاء على المنعم والتحدّث بالنعمة، قال رسول الله: «التحدّث بالنعمة شكر»^(١).

والشكر بالجوارح: هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه.

والشكر بالقلب: هو معرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضّل، لا باستحقاق العبد.

★ واعلم أنّ النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام:

[١] نعم دنياوية^(٢)، كالعافية والمال.

[٢] ونعم دينية، كالعلم، والتقوى.

[٣] ونعم أخراوية^(٣)، وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير.

★ والناس في الشكر على مقامين:

منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة.

ومنهم من يشكر الله - عن جميع خلقه - على النعم الواصلة إلى جميعهم.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٢/٦)، والبزار في مسنده (٢٢٦/٨).

(٢) في أ: «دنيوية».

(٣) في أ: «أخروية».

★ والشكر على ثلاث درجات :

فدرجة العوام : الشكر على النعم .

ودرجة الخواص : الشكر على النعم والنعم وعلى كل حال .

ودرجة خواص الخواص : أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم .

قال رجل لإبراهيم بن أدهم : إن الفقراء إذا أعطوا شكروا ، وإذا مُنعوا صبروا ، فقال إبراهيم : هذه أخلاق الكلاب ؛ ولكن الفقراء ^(١) إذا مُنعوا شكروا ، وإذا أعطوا آثروا ^{(٢)(٣)} .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «القوم» ، وفي هامش أ : «خ : الفقراء» .

(٢) رواه بإسناده الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٤٥٦/١) قال : «حدثنا محمد ابن عبد العزيز ؛ قال : قال حذيفة المرعشي : قدم شقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة ، فاجتمع الناس ، فقالوا : نجتمع بينهما . فجمعوا بينهما في المسجد الحرام ، فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق : يا شقيق ! على ماذا أصلتكم أصولكم ؟ فقال شقيق : أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا ، وإذا منعنا صبرنا . فقال إبراهيم بن أدهم : هكذا كلاب بلخ ، إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت . فقال شقيق : فعلى ماذا أصلتكم أصولكم يا أبا إسحاق ؟ فقال : أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا آثرنا ، وإذا منعنا حمدنا وشكرنا . قال : فقام شقيق وجلس بين يديه ، وقال : يا أبا إسحاق ! أنت أستاذنا ، ورواه أيضا أبو نعيم في «الحلية» (٣٧/٨) .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : «قوله : «الشكر على ثلاث درجات . . . إلخ . . أقول : سلك المؤلف تَكَلُّفًا في تقسيم مراتب الشكر والتعبير عنها طريق الصوفية ، وفي كلامه هذا عدة مآخذ :

الأول : قوله : إن الشكر على النعم درجة العوام ، أقول : بل الشكر على النعم من شأن العوام والخواص من المؤمنين ، وقد أثنى الله على إبراهيم عليه السلام فقال : ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل : ١٢١] ، ولما ذكر الله ما أعطى سليمان عليه السلام من تسخير الجن والريح =

ومن فضيلة الشكر: أنه من صفات الحق، ومن صفات الخلق؛ فإن من أسماء الله: الشاكر والشكور، وقد فسّرتهما في «اللغات»^(١).

- الخامسة: قولنا: «الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلا الله»؛ لوجهين:

أحدهما: ما أخرجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»^(٢).

= قال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبا: ١٣].

الثاني: زعمه أن درجة الخواص الشكر على النعم، أقول: هذا لا يصح، فإنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة تعلق الشكر بالنعم، وإنما الذي ورد الحمد، فيقال: له الحمد على كل حال، وأما الشكر فمتعلقه النعم، وشواهد هذا في القرآن كثير.

الثالث: قوله في الدرجة الثالثة - وهي كما قال: - درجة خواص الخواص، وفسرها بأن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم.

أقول: هذا من جنس ما تقدم في درجات الذكر عند المؤلف حيث جعل أعلى درجات الذكر الفناء، وهي أن يغيب بالله عن كل ما سوى الله، حتى عن نفسه. وتقدم أن مقام الفناء ليس بكمال بل هو نقص.

ولم يأت في الكتاب ولا في السنة مدحه، بل الرسول ﷺ - وهو أكمل الخلق ذكراً وعبودية - لا يغيب وهو بصلي، بل يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته، وخير الهدى هدى محمد ﷺ.

الرابع: ذكره الحكاية عن إبراهيم بن أدهم، وفيها التحفيز للشكر على النعم، وأنه أخلاق الكلاب، فهذا - على فرض ثبوته - قبيح.

(١) انظر: المادة (٥٤٠) في اللغات.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٤٠).

والثاني: أَنَّ التوحيد الذي يقتضيه «لا إله إلا الله» حاصل في قولك: «رب العالمين»، وزادت بقولك: «الحمد لله»، وفيه من المعاني ما قدّمنا. وأما قوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»^(١)؛ فإنما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه، وقد شاركتها «الحمد لله رب العالمين» في ذلك، وزادت عليها.

وهذا المؤمن^(٢) يقولها لطلب الثواب، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعيّن عليه «لا إله إلا الله».

- السادسة: «الرَّبُّ» وزنه: فَعِلٌّ - بكسر العين - ثم أدغم.

ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح؛ وكلها تصلح^(٣) في ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، إِلَّا أن الأرجح: معنى الإله؛ لاختصاصه بالله تعالى. كما أن الأرجح في ﴿الْعَالَمِينَ﴾ أن يراد به: كل موجود سوى الله تعالى، فيعم جميع المخلوقات.

- السابعة: ﴿مَلِكٌ﴾ قرأه^(٤) الجماعة: بغير ألف؛ من المُلْك.

وقرأ^(٥) عاصم والكسائي: بالألف؛ والتقدير على هذا:

مالك مجيء يوم الدين.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٦٢١).

(٢) في د: «المؤمن»، وفي هـ: «المؤمن».

(٣) في مغربي أ، د: «تصَحُّ» وفي هامش أ: «خ: تصلح».

(٤) في ب، د: «قراءة».

(٥) في ج: «وقرأه»، وفي د: «وقراءة».

أو: مالك الأمر يوم الدين.

وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه:

الأول: أَنَّ الْمَلِكَ أعظم من المالك؛ إذ قد يوصف كلُّ أحدٍ بالمالك لماله، وأما المَلِكُ فهو سيّد الناس.

والثاني: قوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

والثالث: أنها لا تقتضي حذفاً، والأخرى تقتضيه؛ لأنَّ تقديرها: مالك الأمر، أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل.

وأما قراءة الجماعة بإضافة ﴿مَلِكٍ﴾ إلى ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ فهي على طريقة الاتساع، وإجراء^(١) الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية؛ أي: المَلِكُ في يوم الدين.

ويجوز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الدين؛ فيكون فيه حذف.

وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ^(٢).

وقد قرئ ﴿مَلِكٍ﴾ بوجه كثيرة إلا أنها شاذة.

- الثامنة: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، و﴿مَلِكٍ﴾: صفات.

فإن قيل: كيف جرى ﴿مَلِكٍ﴾ و﴿مَلِكٍ﴾ صفة للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟

(١) في أ، ج، هـ: «وأجرى»، وفي هامش أ: «خ: وإجراء».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧)، (٢٩٢٨).

فالجواب: أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال،
وأما هذا فهو مستمر دائم؛ فإضافته محضة.

- التاسعة: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: هو يوم القيامة.

ويصلح هنا من معاني الدين: الحساب، والجزاء، والقهر؛ ومنه: ﴿أَعَانَا
لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣].

- العاشرة: ﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين: مفعول بالفعل الذي بعده.

وإنما قُدِّمَ ليفيد الحصر؛ فإنَّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر، فاقضى
قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: أن يعبد الله وحده، واقتضى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ اعترافاً بالعجز والفقر، وأنه لا يستعين إلا بالله^(١) وحده.

- الحادية عشرة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي نطلب العون منك على
العبادة وعلى جميع أمورنا.

وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية، وأن الحق بين ذلك.
- الثانية عشرة: ﴿أَهْدِنَا﴾: دعاء بالهدى.

فإن قيل: كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟

فالجواب: أن ذلك طلبٌ للثبات عليه إلى الموت، أو^(٢) الزيادة منه؛ فإنَّ
الارتقاء في المقامات لا نهاية له.

- الثالثة عشرة: قدم الحمد والثناء على الدعاء؛ لأنَّ تلك السنة في

(١) في د: «الله».

(٢) في ج، د: «و».

الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة.
وكذلك قدّم الرحمن على ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ لأنّ رحمة الله سبقت
غضبه.

وكذلك قدّم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنّ تقديم الوسيلة
قبل طلب الحاجة.

- الرابعة عشرة: ذُكر الله تعالى في أوّل هذه السورة على طريق الغيبة،
ثم على الخطاب في ﴿إِيَّاكَ﴾ وما بعده، وذلك يسمى: الالتفات.
وفيه إشارة إلى أنّ العبد إذا ذكر الله تقرّب منه فصار من أهل الحضور
فناجاه.

- الخامسة عشرة: الصراط في اللغة: الطريق المحسوس الذي يُمشى
عليه.

ثم استعير للطريقة التي يكون الإنسان عليها من الخير أو الشر.

ومعنى ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾: القويم الذي لا عوج فيه.

فـ ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: الإسلام.

وقيل: القرآن.

والمعنيان متقاربان؛ لأنّ القرآن تضمّن شرائع الإسلام، وكلاهما مروى
عن النبي ﷺ^(١).

(١) تفسير الصراط بالإسلام أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦٣٤)، وتفسيره بالقرآن أخرجه
الترمذي (٢٩٠٦)، كلاهما في ضمن حديث طويل.

وقرئ ﴿الصِّرَاطَ﴾: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

وقد قيل: إنه قرئ بزاي خالصة.

والأصل فيه: السين، وإنما أُبدل منها صادٌ؛ لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي؛ فلموافقة الطاء في الجهر.

- السادسة عشرة: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾:

قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

وقيل: المؤمنون.

وقيل: الصحابة.

وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا.

والأول أرجح؛ لعمومه، ولقوله: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

- السابعة عشرة: إعراب ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾: بدلٌ.

وبيعد النعت؛ لأنَّ إضافته غير محضة، وهو قد جرى على معرفة.

وقرئ بالنصب: على الاستثناء، أو الحال.

- الثامنة عشرة: أسند ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى الله، والغضب إلى ما

لم^(١) يَسْمَ فاعله على وجه التأدب؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

[الشعراء: ٨٠].

(١) في أ: «لما لم».

﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأوّل: في موضع نصب، والثاني: في موضع رفع.
 - التاسعة عشرة: ﴿الْمَنْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود، و﴿الضَّالِّينَ﴾: النصراني، قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ^(١).

وقيل: ذلك عامٌ في كل مغضوب عليه، وكل ضالّ.

والأول أرجح؛ لأربعة أوجه:

[١] روايته عن النبي ﷺ.

[٢] وجلالة قائله^(٢).

[٣] وتكرار «لا» في قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ دليلٌ على تغاير الطائفتين.

[٤] وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن؛ كقوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلال صفة النصراني؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى بن مريم عليه السلام، ولقول الله فيهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

- الموقفية عشرين: هذه السورة جمعت معاني القرآن كلّها، فكانها نسخة مختصرة منه، فتأملها بعد تحصيل «الباب الثالث» من «المقدمة الأولى» تعلم ذلك.

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٥٤).

(٢) في أ، ب، د: «قائله».

فالإلهيات حاصلة في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ② .

والدار الآخرة في قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ③ .
والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ .

والشريعة كلها في قوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .
والأنبياء وغيرهم في قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ .
وذكر طوائف الكفار في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ .
★ خاتمة: أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة؛ للدعاء الذي فيها .

وقولك: «آمين»: اسم فعلٍ معناه: اللهم استجب .
وقيل: هو من أسماء الله .
ويجوز فيه مدُّ الهمزة وقصرُها، ولا يجوز تشديد الميم .
ويؤمَّن في الصلاة: المأموم، والفذ، والإمام إذا أسرَّ، واختلف إذا
جهر .

﴿ سورة البقرة ﴾

[﴿الْعَمَّ ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧﴾].

﴿الْعَمَّ﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل السور، وهي: ﴿الْمَصَّ﴾، و﴿الرَّءُ﴾، و﴿الْتَرَّ﴾، و﴿كَمَبَقَصَ﴾، و﴿طَهَ﴾، و﴿طَمَّ﴾، و﴿طَسَّ﴾، و﴿بَسَّ﴾، و﴿صَّ﴾، و﴿قَّ﴾، و﴿حَمَّ﴾، و﴿عَسَقَ﴾، و﴿تَّ﴾.

فقال قومٌ: لا تفسر؛ لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. قال أبو بكر الصديق: «الله في كل كتاب سرٌّ، وسرُّه في القرآن فواتح السور»^(١).

(١) لم أقف عليه مستنداً إلى أبي بكر رضي الله عنه، ونسبه الثعلبي في تفسير «الكشف والبيان» (١٣٦/١) إلى أبي بكر أيضاً، وفي «الدر المنثور» (١٢٧/١): «وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ بن حبان في التفسير عن داود بن أبي هند قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود إن لكل كتاب سرّاً، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعها وسل عما بدا لك».

وقال قوم: تفسّر؛ ثم اختلفوا فيها:

ف قيل: هي أسماء للسور.

وقيل: أسماء لله.

وقيل: أشياء^(١) أقسم الله بها.

وقيل: هي حروف مقطعة من كلمات؛ فالألف من: «الله»، واللام من:

«جبريل»، والميم من: «محمد» ﷺ، ومثل ذلك في سائرها.

وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدلُّ بعدد حروف

«أبي جاد» على السنين التي تبقى هذه الأمة، وسمع النبي ﷺ منهم ذلك

فلم ينكره^(٢).

وقد جمع أبو القاسم السهيلي^(٣) عددها على ذلك، بعد أن أسقط

المكرّر، فبلغت تسع مئة وثلاثة^(٤).

وإعراب هذه الحروف: يختلف باختلاف في معناها^(٥):

فيُتصوّر أن تكون في موضع رفع، أو نصب، أو خفض.

(١) في ب، ج، هـ: «أسماء».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٢٠).

(٣) هو أبو القاسم وأبو زيد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخنعمي الأندلسي المالقي

السهيلي المالكي، صاحب كتاب «الروض الأنف» في شرح سيرة ابن هشام وغيره من

التصانيف، توفي سنة (٥٨١هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/١٤٣)،

والديباج المذهب، لابن فرحون (١/٤٨٠).

(٤) انظر: الروض الأنف (٤/٤٢٠).

(٥) في د: «معانيها».

فالرفع: على أنها مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمرة.

والنصب: على أنها مفعولة بفعل مضمرة.

والخفض: على قول من جعلها مَقْسَمًا بها؛ كقولك: «اللَّهُ لأفعلن».

وإنما سُكِّنَتْ لأنها لم يدخل عليها عاملٌ يقتضي حركة؛ فسكونها للوقف، لا للبناء، كقولك في العدد: «واحد، اثنان».

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ هو هنا: القرآن.

وقيل: التوراة والإنجيل.

وقيل: اللوح المحفوظ.

والأول هو الصحيح الذي يدلُّ عليه سياق الكلام، ويشهد^(١) له مواضع من القرآن المقصودُ فيها إثبات أن القرآن من عند الله؛ كقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] يعني: القرآن باتفاق. وخبر ﴿ذَلِكَ﴾: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وقيل: خبره ﴿الْكِتَابُ﴾؛ فعلى هذا: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة مستقلة؛ فيوقف عليها.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك أنه من عند الله؛ في نفس الأمر، وفي اعتقاد أهل الحق. ولم يعتبر اعتقاد أهل الباطل. ﴿فِيهِ﴾ خبر ﴿لَا﴾^(٢)؛ فيوقف عليه.

(١) في ج، د: «وتشهد».

(٢) في ب، د: «وخبر ﴿لَا﴾: ﴿فِيهِ﴾».

وقيل : خبرها محذوف ؛ فيوقف على : ﴿لَا رَيْبَ﴾ .
والأول أرجح ؛ لتعنيته في قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في مواضع أخر .
فإن قيل : فهلاً قدّم قوله : ﴿فِيهِ﴾ على الريب كقوله : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾
[الصافات : ٤٧] ؟

فالجواب : أنه إنما قصد نفي الريب عنه ، ولو قدّم ﴿فِيهِ﴾ لكان إشارة
إلى أن ثمّ كتاباً آخر فيه ريبٌ ، كما أن ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ إشارة إلى أن خمر
الدنيا فيها غول ، وهذا المعنى يبعد قصده ؛ فلم يقدّم الخبر^(١) .

﴿هُدًى﴾ هنا بمعنى : الإرشاد ؛ لتخصيصه بالمتقين .
ولو كان بمعنى البيان لعمّ ؛ كقوله : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة : ١٨٥] .
وإعرابه :

خبر ابتداء .

أو مبتدأ ، وخبره : ﴿فِيهِ﴾ عند من يقف^(٢) : ﴿لَا رَيْبَ﴾ .
أو منصوب على الحال ، والعامل فيه الإشارة .
﴿لِلْمُنْقِبِينَ﴾ مُفْتَعِلِينَ ؛ من التقوى ، وقد تقدّم معناه في «اللغات»^(٣) .

(١) انظر : الكشف للزمخشري (٢ / ٥٥) .

(٢) في هامش هـ زيادة : «على» .

(٣) انظر المادة (٩٥) في اللغات .

★ نتكلم في ^(١) التقوى في ثلاثة فصول:

- الأول: في فضائل المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة:

- [١] الهدى؛ لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].
- [٢] والنصرة؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨].
- [٣] والولاية؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الحجبة: ١٩].
- [٤] والمحبة؛ لقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].
- [٥] والمعرفة؛ لقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].
- [٦] والمخرج من الغم.
- [٧] والرزق من حيث لا يحتسب؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الآية [الطلاق: ٢].
- [٨] وتيسير الأمور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].
- [٩] وغفران الذنوب.
- [١٠] وإعظام الأجور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

[١١] وتقبل الأعمال؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

[١٢] والفلاح؛ لقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

(١) في د، وهامش أ: «على».

[١٣] والبشرى؛ لقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

[يونس: ٦٤].

[١٤] ودخول الجنة؛ لقوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [الفلم: ٣٤].

[١٥] والنجاة من النار؛ لقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢].

- الفصل الثاني: البواعث على التقوى^(١) عشرة:

[١] خوف العقاب الأخراوي.

[٢] وخوف العقاب الدنياوي.

[٣] ورجاء الثواب الدنيوي.

[٤] ورجاء الثواب الأخروي.

[٥] وخوف الحساب.

[٦] والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة.

[٧] والشكر على نعمه بطاعته.

[٨] والعلم؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

[٩] وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة.

[١٠] وصدق المحبة فيه؛ لقول القائل:

نعصي الإله وأنت تظهر حبه! هذا محال في القياس بديع

(١) في ب، د زيادة: «وهي».

لو كان حبك صادقاً لأطعته إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعٌ^(١)
ولله درُّ القاتل :

قالت -وقد سألت عن حال عاشقها-: بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت: لو كان رهن الموت من ظمإٍ وقلت: قف عن ورود الماء: لم يرد^(٢)
- الفصل الثالث: درجات التقوى خمس :

- [١] أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.
- [٢] وأن يتقي المعاصي والمحرمات، وهو مقام التوبة.
- [٣] وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع.
- [٤] وأن يتقي المباحات، وهو مقام الزهد.
- [٥] وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة.

(١) البيتان لعبد الله بن المبارك، أوردهما ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٤٦٩/٣٢)، وانظر: ديوان ابن المبارك، جمع وتحقيق ودراسة: د. مجاهد مصطفى بهجت.

(٢) البيتان لأبي القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا الحسني الرسي المصري، كما في يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (٤٩٨/١)، ووفيات الأعيان (١٢٩/١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٨١٧/٧)، ولفظ البيتين هكذا في المصادر:
قالت لطيف خيال زارني ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال: أبصرته لو مات من ظمإٍ وقلت: قف عن ورود الماء: لم يرد
ونُسب أيضًا إلى أبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة كما في يتيمة الدهر (١١٨/١)، قال الذهبي: «ولم يصح».

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

يؤمنون بالأمور المغيبيات، كالآخرة وغيرها؛ فالغيب -على هذا- :
بمعنى الغائب؛ إمّا:

تسمية بالمصدر، كعذلي.

وإما تخفيفاً من فَعِيل؛ كَمَيِّت.

والآخر: يؤمنون في حال غيبتهم، أي: باطنا وظاهراً.

و﴿الْغَيْبِ﴾:

على القول الأول: يتعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

وعلى الثاني: في موضع الحال.

ويجوز في ﴿الَّذِينَ﴾ أن يكون:

خفضاً على النعت.

أو نصباً على إضمار فعل.

أو رفعاً على أنه خبر ابتداء.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ إقامتها: عملها؛ من قولك: «قامت السوق»، وشبه ذلك.

والكمال: المحافظة عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية

شروطها، وأركانها، وسننها، وفضائلها، وحضور القلب، والخشوع

فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض، والإكثار من النوافل.

﴿يُنْفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

الزكاة ؛ لا قترانها مع الصلاة .

والثاني : أنه التطوع .

والثالث : العموم ، وهو الأرجح ؛ لأنه لا دليل على التخصيص .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ اختلف :

هل هم المذكورون قبل ؛ فيكون ^(١) من عطف الصفات ؟

أو هم غيرهم - وهم مَنْ أسلم من أهل الكتاب - ؛ فيكون عطفاً للمغايرة ؟

أو مبتدأ ، وخبره : الجملة بعده ؟

﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ : القرآن .

﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ : التوراة ، والإنجيل ، وغيرهما من كتب الله ﷻ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن ، كأبي جهل .

فإن كان ﴿الَّذِينَ﴾ للجنس : فلفظها عامٌ يراد به الخصوص .

وإن كان للعهد : فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم ، وقد اختلف فيهم :

فقليل : المراد من قُتِلَ بيد من كفار قريش .

وقيل : المراد حِيَّ بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان .

﴿سَوَاءٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ ، و﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ فاعلٌ به ؛ لأنه في تقدير المصدر .

(١) في زيادة : «قوله : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾» ورمز لها أعلى السطر : «خ» .

أو ﴿سَوَاءٌ﴾ مبتدأ، و﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ خبره.

أو العكس؛ وهو أحسن.

و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الوجوه:

استئناف للبيان، أو للتأكيد.

أو خبرٌ بعد خبر.

أو تكون الجملة اعتراضاً، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخبر.

والهمزة في ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ لمعنى التسوية، قد انسلخت من معنى الاستفهام.

﴿خَتَمَ﴾ الآية تعليلٌ لعدم إيمانهم، وهو عبارة عن إضلالهم؛ فهو مجاز.

وقيل: حقيقة، وأن القلب كالكف، يُقبَضُ مع زيادة الضلال إصْبَعًا إصْبَعًا حتى يختم عليه.

والأول أبرع.

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ معطوفٌ على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾؛ فيوقف عليه.

وقيل: الوقف على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، والسمع راجع إلى ما بعده.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿غَشَوَهُ﴾ مجازٌ باتِّفاق.

وفيه دليلٌ على وقوع المجاز في القرآن، خلافاً لمن منعه.

ووَحَّدَ السمع؛ لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع.

[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السَّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ بَعْدَئِهِمْ وَمَا كَانُوا مُنْتَهِدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَرَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بَكُمْ عَنِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ اصْبِعْهُم فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾].

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أصل الناس: أناس؛ لأنه مشتق من الأنس، وهو اسم جمع، وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفاً.

﴿مَن يَقُولُ﴾ إن كانت اللام في ﴿النَّاسِ﴾:

للجنس: ف ﴿مَن﴾ موصوفة.

وإن جعلتها للعهد: ف ﴿مَن﴾ موصولة.

وأفرد الضمير في ﴿يَقُولُ﴾ رغباً للفظ: ﴿مَن﴾.

﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون، وكانوا جماعة من الأوس والخزرج، رأسهم: عبد الله بن أبي بن سلول، يظهرون الإسلام ويسرون الكفر.

ويسمى الآن من كان كذلك: زنديقًا.

وهم في الآخرة: مخلدون في النار.

وأما في الدنيا:

فإن لم تقم عليهم بيعة: فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم.

وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان:

فمذهب مالك: القتل، دون الاستتابة.

ومذهب الشافعي: الاستتابة وترك القتل.

فإن قيل: كيف جاء قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ جملة فعلية، و﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملة اسمية؛ فهل طابقتها؟

فالجواب: أن قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أبلغ وأؤكد في نفي الإيمان عنهم من أن لو قال: «وما آمنوا»^(١).

فإن قيل: لم جاء قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ مقيدًا بالله واليوم الآخر، و﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مطلقًا؟

فالجواب: أنه يحتمل وجهين:

التقييد؛ وتركه^(٢) لدلالة الأول عليه.

(١) انظر: الكشف (٢/١٥٧).

(٢) في ج، هـ: «وترك».

والإطلاق، وهو أعمُّ في سلبهم عن الإيمان^(١).

﴿يُخَادِعُونَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع، ويرومون الخَدْعَ بإظهار خلاف ما يسرون.

وقيل: معناه يخادعون رسولَ الله ﷺ.

والأول أظهر.

﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: وبإل فعلهم راجعٌ عليهم.

وقرى: ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ - بفتح الياء من غير ألف - : من خَدَعَ، وهو أبلغ في المعنى؛ لأنه يقال: خادع: إذا رام الخداع، وخدع: إذا تمَّ له.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حُذِفَ معموله^(٢)، أي: لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يَحْتَمِلُ:

أن يكون حقيقة؛ وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره.

وأن يكون مجازاً؛ بمعنى الشك، أو الحسد.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ يَحْتَمِلُ: الدعاء والخبر.

﴿يُكْذِبُونَ﴾ - بالتشديد - أي: يكذبون الرسول ﷺ.

وقرى بالتخفيف؛ أي: يكذبون في قولهم: آما.

(١) انظر: الكشاف (١٥٩/٢).

(٢) في ب، د: «مفعوله».

﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ أي: بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يحتمل:

أن يكون جحودًا للكفر؛ لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

أو اعتقادًا أنهم على إصلاح.

﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ.

والكاف يحتمل: أن تكون للتشبيه، أو التعليل.

و﴿مَا﴾ يحتمل:

أن تكون كAFFة مُهَيَّئَةً^(١)؛ كما هي في «ربما».

وأن تكون مصدرية.

﴿أَتُؤْمِنُونَ﴾ إنكارٌ منهم وتوبيخ.

﴿هُمْ أَسْفَهَاءُ﴾ ردٌ عليهم، وإناطةٌ للسفه بهم.

وكذلك: ﴿هُمْ أَلْمُفْسِدُونَ﴾.

وجاء بالألف واللام؛ ليفيد حضر السفه والفساد فيهم، وأكد به «إنَّ»

وب«أَلَا» التي تقتضي الاستئناف وتنبية المخاطب.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ كذبوا؛ خوفًا من المؤمنين.

﴿خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ هم: رؤساء الكفار^(٢).

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب، ج، هـ: «الكفر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ «خ».

وقيل : شياطين الجن ، وهو بعيد .

وتعدى «خلا» بـ «إلى» ؛ لأنه ضَمَّن معنى : مشوا ، أو ذهبوا ، أو ركنوا .

وقيل : «إلى» بمعنى «مع» ، أو بمعنى الباء .

وجاء قولهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ بجمله اسمية ؛ مبالغة وتأكيذا بخلاف قولهم : ﴿ ءَامَنَّا ﴾ ؛ فإنه جاء بالفعل ؛ لضعف إيمانهم .

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

تسمية العقوبة باسم الذنب ؛ كقوله : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ ﴾

[آل عمران : ٥٤] .

وقيل : يُملِي لهم ؛ بدليل قوله : ﴿ وَيَذُدُّهُمْ ﴾ .

وقيل : يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزاء بهم ؛ كما جاء في سورة «الحديد» : ﴿ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ الآية [الحديد : ١٣] ^(١) .

﴿ وَيَذُدُّهُمْ ﴾ : يزيدهم .

وقيل : يُملِي لهم .

وقد ذُكِرَ ﴿ يَغْمَهُونَ ﴾ ^(٢) .

﴿ أَشْرَرُوا أَضْلَلَهُ ﴾ عبارة عن تركهم الهدى مع تمكُّنهم منه ، ووقوعهم في الضلالة ؛ فهو مجاز بديع .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : «لا إشكال فيما ذكر المؤلف من الوجوه ؛ فلكل منها وجه» . وأقربها الثاني والثالث ؛ فإن في كل منهما استهزاء بالفعل .

(٢) انظر المادة (٣٩٢) في اللغات .

﴿فَمَا رِيحَتْ يَحْتَرُثُهُمْ﴾ ترشيحٌ للمجاز؛ لَمَّا ذَكَرَ الشَّرَاءَ ذَكَرَ مَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الرِّيحِ وَالْخُسْرَانِ.

وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجازٌ -أيضاً-؛ لأن الربح أو الخاسر هو التاجر.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء، أو على الإطلاق.

قال الزمخشري: نفى الربح في قوله: ﴿فَمَا رِيحَتْ﴾، ونفى سلامة رأس المال في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(١).

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثل -هنا- بمعنى: حالهم وصفتهم: فالكاف للتشبيه.

وإن كان المثل بمعنى: الشبه: فالكاف زائدة.

﴿أَسْتَوْقَدَ﴾ أي: أوقد.

وقيل: طلب الوقود؛ على الأصل في «استفعل».

﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ إن تعدّى: ﴿فَمَا حَوْلَهُ﴾ مفعولٌ به.

وإن لم يتعدّ: ﴿مَا﴾ زائدة، أو ظرفية.

﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَبُورِهِمْ﴾ أي: أذهب، وهذه الجملة جواب ﴿لَمَّا﴾؛ فالضمير

في ﴿يَبُورِهِمْ﴾ عائِدٌ على ﴿الَّذِي﴾؛ وهو على هذا بمعنى: «الذين»، وحذفت النون منه لغةً.

(١) انظر: الكشف (٢/ ٢٢٠).

وقيل : جواب ﴿لَمَّا﴾ محذوف تقديره : طَفِثَتِ النارُ ؛ و﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَتُورِهِمْ﴾ : جملةٌ مستأنفةٌ ، والضمير عائد على المنافقين ؛ فعلى هذا يكون ﴿الَّذِي﴾ على بابه من الأفراد .

(والأول أرجح) ^(١) ، والأرجح : أنه إنما أُعيد عليه ضمير الجماعة ؛ لأنه لم يُقصد بالذي : واحدٌ بعينه ، إنما المقصود التشبيه بمن استوقد ناراً ، سواء كان واحداً أو جماعة ، ثم أُعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبَّه ؛ لأنهم جماعة .

فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت ؟
فالجواب : من ثلاثة أوجه ^(٢) :

أحدها : أنَّ منفعتهم في الدنيا - بدعوى الإيمان - شبيهةٌ بالنور ، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده .

والثاني : أنَّ اختفاء كفرهم كالنور ، وفضيحتهم بعده كالظلمة .

والثالث : أنَّ ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر ، فإيمانه نورٌ ، وكفره بعده ظلمة .

ويرجع هذا قوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [المنافقون : ٣] .

فإن قيل : لم قال : ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَتُورِهِمْ﴾ ولم يقل : «ذهب الله بضوئهم» ؛
مشاكلةً لقوله : ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ ؟

(١) زيادة من ب ، د .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (١/ ١٣٤) ؛ والكشاف (٢/ ٢٤٢) .

فالجواب: أن ذهاب^(١) النور أبلغ؛ لأنه إذهابٌ للقليل والكثير، بخلاف الضوء؛ فإنما^(٢) يَنْطَلِقُ^(٣) على الكثير.

﴿صُمُّكُمْ عَنْكُمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ: المنافقون، أو المستوقِدون المشبه بهم.

وهذه الأوصاف مجازٌ، عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقد الحواس.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إن أريد به المنافقون فمعناه: لا يرجعون إلى الهدى. وإن أريد به أصحاب النار فمعناه: أنهم متحيِّرون في الظلمة، لا يَبْرَحُونَ^(٤)، ولا يهتدون إلى الطريق.

﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ عطف على: ﴿الَّذِي أَسْتَوَفَدَ﴾، والتقدير: أو كصاحب صَيْبٍ.

و﴿أَوْ﴾ للتنويع؛ لأنَّ هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين.

والصيب: المطر، وأصله: صَيُوبٌ، ووزنه فَيْعِلٌ، وهو مشتق من قولك: صاب يصوب.

وفي قوله: ﴿مَنْ السَّمَاءِ﴾ إشارة إلى قوَّته وشدة انصبابه.

(١) في هامش أ: «خ: إذهاب».

(٢) في ج، د، هـ: «فإنه».

(٣) في ب: «يطلق».

(٤) في ج، د: «لا يرجعون».

قال ابن مسعود: إِنَّ رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك، فعزما على الإيمان، ورجعا إلى النبي ﷺ وحسن إسلامهما، فضرب الله ما نزل بهما مثلاً للمنافقين.

وقيل: المعنى: تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم: بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فضلَّ عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه؛ وهذا التشبيه على الجملة.

وقيل: إِنَّ التشبيه على التفصيل؛ فالمطر: مَثَلٌ للقرآن أو الإسلام، والظلمات: مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين، والرعد: مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم، والبرق: مثل لما فيه من البراهين الواضحة. فإن قيل: لم قال: ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ بالإفراد، ولم يجمعه كما جمع ﴿ظُلُمْتُ﴾؟

فالجواب: أَنَّ الرعد والبرق مصدران، والمصدر لا يجمع. ويحتمل أن يكونا اسمين، وترك جمعهما لأنهما في الأصل مصدران^(١). ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾ أي: من أجل الصواعق. قال ابن مسعود: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم؛ لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي ﷺ.

فهو - على هذا - حقيقة في المنافقين.

(١) انظر: الكشاف (٢/٢٦٩).

والصواعق على هذا: ما يكرهون من القرآن، والموت: هو ما يتخوَّفونه؛
فهما مجازان.

وقيل: إنه راجعٌ لأصحاب المطر المشبه بهم، فهو حقيقة فيهم.
والصواعق على هذا حقيقة، وهي التي تكون مع المطر من شدة الرعد،
ونزولِ قطعة نار، والموت -أيضاً- حقيقة.

وقيل: إنه راجعٌ للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل
أصابعه في أذنه^(١) من شدة الخوف من المطر والرعد.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَصْنَعُكُمْ﴾ ولم يقل: «أناملهم»؛ والأنامل هي التي
تجعل في الآذان؟

فالجواب: أن ذكر الأصابع أبلغ؛ لأنها أعظم من الأنامل؛ ولذلك
جمّعها، مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة^(٢).

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي لا يفوتونه، بل هم تحت قهره، وهو قادر على
عقابهم.

﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ إن رجع الضمير إلى أصحاب المطر -وهم الذين شبه
بهم المنافقين-: فهو بين المعنى.

وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين:
أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يُضيء البرق؛ وهذا مناسبٌ

(١) في أ: «آذانه».

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٢٧١).

لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدّم.

والآخر : يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم.

﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْآ فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى : أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى : أنه ^(١) يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان.

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى : أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى :

أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان : ثبتوا على كفرهم.

وقيل : إنَّ المعنى : كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا : هذا دين مبارك ؛ فهذا مثل الضوء ، وإذا أصابته شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوه ؛ فهذا مثل الظلمة .

فإن قيل : لم قال مع الإضاءة : ﴿كَلَّمَآ﴾ ، ومع الإظلام : ﴿وَإِذَا﴾ ؟

فالجواب : أنهم لما كانوا جراضاً على المشي : ذكر معه ﴿كَلَّمَآ﴾ ؛ لأنها تقتضي التكرار والكثرة ^(٢).

(١) في أ : «أنهم» وفي الهامش : «خ : أنه» .

(٢) انظر : الكشف (٢/٢٧٨) .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية: إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد، وأبصارهم بالبرق.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة؛ وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم. والباء للتعدي؛ كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

[يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا
عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾
وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا
رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا
مَا بَمَوْضِعَةٍ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ
كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَائِرُونَ ﴿١٨﴾
كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَتَمُونَ فَأَخَذْنَاكُمْ ثَمَّ يُمِيسُكُمْ ثُمَّ يُخِصِّكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١٩﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ
فَسَوَّيْنَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ الآية: لما قَدَّمَ اختلاف الناس في الدين، وذكر ثلاث
طوائف: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين = أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى
عبادة الله.

وجاءت الدعوة عامة لجميع الناس؛ لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع
الناس.

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ يدخل فيه : الإيمان به سبحانه ، وتوحيده ، وطاعته .

فالأمر بالإيمان به : لمن كان جاحداً .

والأمر بالتوحيد : لمن كان مشركاً .

والأمر بالطاعة : لمن كان مؤمناً .

﴿لَكُمْ﴾ يتعلق :

بـ ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ؛ أي خلقكم لتتقوه ؛ كقوله : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) ﴿الذاريات : ٥٦﴾ .

أو بفعل مقدر من معنى الكلام أي : دعوتكم إلى عبادة الله ؛ لعلكم تتقون ؛ وهذا أحسن .

وقيل : يتعلق بقوله : ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ ؛ وهذا ضعيف .

وإن كانت «لعل» للترجي فتأويله : أنه في حق المخلوقين ؛ جرياً على عادة كلام العرب .

وإن كانت للمقاربة أو التعليل : فلا إشكال .

والأظهر فيها : أنها لمقاربة الأمر ؛ نحو : «عسى» ؛ فإذا قالها الله فمعناها : إطماع العباد ، وهكذا القول فيها حيثما وردت في كلام الله تعالى .

﴿الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ تمثيل ؛ لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفرش ؛ فهو مجاز .

وكذلك ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ .

﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ : «من» : للتبويض ، أو لبيان الجنس ؛ لأن الثمر هو المأكول من الفواكه وغيرها .

والباء في ﴿بِهِ﴾ : سببية ، أو كقولك : «كتبته بالقلم» ؛ لأنَّ الماء سبب في خروج الثمرات بقدرة الله تعالى .

﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ : «لا» :

ناهية .

أو نافية ؛ وانتصب الفعل بإضمار «أن» بعد الفاء في جواب ﴿أَعْبُدُوا﴾ .
والأول أظهر .

﴿أَنْدَادًا﴾ يراد به هنا : الشركاء المعبودون مع الله جلَّ وعلا .

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حُذِفَ مفعوله مبالغةً وبلاغةً ؛ أي : وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين .

وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق .

ويتعلَّق قوله : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ بما تقدَّم من البراهين .

ويحتمل أن يتعلَّق بقوله : ﴿أَعْبُدُوا﴾ .

والأول أظهر .

★ فوائد ثلاث :

الأولى : هذه الآية تَضَمَّنَتْ دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقتين :

أحدهما : إقامة البراهين بخليقتهم وخلق السموات والأرض والمطر والثمرات .

والآخر : ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام ، فذكر أولاً ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقة لهم وآبائهم ؛ لأن الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ما أنعم به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ، ومن إنزال المطر ، وإخراج الثمرات ؛ لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر ، وانظر قوله : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ﴾ ، و﴿ رَزَقًا لَّكُمْ ﴾ يدلُّك على ذلك ؛ لتخصيصه ذلك بهم ؛ فما أجملها من ملاطفة وخطاب بديع ! .

الثانية : المقصود الأعظم من هذه الآية : الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه ؛ لقوله في آخرها : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ، وذلك هو الذي يُترجم عنه بقولنا : « لا إله إلا الله » ؛ فيقتضي ذلك : الأمر بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد ، وقول « لا إله إلا الله » .

الثالثة : تكرر في القرآن ذكر المخلوقات ، والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار ؛ وذلك أنها تدلُّ بالعقل على عشرة أمور ؛ وهي :

[١] أن الله موجود ؛ لأن الصنعة دليل على الصانع لا محالة .

[٢] وأنه واحد لا شريك له ؛ لأنه لا خالق إلا هو ^(١) ، ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ [النحل : ١٧] .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : (لأنه لا خالق إلا هو) توجيه لدلالة المخلوقات على أنه واحد ؛ وهذا ليس بجيد في صياغة الاستدلال ؛ لأنه تعليل للشيء بنفسه ؛ فكأنه قال : دلت على أنه واحد ؛ لأنه واحد . ولا يخفى ما فيه .

[٧] وأنه قديم؛ لأنه صانع للمحدثات، فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث.

[٩] وأنه حكيم؛ لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات، وتدبيره للملكوت.

وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى، أو على وحدانيته^(٣).

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى، أو على وحدانيته)، أقول: في هذا نظر؛ فإن المخاطبين ليسوا جاحدين لوجود الله؛ بل مشركين في العبادة؛ فالمقصود الأول من ذكر المخلوقات الاستدلال بها على توحيد الإلهية، وهم يقرون بأنه الخالق لهذه المخلوقات، فاحتج عليهم بما أقروا به على ما أنكروه من توحيد الإلهية، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ﴿أَجْمَلُ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا﴾، ولما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُكَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي تَغْيِيرِ الْفُلُكِ وَالْأَنْبَارِ وَالْغُلَاكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ =

فإن قيل: لم قصر الخطاب بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على المخاطبين دون الذين من قبلهم، مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟

فالجواب: أنه لم يقصره عليهم في المعنى، ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ، والمراد الجميع^(١).

فإن قيل: هلاً قال: «لعلكم تعبدون»؛ مناسبة لقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾؟

فالجواب: أن التقوى غاية العبادة وكمالها؛ فكان قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أبلغ وأوقع في النفوس^(٢).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية إثبات لنبوة محمد ﷺ؛ بإقامة الدليل على أن القرآن الذي جاء به من عند الله.

فلما قَدَّم إثبات الإلهية: أعقبها بإثبات النبوة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟

فالجواب: أنه ذكر حرف «إن» إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء في

= مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَالْتَصِقَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَمْرِيفِ الرِّيحِ وَالشَّعَابِ السَّحَابِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَنْتَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٩٧﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ عَابِدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، فتضمنت الآيتان الأمر بعبادته تعالى، والنهي عن الشرك به، وذكر المقتضي لذلك، وهو خلق الأولين والآخرين وخلق السماوات والأرض وما بينهما، ونظائر ذلك كثير.

(١) انظر: الكشاف (٢/٢٩٧).

(٢) انظر: الكشاف (٢/٢٩٩).

مثل هذا الأمر الساطع البرهان؛ فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال في الأمر^(١) الواقع؛ لُبْعِدِ وقوع الريب وقُبْحِه عند العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢).

﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ هو النبي ﷺ.

والعبودية على وجهين:

عامة، وهي التي بمعنى المِلْك.

وخاصة، وهي التي يراد بها التَّشْرِيف والتَّخْصِيس، وهي من أشرف أوصاف العباد، ولله درُّ القائل:

لا تدعني إلا بيا عبدهُ فإنه أشرفُ أسمائي^(٣)

﴿فَأَتُوا سُورَةَ﴾ أمرٌ يراد به التَّعْجِيز.

﴿مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ الضمير عائد:

على: ﴿مَا نَزَّلْنَا﴾، وهو القرآن، و«مِّنْ»: لبيان الجنس.

وقيل: يعود على النبي ﷺ؛ ف«مِّنْ» - على هذا - لا ابتداءً الغاية، ومعناه: من بشرٍ مثله.

(١) في ج، ه زيادة: «الماضي».

(٢) انظر: الكشف (٥٤/٢).

(٣) هذا البيت ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٤٥) بإسناده إلى أبي عبد الله المغربي (ت ٢٩٩هـ).

والأول أرجح؛ لتعيينه^(١) في «يونس» و«هود».

ومعنى: ﴿مِثْلِهِ﴾: في فصاحته، وفيما تضمن من العلوم، والحكم العجيبة، والبراهين الواضحة.

﴿شُهِدَآءُكُمْ﴾: آلهتكم، أو أعوانكم، أو من يشهد لكم.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غير الله.

وقيل: هو من الدنيء الحقير؛ فهو مقلوب اللفظ.

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه، فيه مبالغة وبلاغة، وهو إخبار ظهر مصداقه في الوجود؛ إذ لم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن، مع فصاحة العرب في زمان نزوله، وتصرفهم في الكلام، وحرصهم على التكذيب.

وفي الإخبار بذلك معجزة أخرى.

وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين:

أحدهما: أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله، وهو الصحيح.

والثاني: أنه كان في قدرتهم وصرفوا عنه.

والإعجاز حاصل على الوجهين.

وقد بينّا سائر وجوه إعجازه في المقدمات^(٢).

(١) في ب، ج، د: «لتعيينه».

(٢) انظر صفحة ١١٨.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ أي : فآمنوا ؛ لتنجوا من النار ، وعبر بالملازم عن ملازمه ؛ لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف .

﴿وَقُودُهَا﴾ حطبها .

﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ قال ابن مسعود : هي حجارة الكبريت ؛ لسرعة انقادها ، وشدة حرها ، وقبح رائحتها .

وقيل : الحجارة المعبودة .

وقيل : الحجارة على الإطلاق .

﴿أَعَدَّتْ﴾ دليل على أنها قد خلقت ، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة ، خلافاً لمن قال : إنها تخلق يوم القيامة . وكذلك الجنة .

﴿وَبَشِّرِ﴾ يحتمل أن يكون :

خطاباً للنبي ﷺ .

أو خطاباً لكل أحد ، ورجح الزمخشري هذا^(١) ؛ لأنه أفخم .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ دليل على أن الإيمان خلافاً للعمل ؛ لعطفه عليه ، خلافاً لمن قال : الإيمان اعتقاد ، وقول ، وعمل .

وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال ، خلافاً للمرجئة^(٢) .

(١) انظر : الكشف (٢/٣٤٣) .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : «في كلام المؤلف مسألتان :

المسألة الأولى : قوله : «دليل على أن الإيمان خلافاً للعمل ؛ لعطفه عليه» . =

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: تحت أشجارها وتحت مبانيتها.
وهي: أنهار الماء، واللبن، والخمر، والعسل. وهكذا^(١) تفسيره حيث وقع.

وروي أن أنهار الجنة تجري في غير أُحدود^(٢).

﴿مِنْهَا مِنْ تَمَرٍ﴾ «من» الأولى: للغاية، أو للتبعيض، أو لبيان الجنس.
و«من» الثانية: لبيان الجنس.

﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا؛ بدليل قولهم: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّينَ﴾ [الطور: ٢٦] أي: في الدنيا، فإن في الجنة أجناسَ ثمر الدنيا، وإن كانت خيراً منها في المطعم والمنظر.

= أقول: ظاهره أنه يقرر هذا الاستدلال، وهو بهذا يوافق جميع طوائف المرجئة في الاستدلال بهذه الآية على إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، وأهل السنة يخالفونهم في أصل المسألة وفي الاستدلال بالآية، فيقولون: العمل من الإيمان، لدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، كحديث وفد عبد القيس وحديث شعب الإيمان. ويقولون: العطف لا يقتضي المغايرة دائماً، بل منه عطف الخاص على العام، ومن ذلك عطف الأعمال على الإيمان.

المسألة الثانية: قوله: «وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال، خلافاً للمرجئة».

أقول: هذا الاستدلال صحيح، ولكن قوله: «خلافاً للمرجئة» لا يصح على الإطلاق؛ لأن مرجئة الفقهاء لا ينازعون في هذا، وإنما ينازع في هذا المرجئة الجهمية، القائلين: لا يضر مع الإيمان ذنب».

(١) في ج، د: «وهذا».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٠٥/٦).

﴿وَأَنؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ أي: يشبه ثمر الدنيا في جنسه.

وقيل: يشبه بعضه بعضاً في المنظر، ويختلف في المطعم.

والضمير المجرور يعود على: المرزوق الذي يدلُّ عليه المعنى.

﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي: من الحيض وأقذار النساء ومن سائر الأقذار التي لا تختصُّ بالنساء، كالبول وغيره.

ويحتمل أن يريد: طهارة الطباع، وطيب الأخلاق.

﴿لَا يَسْتَحْيَ﴾ تأوّل قوم أن معناه: لا يترك؛ لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله؛ لأنه - عندهم - انكسارٌ يمنع من الوقوع في أمرٍ.

وليس كذلك؛ وإنما هو: كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب.

ويردُّ عليهم: قوله ﷺ: «إن الله حييٌّ كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً» (١)(٢).

﴿أَن يَضْرِبَ﴾ سبب الآية: أنه لما ذكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار ذلك.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥) جميعهم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «كلام المؤلف مستقيم، على مذهب أهل السنة؛ لأنه تضمن إثبات الحياء لله على ما يليق به، وأنكر على من زعم أنه ممتنع على الله، مما أوجب لهم تحريف الآية بتأويل الحياء بالترك، واستدل المؤلف لما ذهب إليه بالحديث، وهو استدلال صحيح».

وقيل : لما ضُرب المثلين المتقدمين في المنافقين تكلّموا في ذلك ؛ فنزلت الآية ردّاً عليهم .

﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ﴾ إعراب ﴿بَعُوضَةٌ﴾ :

مفعولٌ بـ ﴿يَضْرِبُ﴾ ، و﴿مَثَلًا﴾ حال .

أو ﴿مَثَلًا﴾ مفعول ، و﴿بَعُوضَةٌ﴾ بدل منه ، أو عطف بيان .

أو هما مفعولان بـ ﴿يَضْرِبُ﴾ ؛ لأنها - على هذا المعنى - تتعدّى إلى مفعولين ، كجعل .

و﴿مَّا﴾ : صفة للنكرة ، أو زائدة .

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الكِبَر .

وقيل : في الصَّغَر .

والأول أظهر .

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ؛ لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء ، ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة ، وضربُ أمثال ، وبيانٌ للناس ، ولأنَّ الصادق جاء بها من عند الله .

﴿مَاذَا أَرَادَ﴾ لفظه : الاستفهام ، ومعناه : الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب .

وفي إعراب ﴿مَاذَا﴾ وجهان :

أن تكون «ما» مبتدأ ، و«ذا» خبره ، وهي موصولة .

وأن تكون كلمة مرّبة في موضع نصب على المفعول بـ ﴿أَرَادَ﴾ .

و﴿مَثَلًا﴾ منصوب على: الحال، أو التمييز.

﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ من كلام الله؛ جوابًا للذين قالوا: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾.

وهو -أيضًا- تفسير لما أراد الله بضرب المثل من الهدى والضلال.

﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ مطلق في العهود، وكذلك ما بعده من القطع والفساد.

ويحتمل:

أن يشارَ بنقض عهد الله إلى اليهود؛ لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد ﷺ.

ويشارَ بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش؛ لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين.

ويشارَ بالفساد في الأرض إلى المنافقين؛ لأن الإفساد^(١) من أفعالهم، حسبما تقدّم في وصفهم^(٢).

﴿مِثْقَلِ ذَرَّةٍ﴾ الضمير: للعهد، أو لله تعالى.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ موضعها^(٣): الاستفهام، ومعناها هنا: الإنكار والتوبيخ.

(١) في ب، د: «الفساد».

(٢) في ب، ج، هـ: «صفته».

(٣) في ب، ج، هـ: «موضوعها».

﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾ أي: معدومين، أو في أصلاّب الآباء، أو نُطفًا في الأرحام.

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي: أخرجكم إلى الدنيا.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

وقيل: الحياة الأولى: حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد.

وقيل: في الحياة الثانية: إنها في القبور.

والراجع القول الأول؛ لتعيّنه في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحج: ٦٦].

★ فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية في معرض الردّ على الكفار، وإقامة البرهان على بطلان قولهم.

فإن قيل: إنما يصحّ الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتجّ عليهم بالبعث وهم منكرون له؟

فالجواب: أنهم ألزموا، من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت، ثبوت البعث؛ لأن القدرة صالحة لذلك كلّها.

الثانية: قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾ في موضع الحال.

فإن قيل: كيف جاء دون «قد» وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟

فالجواب: أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل، والمراد: مجموع الكلام؛ كأنه يقول: وحالكم هذه؛ فلذلك لم تلزم «قد»^(١).

الثالثة: عطف ﴿فَأَخْيَكُمُ﴾ بالفاء؛ لأن الحياة إثرُ العدم، لا تراخي بينهما، وعطف ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ و﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بـ «ثم»؛ للتراخي الذي بينهما.

﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ دليلٌ على إباحة الانتفاع بما في الأرض.
﴿أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد لها.

والسما - هنا - : جنس؛ ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة.
﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾ أي: أنقن خلقتهن؛ كقوله: ﴿فَسَوَّيْنَكَ فَعَدَّكَ﴾ [الانقطار: ٧].
وقيل: جعلهن سواءً.

★ فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقوله:
﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] ظاهره خلاف ذلك؛ والجواب
من وجهين:

أحدهما: أن الأرض خُلِقت قبل السماء، ودُحيت بعد ذلك،
فلا تعارض.

والآخر: أن تكون «ثم» لترتيب الإخبار.

(١) انظر: الكشاف (٢/٤١٣).

[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٦﴾ فَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾].

﴿لِلْمَلَكَةِ﴾ جمع ملك، واختلف في وزنه :

ف قيل : فَعَلٌ ؛ فالميم أصلية ، ووزن ملائكة على هذا : فعائلة .

وقيل : هو من الألوكة ، وهي الرسالة ، فوزنه مَفْعَلٌ وأصله : مَأْلَكٌ ، ثم حذفت الهمزة ، ووزن ملائكة على هذا : مفاعلة ، ثم قلب وأخرت الهمزة ؛ فصار : معافلة ؛ وذلك بعيد .

﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم ﷺ ؛ لأنَّ الله استخلفه في الأرض .

وقيل : ذريته ؛ لأنَّ بعضهم يخلف بعضًا .

والأَوَّلُ أرجح، ولو أراد الثاني لقال: خلفاء.

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية؛ سؤال محض؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه.

وليس فيه اعتراض؛ لأنَّ الملائكة منزَّهون عنه.

وإنما علموا أن بني آدم يفسدون:

بإعلام الله إياهم بذلك.

وقيل: كان في الأرض جنٌّ فأفسدوا، فبعث الله إليهم ملائكةً فقتلتهم، فقامت الملائكة بني آدم عليهم.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ اعتراف، والتزام للتسبيح، لا افتخار ولا منَّة.

﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: حامدين لك، والتقدير: نُسَبِّحُ مُلْتَبِسِينَ^(١) بحمدك؛ فهو في موضع الحال.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل:

أن تكون الكاف مفعولاً، ودخلت عليها اللام؛ كقولك: ضربتُ لزيد.

أو أن يكون المفعول محذوفاً، أي: نقُدِّسُكَ، على معنى: ننزِّهُكَ أو نعظِّمُكَ، وتكون اللام في ﴿لَكَ﴾ للتعليل؛ أي: لأجلك.

أو يكون التقدير: نقُدِّسُ أنفسنا - أي نطهِّرها - لك.

﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء،

(١) في ب، د، هامش أ ورمز له بـ«خ»: «متلبسين».

وغير ذلك من المصالح والحكمة.

﴿الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا﴾ أي: أسماء بني آدم.

أو ^(١) أسماء أجناس الأشياء، كتسمية الفرس والشجرة وغير ذلك.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرض المسميات، وهي أشخاص بني آدم، أو ^(٢) أجناس الأشياء.

﴿أَنبِئُونِي﴾ أمرٌ على وجه التعجيز.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إِنَّ الخليفة يُفسد في الأرض ويسفك الدماء.

وقيل: إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء.

﴿لَا عَلِمَ لَنَا﴾ اعتراف.

﴿أَنبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك، أو بأسماء أجناس الأشياء.

﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ السجود له على وجه التحية.

وقيل: عبادة لله، وآدم كالقابلة.

﴿فَسَجَدُوا﴾ روي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سجد لإسرافيل؛ ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ ^(٣).

(١) في ج، هـ: «و».

(٢) في ج، هـ: «و».

(٣) أخرجه ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٣٩٨/٧).

﴿إِلَّا إِلَيسَ﴾ استثناء متصل عند من قال : إنه كان ملكًا .

ومنقطع عند من قال : إنه كان من الجن .

﴿وَأَسْتَكْبَرُ﴾ لقوله : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الاعراف : ١٢] .

﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قيل : كفر بإيائيه من السجود ؛ وذلك بناء على أن المعصية كفرٌ .

والأظهر : أنه كفر باعتراضه على الله ، وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم ، وليس كفره كفر جحود ؛ لاعترافه بالربوبية .

﴿وَزَوْجُكَ﴾ هي حواء ، خلقها الله من ضلعِ آدم .

ويقال : زوجةٌ ، وزوجٌ ؛ وهذا أفصح .

﴿الْجَنَّةُ﴾ هي جنَّةُ الخلد عند الجماعة وأهل السنة ، خلافاً لمن قال : هي غيرها .

﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى ، وإنما نهى عن القرب سداً للذريعة ؛ فهذا أصل في سدِّ الذرائع .

﴿الشَّجَرَةُ﴾ قيل : هي شجرة العنب ، وقيل : شجرة التين ، وقيل : الحنطة .

وذلك مفتقر إلى نقل صحيح ، واللفظ مبهم .

﴿فَتَكُونَا﴾ عطف على ﴿تَقْرَبَا﴾ .

أو : نصب بإضمار «أن» بعد الفاء في جواب النهي .

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعدّدٌ : من زلّل القدم .

﴿أَزَالَهُمَا﴾ بالألف : من الزوال .

﴿عَنَّا﴾ الضمير عائد :

على الجنة .

أو على الشجرة ؛ فتكون «عن» - على هذا - سببية .

★ فائدة : اختلفوا في أكل آدم الشجرة :

فالأظهر : أنه كان على وجه النسيان ؛ لقوله تعالى : ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه : ١١٥] .

وقيل : سكر من خمر الجنة ، وحينئذٍ أكل منها ؛ وهذا باطل ؛ لأن خمر الجنة لا تُسكر .

وقيل : أكلها عمداً ، وهي معصية صغرى ؛ وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر .

وقيل : تأول آدم أن النهي كان عن شجرة معينة ، فأكل من غيرها من جنسها .

وقيل : لما حلف له إبليس صدقه ؛ لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كاذباً .

﴿أَهْطُوا﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس ؛ بدليل : ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ .

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع استقرار ؛ وهو في مدة الحياة .

وقيل : في بطن الأرض بعد الموت .

﴿وَمَتَّعَ﴾ ما يتمتع به .

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الموت.

﴿فَلَقَّ﴾ أي: أخذ وقَبِلَ على قراءة الجماعة.

وقرأ ابن كثير بنصب «آدم» ورفع الكلمات؛ ف﴿تَلَقَّى﴾ - على هذا - من اللقاء.

﴿كَلِمَتٍ﴾ هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَقْوَىٰ لَنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ بدليل ورودها في «الأعراف».

وقيل غير ذلك.

﴿أَفِطْرًا﴾ كُرِّرَ؛ لِيُنَاطَ به ما بعده.

وَيَحْتَمِلُ: أن يكون أحد المهبوطين من السماء، والآخر من الجنة.

وأن يكون هذا الثاني: لذرية آدم؛ لقوله: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، والأول: لآدم وزوجه وإبليس.

وروي أن آدم نزل بسرنديب من أرض الهند، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة^(١).

﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ «إِنْ»: شرطية، و«ما» زائدة؛ للتأكيد.

والهدى هنا يراد به: كتاب^(٢) الله ورسالاته.

﴿فَمَنْ يَسْعَ﴾ شرط، وهو جواب الشرط الأول.

وقيل: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ جواب الشرطين.

(١) الأبلة: بلدة قريبة من البصرة في العراق. انظر: معجم البلدان (١/٧٦).

(٢) في ب: «كتب».

[يَنْبَغِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي قَارِهُبُونَ ﴿٤١﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِثْمِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٥﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٦﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٧﴾].

﴿يَنْبَغِي إِسْرَائِيلَ﴾ لَمَّا قَدَّمَ دَعْوَةَ النَّاسِ عَمُومًا ، وَذَكَرَ مَبْدَأَهُمْ : دَعَا بَنِي إِسْرَائِيلَ خُصُوصًا ، وَهَمَّ الْيَهُودَ .

وَجَرَى الْكَلَامَ مَعَهُمْ مِنْ هُنَا إِلَى حَزْبٍ : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ .

فِتَارَةٌ دَعَاهُمْ بِالْمَلَاظِفَةِ وَذَكَرَ الْإِنْعَامَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى آبَائِهِمْ .
وَتَارَةً بِالتَّخْوِيفِ .

وَتَارَةً بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَتَوْبِيخِهِمْ عَلَى سُوءِ أَعْمَالِهِمْ ، وَذَكَرَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي عَاقِبَهُمْ .

★ فَذَكَرَ مِنَ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ عَشْرَةَ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ :

[١] ﴿وَإِذْ بَخَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] .

[٢] وَ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠] .

[٣] وَ﴿بَعَثْنَاكَ مِنْ بَيْنِ مَوْتِكَ﴾ [البقرة: ٥٦] .

[٤] وَ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧] .

[٥] ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىٰ﴾ [البقرة: ٥٧].

[٦] ﴿وَعَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٢].

[٧] ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

[٨] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨].

[٩] ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].

[١٠] ﴿وَفَافَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عِشْرَةً﴾ [البقرة: ٦٠].

★ وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء :

[١] قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣].

[٢] ﴿وَأَتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٢].

[٣] وقولهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

[٤] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ٥٩].

[٥] ﴿وَلَنْ نُّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

[٦] ﴿وَيُحَرِّقُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

[٧] ﴿وَتَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤].

[٨] ﴿وَقَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٧٤].

[٩] ﴿وَكَفَرْتُمْ بِتَابِتِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥].

[١٠] ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعِيْرَ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥].

★ وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء :

[١ - ٢ - ٣] ﴿وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾

[البقرة: ٦١].

[٤] و﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

[٥] و﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

[٦] و﴿كُونُوا فِرْدَةً﴾ [البقرة: ٦٥].

[٧] و﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٥٩].

[٨] و﴿فَأَخَذْنَاكُمْ الصَّيْعَةَ﴾ [البقرة: ٥٥].

[٩] و﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

[١٠] و﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

وهذا كله جرى لأبائهم المتقدمين، وخطب به المعاصرون لمحمد ﷺ؛
لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم.

★ وقد وَبَّخ المعاصرين^(١) لمحمد ﷺ بتوبيخات آخر، وهي
عشرة:

[١] كتمانهم أمر محمد ﷺ مع^(٢) معرفتهم به.

[٢] و﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦].

(١) في ب، د، هـ: «وَبَّخ المعاصرون».

(٢) في د: «بعد».

[٣] ﴿يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

[٤-٥] ﴿وَتَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِّنْ دِينِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

[٦] وحرصهم على الحياة.

[٧] وعداوتهم لجبريل.

[٨] وأتباعهم للسحر.

[٩] وقولهم: ﴿عَمَّنْ أَنْبَأُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ١٨].

[١٠] وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿يَفْتَنَى﴾ اسم جنس؛ فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناها عام في جميع النعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم، أو اختصوا هم به، كالمن والسلوى.

وللمفسرين فيه أقوال؛ تُحمل على أنها أمثلة، واللفظ يعُمُّ جميعها.

﴿يَهْدِي﴾ مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود.

وقيل: الإيمان بمحمد ﷺ، وذلك قوي؛ لأنه مقصود الكلام.

﴿يَهْدِيكُمْ﴾ دخول الجنة.

﴿وَإِنِّي﴾ مفعولٌ بفعل مضمر مؤخر؛ لانفصال الضمير، وليفيد الحصر،

يفسره: ﴿فَأَرْهَبُون﴾؛ لأنه قد أخذ معموله^(١).

(١) في د: «مفعوله».

وكذلك: ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ .

﴿بِمَا أُنزِلْتُ﴾ يعني: القرآن .

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: مصدقاً للتوراة .

★ وتصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد ﷺ
للأنبياء المتقدمين له ثلاثة معان:

أحدها: أنهم أخبروا به، ثم ظهر كما قالوا؛ فتيّن صدقهم في الإخبار به.
والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء، وأن الله أنزل عليهم الكتب؛ فهو
مصدق لهم؛ أي: شاهد بصدقهم .

والثالث: أنه ﷺ وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة
وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم؛ لاتفاقه معهم في الإيمان
بذلك .

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ الضمير عائد على القرآن .

وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به، ولا يقتضي إباحة الكفر به في ثاني
حال؛ لأن هذا مفهوم معطل، بل يقتضي الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به؛
لما يجدون في كتبهم من ذكره، ولما يعرفون من علاماته .

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بَنَاتِي ثُمَّ قَلِيلًا﴾ الاشتراء هنا: استعارة في الاستبدال؛ كقوله:
﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ .

والآيات هنا: هي الإيمان بمحمد ﷺ .

والثمن القليل : ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم ، وأخذ الرُّشَا على تغيير أمر محمد ﷺ ، وغير ذلك .

وقيل : كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنُهِوا عن ذلك .

واحتجَّ الحنفية بهذه الآية على منع الأجرة^(١) على تعليم القرآن .

﴿الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ﴾ الحق هنا يراد به : نبوة محمد ﷺ ، والباطل : الكفر به .

وقيل : الحق : التوراة ، والباطل : ما زادوا فيها .

﴿وَتَكْنُؤُوا﴾ معطوف على النهي .

أو منصوب بإضمار «أَنْ» في جواب النهي ، والواو بمعنى الجمع .

والأول أرجح ؛ لأنَّ العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين ، بخلاف النصب بالواو ؛ فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين ، لا النهي عن كل واحد على انفراده .

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي : تعلمون أنه حق .

﴿الصَّلَاةُ﴾ و﴿الزَّكَاةُ﴾ يراد بها : صلاة المسلمين وزكاتهم ؛ فهو يقتضي الأمر بالدخول في الإسلام .

﴿وَأَزْكُوا﴾ خصَّص الركوع بعد ذكر الصلاة ؛ لأنَّ صلاة اليهود بلا ركوع ، فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع .

وقيل : الركوع : الخضوع والانقياد .

(١) في ج ، هـ : «الإجارة» .

﴿مَعَ الرُّكَّعِ﴾ هم المسلمون؛ فيقتضي ذلك: الأمر بالدخول في دينهم.

وقيل: الأمر بالصلاة مع الجماعة.

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تفریع وتوبيخ لليهود.

﴿بِالْبَرِّ﴾ عامٌّ في أنواعه؛ فوبَّخهم على أمر الناس به وتركهم له.

وقيل: كان الأحرار يأمرؤن من نصحوه في السرِّ باتباع محمد ﷺ، ولا يتبعونه.

وقال ابن عباس: كانوا يأمرؤن باتباع التوراة، ويخالفونها في جحدهم منها صفة محمد ﷺ.

﴿وَتَسَوْنَ﴾ أي: تتركون، وهذا تفریع.

﴿نَتْلُوَ الْكِتَابَ﴾ حجة عليهم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ.

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالْصَّبْرِ وَالْفَلَاحِ﴾ قيل: معناه: استعينوا بهما على مصائب الدنيا، وقد روي أن رسول الله ﷺ: «كان إذا حزبه^(١) أمر فزع إلى الصلاة»^(٢)، ونُعي إلى ابن عباس أخوه قُثم فصلَّى ركعتين وقرأ الآية^(٣).

وقيل: استعينوا بهما على طلب الآخرة.

وقيل: الصبر هنا الصوم.

(١) في ج، هـ: «حزنه»، وفي ب، د: «أحزنه»، والمثبت هو الموافق لما في الرواية.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٢٠).

وقيل : الصلاة هنا الدعاء .

﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير عائد :

على العبادة التي تضمَّنْها الصبر والصلاة .

أو على الاستعانة .

أو على الصلاة .

﴿لَكِبْرَةٌ﴾ أي : شاقَّةٌ صعبة .

﴿يُظُنُّونَ﴾ هنا : يتيقَّنون .



[يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾] وَأَتَقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِذْ يُخَيِّلُكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا
آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ
الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ
أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ
فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾].

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم.

وقيل: تفضيل من وجه ما، وهو كثرة الأنبياء و^(١) غير ذلك.

﴿لَا تَجْزِي﴾ لا تغني، و﴿شَيْئًا﴾:

مفعول به.

(١) في ب، ج، هـ: «أو».

أو صفة لمصدر محذوف.

والجملة في موضع الصفة، وحذف الضمير؛ أي: فيه.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ ليس نفى الشفاعة مطلقاً؛ فإنَّ مذهب أهل الحق ثبوت شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد: أنه لا يشفع أحدٌ إلا بعد أن يأذن الله له؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]، ولقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣]، وانظر ما ورد في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ يسجد يوم القيامة يستأذن في الشفاعة، فيقال له: «اشفع تشفع»^(١).

فكلُّ ما ورد في القرآن من نفى الشفاعة مطلقاً يحمل على هذا؛ لأنَّ المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفى الشفاعة.

﴿عَذْلٌ﴾ هنا: فدية.

﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ جمع؛ لأنَّ النفس المذكورة يراد بها نفوس.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ تقديره: اذكروا إذ نجيناكم، أي: نجينا آباءكم.

وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ؛ لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم، فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا:

من تعداد النعم؛ لأن الإنعام على الآباء إنعامٌ على الأبناء.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

وَمِنْ ذَكَرْهُمْ مِثْلُكُمْ ؛ لِأَنَّ ذُرِّيَّتَهُمْ رَاضُونَ بِهَا .

﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: من فرعون وآله؛ وحذف لدلالة المعنى .

وآل فرعون: هم جنوده وأشباعه وآل دينه، لا قرابته خاصة .

ويقال: إنَّ اسمه: الوليد بن مصعب، وهو من ذُرِّيَّةِ عَمَلِيق .

ويقال: «فرعون»: لكلِّ مَنْ وَلِيَ مِصْرَ .

وأصل «آل»: أهل، ثم أُبْدِلَ مِنَ الْهَاءِ هَمْزَةٌ، وَأُبْدِلَ مِنَ الْهَمْزَةِ أَلْفٌ .

★ فائدة: كلُّ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ الْأَخْبَارِ مُعْجَزَاتٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛

لأنه أخبر بها من غير تعلُّم .

﴿يَسْؤُمُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: يُلْزِمُونَهُ لَكُمْ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ مِنَ السَّوْمِ فِي

الْبَيْعِ .

وَقَسَّرَ سُوءَ الْعَذَابِ بِقَوْلِهِ: ﴿يُذَيِّبُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ وَلِذَلِكَ لَمْ

يُعْطَفَ هُنَا .

وَأَمَّا حَيْثُ عَظَفَهُ فِي سُورَةِ «إِبْرَاهِيمَ» فَيَحْتَمِلُ :

أَنْ يَرَادَ بِـ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ غَيْرُ ذَلِكَ ؛ فَيَكُونُ عَظَفٌ مُغَايِرَةٌ .

أَوْ أَرَادَ بِهِ ذَلِكَ ؛ وَعَظَفَهُ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظِ .

وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِ فِرْعَوْنَ لِأَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ :

أَنَّهُ أَخْبَرَهُ الْكُهَّانُ وَالْمَنْجُمُونَ أَنَّ هَلَاقَهُ عَلَى يَدِ مَوْلُودِ ذَكَرٍ مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ .

وقيل: إِنَّ آلَ فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكًا وأنبياء فحسدَهم^(١) على ذلك.

وروي: أنه وكَّلَ بالنساء رجالًا يحفظون من يحمل منهنَّ^(٢).

وقيل: بل وكَّلَ على ذلك القوابل؛ ولأجل هذا قيل: معنى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: يَفْتَشُونَ الحيا مِن كل امرأة، وهو فرجُها، وهذا بعيد. والأظهر: أنه من الحياة ضدَّ الموت.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي: فصلناه، وجعلناه فِرْقًا، اثني عشر طريقًا، على عدد الأسباط.

والباء: سببية، أو للمصاحبة.

والبحر المذكور هنا: هو بحر القُلُزُوم.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي: شهر ذي قعدة وعشر ذي الحجة.

وإنما خصَّ الليالي بالذكر لأنَّ التاريخ بها، والأيام تابعة لها، والمراد: أربعين ليلة بأيامها.

﴿أَتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أي: اتخذتموه إلهًا؛ فحذف لدلالة المعنى.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: ^(٣) بعد غيبته في الطُّور.

﴿أَلِكُتِّبَ﴾ هنا: التوراة.

(١) في ب، د: «فحسدوهم».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٤٦/١).

(٣) في ب، ج، د زيادة: «من».

﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ أي: المفرق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة؛ عطف عليها لاختلاف اللفظ.

وقيل: الفرقان هنا: فرق البحر.

وقيل: المعنى: آتينا موسى الكتاب، وآتينا محمداً الفرقان؛ وهذا بعيد؛ لما فيه من الحذف من غير دليل عليه.

﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً؛ كقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وروي: أن من لم يعبد العجل قُتل من عبده^(١).

وروي: أن الظلام أُلقي عليهم فقتل بعضهم بعضاً، حتى بلغ القتل سبعين ألفاً، فعفا الله عنهم^(٢).

ولأنما خصّ هنا اسم الباري؛ لأن فيه توبيخاً للذين عبدوا العجل؛ كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي برأكم. ومعنى الباري: الخالق.

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، وهو فحوى الخطاب، أي: ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم.

﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ﴾ تعدى باللام؛ لأنه تضمن معنى الانقياد.

﴿جَهَنَّةَ﴾ عياناً.

﴿الضَّعِيفَةَ﴾ الموت.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠/١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٠/١).

وكانوا سبعين، وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور، فسمعوا كلام الله، ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا؛ لسوء أدبهم، وجُرأتهم على الله. ﴿وَوَلَّلْنَا﴾ أي: جعلنا الغمام فوقهم كالظلة يقيكم حرَّ الشمس، وكان ذلك في النَّهْي.

وكذلك أنزل عليهم فيه المَنَّ والسلوى لما عَدِموا الطعام.

وقد فسرنا ﴿الْمَنَّ وَالسَّلَوَى﴾ في «اللغات»^(١).

﴿كُلُوا﴾ معمولٌ لقول محذوف.

﴿هَذِهِ الْقَرْيَةُ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحاء، وقيل: قريب من بيت المقدس.

﴿فَكُلُوا﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول فيها.

وجاء في «الأعراف» بالواو بعد قوله: ﴿أَسْكُنُوا﴾؛ لأن الأكل مقارن للسكنى.

﴿سُجَّدًا﴾ قيل: معناه رُكْعًا؛ لأنَّ الدخول لا يتأتَّى معه السجود.

وقيل: متواضعين.

﴿حِطَّةٌ﴾ تقدَّم في «اللغات»^(٢).

﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نزيدهم أجرًا إلى المغفرة.

(١) انظر المادتين: (٣٠٥)، (٤٩٣) في اللغات.

(٢) انظر المادة (١٣٤) في اللغات.

﴿فَبَدَّلَ﴾ روي أنه قالوا: حنطة.

وروي: حبة في شعرة.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمرة؛
لقصد ذمهم بالظلم.

وكرّره زيادة في تقبيح أمرهم.

﴿رِجْزًا﴾ روي أنهم أصابهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفاً.



[﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ كَلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْشِي الْمَوْسَىٰ لَنْ نَضِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدْ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِجُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَنْتَبِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْفٌ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مَضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعَصَابِ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْثُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بَيَّأَتِ اللَّهُ وَيَفْتُلُونَ النَّيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾].

﴿اسْتَسْقَى﴾ طَلَبَ السُّقْيَا لِمَا عَطَشُوا فِي التَّيِّهِ .

﴿الْحَجَرُ﴾ كَانَ مَرَبِّعًا ؛ ذِرَاعًا فِي ذِرَاعٍ ، تَنْفَجِرُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ثَلَاثَ عَيُونٍ .
وروي : أَنَّ آدَمَ كَانَ أَهْبَطَهُ مِنَ الْجَنَّةِ .

وقيل : هُوَ جَنْسٌ غَيْرُ مَعْيَنٍ ؛ وَذَلِكَ أَبْلَغُ فِي الْإِعْجَازِ .

﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ قَبْلَهُ مُحَذَوْفٌ تَقْدِيرُهُ : فَضْرَبَهُ فَانْفَجَرَتْ .

﴿مَشْرِبَهُمْ﴾ أَي : مَوْضِعَ شَرْبِهِمْ ، وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ سِبْطًا ؛ لِكُلِّ سِبْطٍ عَيْنٌ .

﴿كَلُّوا﴾ أَي : مِنَ الْمَنِّْ وَالسَّلْوَى .

﴿وَاشْرَبُوا﴾ مِنَ الْمَاءِ الْمَذْكُورِ .

﴿وَفُومِهَا﴾ هِيَ الثُّومُ . وَقِيلَ : الْحِنْطَةُ .

﴿أَدْفٌ﴾ مِنَ الدُّنْيَا الْحَقِيرِ .

وقيل : أَصْلُهُ «أَدُونُ» ، ثُمَّ قُلِبَ بِتَأْخِيرِ عَيْنِهِ وَتَقْدِيمِ لَامِهِ .

﴿مِصْرًا﴾ قيل : البلد المعروف ؛ وصُرف لسكون وسطه .
 وقيل : هو غير معين فهو نكرة ؛ لِمَا روي أنهم نزلوا بالشام .
 والأول أرجح ؛ لقوله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء : ٥٩] يعني : مصر .

﴿وَصُِرَّتْ﴾ أي قُضي عليهم بها ، وألزموها .
 وجعله الزمخشري استعارة ؛ مِنْ ضَرْبِ الْقُبَّةِ ؛ لأنها تعلو الإنسان وتحيط به ^(١) .

﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفاقة ، وقيل : الجزية .
 ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى : ضرب الذلة ، والمسكنة ، والغضب .
 والباء للتعليل .

﴿يَتَأْتِ اللَّهُ﴾ الآيات المتلوة ، أو العلامات .
 ﴿يَغْيِرُ الْحَقُّ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبيًّا إلا بغير حق ، وإنما نصَّ عليه تشنيعًا لقبح فعلهم ، ولأنهم اجترؤوا على قتلهم مع معرفتهم بأنه بغير حق ؛ وذلك أقبح .

★ فائدة : قال هنا : ﴿يَغْيِرُ الْحَقُّ﴾ بالتعريف ، فاللام للعهد ؛ لأنه قد تقررت الموجبات لقتل النفس .

وقال في الموضع الآخر من «آل عمران» : ﴿يَغْيِرُ حَقٌّ﴾ [آل عمران : ٢١]

(١) انظر : الكشف (٢/٥٠٧) .

بالتنكير؛ لاستغراق النفي؛ لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ يَحْتَمَلُ :

أن يكون تأكيداً للأول.

أو تكون الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى القتل والكفر، والباء لتعليل ﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: اجترأوا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا في العصيان والعدوان.



﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالصَّابِقِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١)
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ
 ﴿١٤﴾ فَعَمَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
 لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَلْذُكُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكَرُ
 عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا
 قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿١٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
 يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
 بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْمَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَنَ جَنَّتْ بِالْحَقِّ
 فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا قَادِرَةً ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
 تَكْتُمُونَ ﴿٢١﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَرِيضَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ
 لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ
 خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية: قال ابن عباس: نسخها: ﴿وَمَنْ
 يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥).

وقيل: معناها: إن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيماناً صحيحاً فله أجره؛
 فيكون في حق المؤمنين: الثبات إلى الموت، وفي حق غيرهم: الدخول

في الإسلام؛ فلا نسخ.

وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ؛ فلا نسخ.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾.

أو: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل، و﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها؛ فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن لم تأخذوها وقع عليكم.

﴿يَقْوَى﴾ جد في تعلم التوراة، أو العمل بها.

﴿أَعْتَدْنَا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اصطادوا فيه الحوت، وكان محرماً عليهم.

﴿كُونُوا فِرْدَةً﴾ عبارة عن مسخهم.

﴿خَسِيتَ﴾: صفة، أو خبر ثان؛ ومعناه: مُبْعِدِينَ كما يُخْسَأُ الكلب.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ الضمير للفيلة؛ وهي المسخ.

﴿نَكَلًا﴾ أي: عقوبة لما تقدّم من ذنوبهم وما تأخّر.

وقيل: عبرة لمن تقدّم ومن تأخّر.

﴿أَنْ تَذَبَحُوا بَقَرَةً﴾ قصّتها: أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه،

وادّعى على قوم أنهم قتلوه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القتيل ببعضها، ففعلوا، فقام وأخبر بمن قتله، ثم عاد ميتاً.

﴿أَلْتَجِدْنَا هُرُوءًا﴾ جفاء وقلة أدب، أو تكذيب.

﴿فَارِضٌ﴾ مسنة.

﴿يَكُرُّ﴾ صغيرة .

﴿عَوَانٌ﴾ متوسطة .

﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي : بين ما ذُكِرَ ؛ ولذلك قال : ﴿ذَلِكَ﴾ مع أن الإشارة إلى شيئين .

﴿صَفْرَاءُ﴾ من الصفرة المعروفة .

وقيل : سوداء ؛ وهو بعيد .

والظاهر : صفراء كلها .

وقيل : القرن والظلف فقط ؛ وهو بعيد .

﴿فَاقِعٌ﴾ شديد الصفرة .

﴿تَسْرُ النَّظِيرِ﴾ لحسن لونها .

وقيل : لِسَمَنِهَا ومنظرها كله .

﴿لَا ذُلُولٌ﴾ أي : غير مذللة للعمل .

﴿تُبِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي : تحرثها ، وهو داخل تحت النفي على الأصح .

﴿وَلَا تَسْقَى﴾ لا يسقى عليها .

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العمل ، أو من العيوب .

﴿لَا شَيْءَ﴾ لا لُْمعة غير الصفرة ؛ وهو من «وشى» ؛ ففاؤه واو محذوفة ،

كعدة .

﴿الَّذِينَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ العامل في الظرف : ﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ .

وقيل : العامل فيه مضمَر تقديره : الآن نذبحُها .

والأول أظهر .

فإن كان قولهم : ﴿الْتَّخِذْنَا هُزُوءًا﴾ تكذيبًا : فهذا تصديق .

وإن كان غير ذلك فالمعنى : بالحق البين .

﴿وَمَا كَادُوا﴾ ؛ لعصيانهم وكثرة سؤالهم عن شأنها .

أو لغلاء البقرة ؛ فقد جاء أنها كانت ليتيم ، وأنهم اشتروها بوزنها ذهبًا .
أو لقلَّة وجود تلك الصفات ؛ فقد روي أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدد عليهم .

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هو أول قصة البقرة ؛ فرتبته التقديم قبل : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ ! .

قال الزمخشري : إنما أُخِّر لتعدد توبيخهم بقصتين ؛ وهما : ترك المسارعة إلى الأمر ، وقتل النفس ؛ ولو قدَّم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد^(١) .

﴿فَاذْرَئْتُمْ﴾ أي اختلفتم ؛ وهو من المدارأة ؛ أي : المدافعة .

﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتل ، ومن قتله .

﴿أَضْرِبُوهُ﴾ القتل ، أو قبره .

﴿بِبَعْضِهَا﴾ مطلق . وقيل : الفخذ . وقيل : اللسان . وقيل : الذنب .

﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى حياة القتل ، واستدلال بها على الإحياء للبعث .

(١) انظر : الكشف (٢/ ٥٣٨) .

وقبله محذوف لا بد منه؛ وهو: ففعلوا ذلك فقام القتيل.

★ **فائدة:** استدلل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول: «فلان قتلني»؛ وهو ضعيف؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاناة الآخرة، وقصته معجزة لنبي، فلا يتأتى أن يكذب المقتول، بخلاف غيره.

واستدلوا -أيضاً- بها على أن القاتل لا يرث؛ ولا دليل فيها على ذلك.

﴿فَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ خطاب لبني إسرائيل.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعد إحياء القتيل، وما جرى في القصة من العجائب.

وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات.

﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على موضع الكاف.

أو: خبر ابتداء؛ أي: هي أشد.

و﴿أَوْ﴾ هنا إمّا:

للإبهام.

أو للتخيير؛ كأن من علم حالها مخيراً بين أن يشبّها بالحجارة، أو بما هو أشد قسوة، كالحديد.

أو للتفصيل؛ أي: فيهم كالحجارة، وفيهم أشد.

وإنما قال: ﴿أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ ولم يقل «أقصى» مع أن فعل القسوة يبنى منه «أفعل»: لكون ﴿أَشَدُّ﴾ أدلّ على فرط القسوة.

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ الْآيَةَ: تَفْضِيلٌ لِلْحِجَارَةِ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

﴿يَهْبِطُ﴾ أَي: يَتَرَدَّى مِنْ عُلوِّ إِلَى سُفْلٍ^(١).

وَالْخَشْيَةُ: عِبَارَةٌ عَنْ انْقِيَادِهَا.

وَقِيلَ: حَقِيقَةٌ؛ وَأَنْ كُلَّ حَجَرٍ يَهْبِطُ فَمَنْ خَشِيَ اللَّهَ.



(١) فِي أ: «أَسْفَلَ».

[﴿أَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَرَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمَيُّونٌ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سِنِيئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨٢)].

﴿أَنْظَمُونَ﴾ خطاب للمؤمنين.

﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ يعني: اليهود، وتعدي باللام؛ لَمَّا تضمن معنى الانقياد.

﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ السبعون الذي سمعوا كلام الله على الطور، ثم حرفوه.

وقيل: بنو إسرائيل، حرفوا التوراة.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيان لقبح فعلهم^(١).

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ قالها من ادّعى الإسلام من اليهود.

وقيل: قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا أخبارهم.

(١) في هامش أ: «خ: حالهم».

﴿أَتُخَذُ تُونُهُمْ﴾ توبيخ.

﴿بِمَا فَتَحَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

بما حكم عليهم من العقوبات .

وبما في كتبهم من ذكر محمد ﷺ .

وبما فتح الله عليهم من الخير والإنعام .

وكل وجه حجة عليهم ؛ ولذلك قالوا : ﴿لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾ .

﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ قيل : في الآخرة .

وقيل : أي : في حكم ربكم وما أنزل في كتابه ؛ فعنده بمعنى : حكمه .

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من بقية كلامهم ؛ توبيخاً لقومهم .

﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية : من كلام الله ؛ ردّاً عليهم ، وفضيحة لهم .

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أي : لا يقرؤون ولا يكتبون ؛ فهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ

الْكِتَابَ﴾ .

والمراد : قوم من اليهود .

وقيل : من المجوس ؛ وهذا غير صحيح ؛ لأن الكلام كله مع اليهود .

﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ تلاوة بغير فهم ، أو أكاذيب ، أو ما تتمناه النفس .

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق لافتراءهم .

﴿ثُمَّ قَلِيلًا﴾ عَرَضَ الدنيا ؛ من الرئاسة ، أو ^(١) الرشوة ، وشبه ذلك .

(١) في ب ، ج ، د : «و» .

﴿يَكْسِبُونَ﴾ من الدنيا، أو من الذنوب.

﴿أَنِّيَأَمَّا مَعْدُودَةٌ﴾ أربعين يوماً عددَ عبادتهم العجل.

وقيل : سبعة أيام.

﴿أَنخَذْتُمْ﴾ الآية : تقريرٌ يقتضي إبطال قولهم.

﴿بَكَلٍّ﴾ تحقيقٌ :

لطول مكثهم في النار.

أو لقولهم ما لا يعلمون.

﴿مَنْ كَسَبَ سَنِيَةً﴾ الآية في الكفار؛ لأنها ردُّ على اليهود، ولقوله

بعدها : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار.



[وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ
دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ
هَتُولَاءٌ مُّقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرِجُونَ فِرْقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَهِ
وَالْعُدُونِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهُمْ مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْثُونٌ
بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾].

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ جوابٌ لقسم^(١)؛ يدلُّ عليه: الميثاق.

وقيل: خبر بمعنى النهي؛ ويرجحه قراءة: «لا تعبدوا».

وقيل: الأصل: «بأن لا تعبدوا»، ثم حذفت الباء، و«أن».

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يتعلق بـ ﴿إِحْسَانًا﴾.

أو: بمحذوف، تقديره: أحسنوا، ووُكِّدَ بـ ﴿إِحْسَانًا﴾.

﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة.

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم؛ وهو من فقد والده قبل البلوغ.

واليتم من سائر الحيوان: من فقد أمه.

(١) في ب، هـ: «القسم».

وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهم: فقدّم الوالدين؛ لحقهما الأعظم، ثم القرابة؛ لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامى؛ لقلّة حيلتهم، ثم المساكين.

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض.

وإعرابه: مثل: ﴿لَا تَقْبُذُونَ﴾.

﴿وَلَا تَخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً.

﴿أَقْرَضْتُمْ﴾ بالميثاق، واعترفتم بلزومه.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوب - على التخصيص - بفعل مضمر.

وقال ابن الباذش^(١): مبتدأ، وخبره ﴿أَنْتُمْ﴾، و﴿تَقْتُلُونَ﴾ حال لازمة تمّ بها المعنى^(٢).

﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه، وينفيه من موضعه إذا ظفر به.

﴿تَظَاهَرُونَ﴾ أي: تتعاونون.

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري الغرناطي، نحوي عالم بعلوم العربية، من شيوخ ابن عطية، ووالد أبي جعفر أحمد، صاحب «الإقناع» في القراءات، توفي سنة (٥٢٨هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب (٧٨/٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢٧٣/١).

﴿تَفْتَدُوهُمْ﴾ قرئ: بالالف وحذفها؛ والمعنى واحد.

وكذلك ﴿أَسْرَى﴾ بالالف وحذفها؛ جمع أسير.

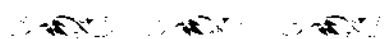
﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الضمير: للإخراج من ديارهم، و﴿هُوَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿مُحَرَّمٌ﴾، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ بدل.

أو: الضمير للأمر والشأن، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾: مبتدأ، و﴿مُحَرَّمٌ﴾ خبره، والجملة خبر الضمير.

﴿أَفْتَوْهُمْ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ فداؤهم الأسارى؛ موافقة لما في كتابهم^(١).

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ القتل والإخراج من الديار؛ مخالفة لما في كتابهم.

﴿خِزْيٌ﴾ الجزية، أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلق.



(١) في أ، ج، هـ: «كتبهم».

[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيْدِنَاهُ يَرْجُحُ الْفُتُورِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ بِسَفَنِيحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ يَسْأَلُ أَشْتَرَا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَصَابِ عَلَى عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِينَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ يُمَيِّنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَسَجَدَتْ لَهُمْ أَعْرَاصُ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾] .

﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي : جئنا من بعده بالرسول ؛ وهو مأخوذ من القفا ؛ أي : جاء بالثاني في قفا الأول .

﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ؛ من إحياء الموتى وغير ذلك .

﴿بُرُوجَ الْقُدُسِ﴾ جبريل . وقيل : الإنجيل . وقيل : الاسم الذي كان يُحيي به الموتى .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢] ، ولقوله ﷺ لحسان : «اللهم أيده بروح القدس»^(١) .

﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاء مضارعاً مبالغَةً ؛ لأنه أريد استحضاره في النفوس ، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لولا أن الله عصمه .

﴿عُلْفٌ﴾ جمع أغلف ؛ أي : عليها غلاف - وهو الغشاء - فلا تَفْقَهُ .

﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ردٌ عليهم ، وبيان أن عدم فهمهم بسبب كفرهم .

﴿فَقَلِيلًا﴾ أي : إيمانًا قليلًا يؤمنون ، و﴿مَّا﴾ زائدة .

ويجوز أن تكون القلة :

بمعنى العدم .

أو على أصلها ؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض .

﴿كَتَبَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ هو القرآن .

﴿مُصَدِّقٌ﴾ تقدّم أن له ثلاثة معانٍ^(٢) .

﴿يَسْتَفِخُونَ﴾ أي يستنصرون^(٣) على المشركين ؛ إذا قاتلوهم قالوا :

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨٥) .

(٢) انظر صفحة ٣٠٨ .

(٣) في ب ، د : «يتنصرون» .

«اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان». ويقولون لأعدائهم من المشركين: «قد أظَلَّ زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم».

وقيل: ﴿بَسَفَنِيحُونَ﴾ أي: يعرفون الناس بالنبي ﷺ؛ فالسين - على هذا - للمبالغة؛ كالسين في: استعجب واستسخر^(١).

وعلى الأول: للطلب.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ القرآن، والإسلام، ومحمد ﷺ.

قال المبرد: ﴿كَفَرُوا﴾ جواب «لَمَّا» الأولى والثانية، وأعيدت الثانية لطول الكلام، ولقصد التأكيد.

وقال الزجاج: ﴿كَفَرُوا﴾ جواب «لَمَّا» الثانية، وحُذف جواب الأولى؛ للاستغناء عنه بذلك.

وقال الفراء: جواب «لَمَّا» الأولى: ﴿فَلَمَّا﴾، وجواب الثانية: ﴿كَفَرُوا﴾.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: عليهم؛ يعني: اليهود، ووضع الظاهر موضع المضمَر؛ ليدلَّ أن اللعنة بسبب كفرهم.

واللام:

للعهد.

أو للجنس؛ فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار.

(١) في د: «واستخرج».

﴿يُنْكَمَا﴾ فاعل «بئس» مضمر، و«ما» مفسرة له، و﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ هو المذموم.

وقال الفراء: ﴿يُنْكَمَا﴾ مركب؛ كحَبَا.

وقال الكسائي: «ما» مصدرية؛ أي: اشتراؤهم؛ فهي فاعلة.

﴿أَشْتَرُوا﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ في موضع خبر ابتداء.

أو: مبتدأ؛ كاسم المذموم في «بئس».

أو: مفعول من أجله.

أو: بدل من الضمير في ﴿بِهِ﴾.

﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن، أو التوراة؛ لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد ﷺ.

﴿أَنْ يُنْزَلَ﴾ في موضع مفعول من أجله.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ القرآن، والرسالة.

﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

والمعنى: أنهم إنما كفروا حسداً لمحمد ﷺ لما تفضل الله عليه بالرسالة.

﴿يَعْصِبُ عَلَى غَضَبٍ﴾ أي: بغضب؛ لكفرهم بمحمد ﷺ على غضب:

لكفرهم بعيسى ﷺ.

أو لعبادتهم العجل .

أو لقولهم : عزيز ابن الله .

ولغير ذلك من قبائحهم .

﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن .

﴿بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ التوراة .

﴿بِمَا وَرَأَوْهُ﴾ أي : بما بعده ؛ وهو القرآن .

﴿فَلِمَ تَقُولُونَ﴾ ردُّ عليهم فيما ادَّعوا من الإيمان بالتوراة ، وتكذيبُ لهم .

وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته ؛ فكأنه دائم لما رضي هؤلاء به .

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرطية ؛ بمعنى القدح في إيمانهم ، وجوابها يدل عليه ما قبل .

أو نافية ؛ فيوقف قبلها .

والأول أظهر .

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني : المعجزات ؛ كالعصا ، وفلق البحر ، وغير ذلك .

﴿أَتُخَذُكُمْ الْعَجَلُ﴾ ذكر هنا على وجه الذمِّ لهم ، والإبطال لقولهم : ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ .

وكذلك رفع الطور .

وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم ؛ لقوله : ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ [البقرة : ٥٢] ،

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [البقرة: ٦٤].

وعطفه بـ «ثُمَّ» في الموضعين؛ إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ الضمير لموسى عليه السلام؛ أي: من بعد غييبته في مناجاة الله على جبل الطور.

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك.

ويَحْتَمِلُ أَنْ^(١) قالوه: بلسان المقال، أو بلسان الحال.

﴿وَأَشْرَبُوا﴾ عبارة عن تَمَكُّنِ حُبِّ العجل من قلوبهم؛ فهو مجاز، تشبيهاً بشرب الماء، أو بشرب الصَّبْغِ في الثوب.

وفي الكلام محذوف؛ أي: أَشْرَبُوا حُبَّ العجل.

وقيل: إن موسى بَرَدَ العجل بالمِبرَد، ورمى بُرَادَتَهُ في الماء فشربوه؛ فالشُّرب على هذا حقيقة.

ويردُّ هذا قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

﴿يَكْفُرِهِمْ﴾ الباء: سببية للتعليل، أو بمعنى المصاحبة.

﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ إسنادُ الأمر إلى إيمانهم مجاز؛ على وجه التهكُّم؛ كقوله: ﴿أَصَلَّوْا تَأْمُرُكُمْ﴾ [مؤد: ٨٧].

وكذلك إضافة الإيمان إليهم.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: شرط، أو نفْي.

(١) في ب، د زيادة: «يكون».

﴿فَتَمَنَّوْا أَلَمَوْتَ﴾ بالقلب واللسان، أو باللسان خاصة.
وذلك أمرٌ على وجه التعجيز والتبكيث؛ لأنه من علم أنه من أهل الجنة
اشتااق إليها.

وورد: أنهم لو تمنوا الموت لماتوا في الحين.
وقيل: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ دامت طول حياته.
﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾، وفي
سورة «الجمعة»: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ﴾ فنفي هنا بـ «لن» وفي الجمعة بـ «لا»؟
فقال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: الجواب: أنه لما كان الشرط
في «البقرة» مستقبلاً وهو قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ
خَالِصَةً﴾ = جاء جوابه بـ «لن» التي تخلص الفعل للاستقبال، ولما كان
الشرط في «الجمعة» حالاً وهو قوله: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ = جاء
جوابه بـ «لا» التي تدخل على الحال، وقد تدخل على المستقبل^(١).

﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ﴾ أي: بسبب ذنوبهم وكفرهم.
﴿عَلَيْمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديدٌ لهم.
﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله؛ فيوصل به.
والمعنى: أن اليهود أحرض على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا،

(١) انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (١/٢٢٧).

فَحُمِلَ عَلَى الْمَعْنَى ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : أَحْرَصَ مِنَ النَّاسِ وَمَنِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا .
وَحَصَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِالذِّكْرِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِي عَمُومِ النَّاسِ ؛ لِأَنَّهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، فَأَقْرَطَ حُبُّهُمْ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وَالْآخِرُ : أَن يَكُونَ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ابْتِدَاءً كَلَامٍ ؛ فَيُوقِفُ عَلَى مَا
قَبْلَهُ .

وَالْمَعْنَى : مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا قَوْمٌ ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ،
فَحُذِفَ الْمَوْصُوفُ .

وَقِيلَ : أَرَادَ بِهِ الْمَجُوسُ ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِمَلُوكِهِمْ : «عِشْ أَلْفَ سَنَةً» .
وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْيَهُودِ ، وَعَلَى الثَّانِي يَخْرُجُ الْكَلَامُ
عَنْهُمْ .

﴿وَمَا هُوَ بِمُزْحَرْجٍ﴾ الْآيَةُ : فِيهَا وَجْهَانِ :
أَحَدُهُمَا : أَن يَكُونَ ﴿هُوَ﴾ عَائِداً عَلَى ﴿أَحَدُهُمْ﴾ ، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فَاعِلٌ
بِـ ﴿مُزْحَرْجٍ﴾ .

وَالْآخِرُ : أَن يَكُونَ ﴿هُوَ﴾ لِلتَّعْمِيرِ ، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بَدَلٌ .

[﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٩٨) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (٩٩) أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِسَائِلِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لِمَتُوبَةً مِنَ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٣)].

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية سببها : أَنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ : جبريل عدونا ؛ لأنه ملك الشدائد والعذاب ؛ فلذلك لا نؤمن بك ، ولو جاءك ميكائيل لآمنّا بك ؛ لأنه ملك الأمطار والرحمة .

﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ فيه وجهان :

الأول : فإن الله نزل جبريل .

والآخر : فإن جبريل نزل القرآن ، وهذا أظهر ؛ لأن قوله : ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من أوصاف القرآن .

والمعنى : الردُّ على اليهود بأحد وجهين :

أحدهما : من كان عدوًّا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه ؛ لأنه نَزَّلَه على قلبك ؛ فهو مستحق للمحبة ، ويؤكد هذا قوله : ﴿ هَذَى وَشِرَى ﴾ .

والثاني : من كان عدوًّا لجبريل فإنما عاداه لأنه نَزَّلَه على قلبك ، فكأنَّ هذا تعليلٌ لعداوتهم لجبريل .

﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ﴾ ذُكِرَا بعد الملائكة تجريدًا ؛ للتشريف والتعظيم .

﴿ أَوْكُلَّمَا ﴾ الواو : للعطف .

وقال الأخفش : زائدة .

﴿ بَدَّءَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ نزلت في مالك بن الصَّيْف اليهودي ، وكان قد قال : والله ما أخذ علينا عهدٌ أن نؤمن بمحمد .

﴿ رَسُولٌ ﴾ يعني : محمدًا ﷺ .

﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾ يعني : القرآن ، أو التوراة ؛ لما فيها من ذكر محمد ﷺ .

﴿ وَاتَّبِعُوا ﴾ أي : اليهود الذين في زمان محمد ﷺ ، أو المتقدمون .

﴿ مَا تَنَلُّوا ﴾ هو من : القراءة ، أو الاتِّباع .

﴿ عَلَىٰ مُلْكٍ ﴾ أي : في ملكٍ ، أو على عهد ملك سليمان .

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ ﴾ تبرئة له مما نسبوه إليه ؛ وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه ، فأخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه ، وقالت اليهود : إنما كان سليمان ساحرًا .

وقيل: إِنَّ الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنّه، فلما مات قالوا: ذلك علم سليمان.

﴿الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا﴾ بتعليم^(١) السحر، أو بالعمل به، أو بنسبته إلى سليمان ﷺ.

﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾ نفى.

أو: عطف على: ﴿السِّحْرُ﴾.

أو: على: ﴿مَا تَنْتَلُوا﴾.

﴿الْمَلَائِكِينَ﴾ إن كانت «ما» نافية: فذلك تبرئة لهما من إنزال السحر عليهما.

إلا أن ذلك يرده آخر الآية.

وإن كانت معطوفة بمعنى «الذي» فالمعنى: أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر؛ ابتلاء من الله لعباده، أو ليُعرف فيُحذر منه.

وقرى: ﴿الْمَلَائِكِينَ﴾ بكسر اللام؛ وقال الحسن: هما عِلْجان، فعلى هذا: يتعين أن تكون «ما» غير نافية.

﴿بِبَابِلَ﴾ موضع معروف.

﴿هَنْزُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ اسمان علّمان.

وهما: بدل من ﴿الْمَلَائِكِينَ﴾، أو عطف بيان.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «بتعليم»، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (١/٢٩٩).

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فَتَنَةٌ﴾ أي محنة؛ وذلك تحذير من السحر.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي بتعلم السحر.

ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل كفراً.

﴿يُفَرِّقُونَ﴾ زوال العصمة، أو المنع من الوطء.

﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي: في الآخرة.

﴿عَلِمُوا﴾ أي: اليهود، أو الشياطين.

﴿أَشْرَيْنَهُ﴾ أي: اشتغل به، وذكر الشراء؛ لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه.

﴿شَكَّرُوا﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿لَمْثُوبَةٌ﴾ من الثواب؛ وهو جواب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾.

وإنما جاء جوابها بجملة اسمية، وعدل عن الفعلية؛ لما في ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره.

وقيل: الجواب محذوف؛ أي: لأثبيوا.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعين: نفى لعلهم.

فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبت في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾؟

فالجواب: أنهم لم ينفعهم علمهم؛ فكأنهم لم يعلموا^(١).

(١) انظر: الكشف (٣/ ٢٤).

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤٦﴾ مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٤٧﴾ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٤٩﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ نَسْأَلَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفَرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٥٠﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥١﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٢﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٣﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٤﴾].

﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: يا رسول الله راعنا؛ وذلك من المراعاة، أي: راقبنا وانظرنا، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها: معنى الرعونة على وجه الإذابة للنبي ﷺ، وربما كانوا ينوونها على معنى النداء، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة؛ لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما قصده اليهود، فالنهي سداً^(١) للذريعة. وأمرُوا أن يقولوا: «انظرنا»؛ لخلوّه عن ذلك الاحتمال المذموم؛

(١) في ب، ج، هـ: «سداً».

وهو من النظر، أو الانتظار.

وقيل: إنما نُهي المسلمون عنها؛ لما فيها من الجفاء وقلة التوقير.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾ عطف على ﴿وَقُولُوا﴾، لا على معمولها.

والمعنى: الأمر بالطاعة والانقياد.

﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جنس يعم نوعين: أهل الكتاب، والمشركين من العرب؛ ولذلك فسره بهما.

ومعنى الآية: أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيرًا على المسلمين.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ «من»: للتبعض. وقيل: زائدة؛ لتقدم النفي في قوله: ﴿مَا يَوْذُ﴾.

﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ قيل: القرآن. وقيل: النبوة. والعموم أولى.

ومعنى الآية: الردُّ على من كره الخير للمسلمين.

﴿مَا نَنْسَخْ﴾ أي: نُزيل حكمه ولفظه، أو أحدهما.

وقرى: بضم النون؛ أي: نأمر بنسخه.

﴿أَوْ تُنْسَاهَا﴾ من النسيان؛ وهو ضدُّ الذكر، أي: ينساها النبي ﷺ بإذن

الله؛ كقوله: ﴿سَنُفِثُكَ فَلَا تَسَى ۝١﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿[الاعلى: ٦ - ٧].

أو بمعنى الترك؛ أي:

نتركها غير مُنزلة.

أو غير منسوخة.

وقرئ بالهمز: بمعنى التأخير؛ أي: تؤخر إنزالها، أو نسخها.

﴿يَخْتَرُ﴾ في خفة العمل، أو في الثواب، أو أعم.

﴿قَدِيرٌ﴾ استدلالٌ على جواز النسخ؛ لأنه من المقدورات، خلافاً لليهود -لعنهم الله-؛ فإنهم أحالوه على الله.

وهو جائز عقلاً، وواقع شرعاً؛ فكما نسخت شريعتهم ما قبلها، نسخها ما بعدها.

﴿سَأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ أي: تطلبوا منه الآيات.

ويحتمل السؤال عن العلم.

والأول أرجح؛ لما بعده، فإنه شبهه بسؤالهم لموسى، وهو قولهم له: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: تمنوا.

ونزلت الآية في حُيي بن أخطب، وأخيه أبي ياسر، وأشباههما من اليهود، الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين، ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام.

﴿حَسَدًا﴾ مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال، والعامل فيه ما قبله؛ فيجب وصله معه.

وقيل: هو مصدر، والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسداً؛ فعلى هذا يوقف على ما قبله.

والأول أظهر وأرجح.

﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يتعلّق بـ ﴿حَسَدًا﴾ . وقيل : بـ ﴿وَدَّ﴾ .

﴿فَأَعْفُوا﴾ منسوخ بالسيف .

﴿يَأْمُرُونَ﴾ يعني : إباحة قتالهم ، أو وصول آجالهم .

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآية : أي : قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا ، وقالت النصارى : لن يدخلها إلا من كان نصرانيًا .

﴿هُودًا﴾ يعني : اليهود ، وهذه الكلمة : جمع هائد ، أو مصدر وصف به .

وقال الفرّاء : حذف من ياء «يهود» على غير قياس .

﴿أَمَانِيُهُمْ﴾ أكاذيبهم ، أو ما يتمنّونه .

﴿هَاتُوا﴾ أمرٌ على وجه التعجيز ، والردّ عليهم ؛ وهو من : هاتى يهاتي ، ولم يُنطق به .

وقيل : أصله : أتوا ، وأُبدل من الهمزة هاء .

﴿بَلَى﴾ إيجاب لما نفّوا ؛ أي : يدخلها من ليس يهوديًا ، ولا نصرانيًا .

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي : دخل في الإسلام ، أو أخلص .

وذكر الوجه لشرفه ، والمراد : جملة الإنسان .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾

[وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَآؤُا فَسَمَّٰهُ اللَّهُ بِسْمِ اللَّهِ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَدِ انْتَوَىٰ ﴿١١٦﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهْتُمْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنِّي هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية: سببها: اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة؛ فذمّت كل طائفة الأخرى.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب؛ لأنهم لا كتاب لهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه: الاستفهام، ومعناه^(١): لا أحد أظلم منه - حيث

وقع -.

(١) في ب، ج، هـ: «الفظها... ومعناها».

﴿مَنْعَ مَسْجِدِ اللَّهِ﴾ قريشُ منعت الكعبة، أو النصارى منعوا بيت المقدس، أو على العموم.

﴿خَافِينَ﴾ في حق قريش: قوله ﷺ: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»^(١).

وفي حق النصارى: ضَرَبُهم عند بيت المقدس، أو الجزية.

﴿خِزْيٌ﴾ في حق قريش: غَلَبَتُهم وفتح مكة.

وفي حق النصارى: فتح بيت المقدس، أو الجزية^(٢).

﴿فَإِنَّمَا تُولَوْنَ﴾ في الحديث الصحيح: أنهم صلُّوا ليلةً في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة؛ فنزلت^(٣).

وقيل: هي في تنقل المسافرين حيثما توجَّهت به دابته.

وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها؛ أي: إن مُنَعْتَم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم.

وقيل: إنها احتجاجٌ على من أنكر تحويل القبلة؛ فهي كقوله بعد هذا: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢] الآية.

والقول الأوَّل هو الصحيح؛ ويؤخذ منه: أن من أخطأ القبلة فلا تجب الإعادة عليه، وهو مذهب مالك.

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣٩٣٥)، وأحمد في المسند (٥٩٤).

(٢) قوله: «أو الجزية» سقط من ب، ج، هـ، د.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠).

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ المراد به هنا: كقوله: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] أي: رضاه.

وقيل: معناه الجهة التي وجَّهنا إليها.

وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القمر: ٨٨] و﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]: فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويردُّ علمه إلى الله.

وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات، أو عن الوجود.

وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «(وجه الله) المراد به هنا: كقوله: (ابتغاء وجه الله) أي: رضاه» إلخ.

أقول: ذكر في هذا السياق ثلاث آيات ورد فيها ذكر الوجه، فذكر في الآية الأولى قولين:

الأول: أن المراد بالوجه في الآية كقوله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، وفسره بالرضا.

الثاني: أن المراد الجهة التي وجَّهنا الله إليها، يريد: القبلة. وذكر في الآية الثالثة قولين في تفسير الوجه:

أحدهما: قول أهل التأويل، وهو أن المراد بالوجه الذات، أو الوجود.

الثاني: أن ذكر الوجه من المتشابه الذي يجب التسليم له، ورد علمه إلى الله.

أقول: وفيما ذكره حق وباطل؛ فتفسيره الوجه في الآية الأولى بالجهة، حق، وبه قال كثير من السلف. وتفسيره الوجه في الآية الأولى والثانية بالرضا خطأ، فالوجه لا يعرف في اللغة بالرضا، لكن سياق الآية يتضمن هذا المعنى، والممنوع أن يكون المراد بالوجه الرضا، وتفسير الوجه في الآية الثالثة بالذات والوجود خطأ، وهو تفسير أهل التأويل من نفاة الصفات.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ﴾ قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله.

﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عن قولهم.

﴿بَلْ لَّهُمُ﴾ الآية: رد عليهم؛ لأن الكل ملكه، والعبودية تنافي النبوة.

﴿فَلْيَنْتَوُنَّ﴾ أي: طائعون منقادون.

﴿يَدْعُ السَّمَوَاتِ﴾ أي: مخترعها وخالقها ابتداءً.

﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ أي: قدره، أو أمضاه.

قال ابن عطية: «يتجّه في الآية المعنيان؛ فعلى مذهب أهل السنة: قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة: أمضى عند الخلق والإيجاد»^(١).

قلت: لا يكون ﴿قَضَى﴾ هنا بمعنى قدر؛ لأن القدر قديم، و«إذا» تقتضي الحدوث والاستقبال؛ وذلك يناقض القِدَم. وإنما ﴿قَضَى﴾ هنا بمعنى:

= القول الثاني: مما ذكره ابن جزي: أن الوجه في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وقوله: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ من التشابه، والمتشابه عندهم ما لا يعلم معناه إلا الله، وهذا مذهب أهل التفويض، وهم من النفاة، وهم يقابلون أهل التأويل. وما ذكره عن بعضهم أن الوجه صفة ثابتة بالسمع، فهو حق، فلا يجوز نفيه ولا تأويله، بل يجب إثباته على ما يليق به سبحانه، وأنه لا يماثل وجوه العباد، وليس هو من المتشابه؛ لأن معناه معقول، والكيف مجهول. والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز (١/ ٣٣١).

أمضى أو فعل أو أوجد؛ كقوله: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [نصت: ١١٢] ^(١).

وقد قيل: إنه بمعنى حتم الأمر، أو بمعنى حكم.

والأمر هنا: بمعنى الشيء ^(٢)، وهو واحد الأمور، وليس بمصدر: أمر يأمر.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال الأصوليون: إن هذا عبارة عن نفوذ قدرة

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: أقول: القضاء من الله في القرآن يأتي لمعان:

١- قضى الخلق، بمعنى فرغ من خلقه، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.

٢- قضى بمعنى حكم، وهو نوعان:

الأول: شرعي، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ومعناه أمر ووصى.
والثاني: كوني، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ومعناه: أراد كونه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وعلى هذا فتنفسير قضى بأمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا﴾، أظهر؛ لأن المعنى: إذا أراد الله كون ما سبق في علمه وكتابه قال له: كُنْ فيكون، وهذا هو معنى الإمضاء، أي إتمام الأمر الذي قدره الله في علمه وكتابه.

ولهذا أقول: ما وجه به المؤلف ابن جزري اختياره، وهو أن معنى قضى: أمضى، وجيه.
ويأتي قضى في القرآن مضمنا معنى أوحى أو أوصل، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّضْمَرٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾.

كما يأتي القضاء بمعنى الحكم شاملا للمعنيين الكوني والشرعي، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ يَقْضَىٰ بِالْحَقِّ﴾، كما يأتي القضاء بمعنى الفصل بين المختلفين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

(٢) في أ: «الشان»، وفي الهامش: «خ: الشيء».

الله تعالى ، وليس بقول حقيقي ؛ لأنه إن كان قول : ﴿كُنْ﴾ خطاباً للشيء في حال عدمه لم يصح ؛ لأن المعدوم لا يخاطب ، وإن كان خطاباً للشيء في حال وجوده لم يصح ؛ لأنه قد كان ، وتحصيل الحاصل غير مطلوب .

وحملهُ المفسرون على حقيقته ، وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه :

أحدها : أن الشيء الذي يقول الله له : ﴿كُنْ﴾ هو موجودٌ في علم الله ؛ وإنما يقول له : ﴿كُنْ﴾ ليخرجه إلى العيان لنا .

والثاني : أن قول : ﴿كُنْ﴾ لا يتقدّم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه . قاله الطبري^(١) .

والثالث : أن ذلك خطابٌ لمن كان موجوداً على حالة ، فيؤمر بأن يكون على حالة أخرى ، كإحياء الموتى ، ومسح الكفار . وهذا ضعيف ؛ لأنه تخصيص من غير مخصّص .

والرابع : أن معنى : ﴿يَقُولُ لَهُ﴾ : يقول من أجله ؛ فلا يلزم خطابه . والأوّل أحسن هذه الأجوبة .

وقال ابن عطية : «تلخيص المعتقد في هذه الآية : أن الله ﷻ لم يزل أمراً للمعدومات بشرط وجودها ، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال : فهو بحسب المأمورات ؛ إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن»^{(٢)(٣)} .

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٠) .

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٣٢) .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : (وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه) إلخ ، أقول : كل هذه الأقوال الأربعة ليس فيها انفصال عن الإشكال الذي ذكره ، والراجع =

﴿فَيَكُونُ﴾ رُفِعَ عَلَى الاستئناف .

قال سيبويه : معناه : فهو يكونُ .

وقال غيره : ﴿فَيَكُونُ﴾ عطفٌ عَلَى ﴿يَقُولُ﴾ ، واختاره الطبري ^(١) .

قال ابن عطية : «وهو فاسدٌ من جهة المعنى ؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود» ^(٢) .

وفي هذا نظر .

= منها القول الأول كما اختاره المؤلف ، وأرجع منه القول الرابع ، وإن كان المؤلف قد ضعفه ، ويشهد له قوله تعالى في خلق آدم وعيسى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٣) ، ولعل الجواب الذي يرفع الإشكال الذي ذكره أن الأمر الوارد في الآيات ليس أمر تكليف للمخاطب بفعل شيء في نفسه أو في غيره ، بل هو أمر تكوين يوجب كون الشيء الذي أراده الله ، كما أراد ، فيكون الموجب لكونه - أي وجوده - إرادته تعالى وقوله ، كما جمع الله بينهما في الآيات : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٥) ، وحدوث المحدثات بإرادته وكلامه سبحانه يستلزم قدرته على كل شيء ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وأما قول ابن عطية رحمته فليس فيه جواب ، بل يزيد الإشكال ، لقوله : «لم يزل أمراً للمعدومات بشرط وجودها» ، فمضمون قوله أنه تعالى لم يزل أمراً للمعدومات الموجودات ، وهذا ممتنع ، وسبب الإشكال عندهم اعتقاد أن الأمر أمر تكليف الذي يُطلب به من المأمور فعلٌ يفعله بعلم وإرادة ، والصواب أن الأمر أمر تكوين ، كما تقدم . وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٨ / ١٨١) .

(١) تفسير الطبري (٢ / ٤٧٢) .

(٢) المحرر الوجيز (١ / ٣٣١) .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول: كفارُ العرب على الأصح.

وقيل: هنا هم اليهود والنصارى.

﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى على القول بأن ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كفارُ العرب.

وأما على القول بأن ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ اليهود والنصارى: فالذين من قبلهم هم أُمم الأنبياء المتقدمين.

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ لولا هنا: عَرَضٌ، والمعنى: أنهم قالوا: لن نؤمن حتى يكلمنا الله، أو تأتينا آية؛ أي: دلالة من المعجزات؛ كقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] وما بعده.

﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الضمير لـ ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وتشابه قلوبهم: هو في الكفر، أو في طلب ما لا يصح أن يطلب؛ وهو قولهم^(١): ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾.

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ أخبر تعالى أنه قد بين الآيات الدالة على وحدانيته، وعلى صدق رسوله ﷺ، فكيف تُطلب الآيات بعد بيانها؟، ولكن إنما فهمها الذين يوقنون؛ فلذلك خصَّهم بالذكر، بخلاف الكفار المعاندين؛ فإنهم لا تنفعهم الآيات؛ لعنادهم.

(١) في ج، هـ: «كقولهم».

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ.

والمراد بالحق: التوحيد، وكل ما جاءت به الشريعة.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: تبشّر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكفار بالنار، وهذا معناه حيث وقع.

﴿وَلَا تَسْأَلْ﴾ بالجزم: نهى.

وسببها: أن النبي ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت.

وقيل: إن ذلك على معنى التهويل؛ كقولك: «لا تسأل عن^(١) فلان»؛ لشدة حاله.

وقرأ غيرُ نافع: بضم التاء واللام؛ أي: ﴿وَلَا تُسْأَلْ﴾ في القيامة عن ذنوبهم.

﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ذكرت مفردة وإن كانت ملتين؛ لأنهما متفقتان في الكفر، فكأنهما ملة واحدة.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ ردُّ على اليهود والنصارى، والمعنى: أن الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقي؛ لأنه هدى من عند الله، بخلاف ما يدعيه اليهود والنصارى.

﴿وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ جمع هوى، ويعني به: ما هم عليه من الأديان الفاسدة، والأقوال المضلّة؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة، بل بهوى النفوس.

(١) في زيادة: «حال».

والضمير : لليهود والنصارى .

والخطاب : لمحمد ﷺ ، وقد علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك ؛ فهو على معنى الفرض والتقدير .

ويحتمل أن يكون خطاباً له ﷺ ، والمراد غيره .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني : المسلمين ؛ و﴿الْكِتَابَ﴾ - على هذا - : القرآن .

وقيل : هم من أسلم من بني إسرائيل ؛ و﴿الْكِتَابَ﴾ - على هذا - : التوراة .

ويحتمل العموم ؛ ويكون ﴿الْكِتَابَ﴾ : اسم جنس .

﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَةٍ﴾ أي : يقرؤونه كما يجب من التدبر له ، والعمل به .

وقيل : معناه يتبعونه حق اتباعه ، بامثال أوامره واجتناب نواهيه .

والأول أظهر ؛ فإن التلاوة ، وإن كانت تقال بمعنى القراءة ، وبمعنى الاتباع ؛ فإنها أظهر في معنى القراءة^(١) ، لا سيما إذا كانت تلاوة للكتاب .

ويحتمل أن تكون هذه الجملة : في موضع خبر ﴿الَّذِينَ﴾ ؛ فيتم الكلام ، ويوقف عليها .

ويحتمل أن تكون هذه الجملة : في موضع الحال ، ويكون الخبر ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ، وهذا أرجح ؛ لأن مقصود الكلام الشاء عليهم بالإيمان ، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن .

(١) في ب ، ج ، هـ : «التلاوة» .

[يَبْنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِذْ أَسْنَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُثَسِّمُ الْعَصِيدُ ﴿١٤١﴾ وَإِذْ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤٢﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٣﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٤﴾].

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الآية: تقدّم الكلام على نظيرتها^(١).

﴿وَإِذْ أَسْنَأَ﴾ أي: اختبر، والعامل في «إذ»:

فعلٌ مضمّر تقديره: اذكر.

أو قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾.

﴿بِكَلِمَتٍ﴾ قيل: هي مناسك الحج.

وقيل: خصال الفطرة؛ وهي: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقصّ الشارب، وإعفاء اللحية، وقص الأظافر، ونتف الإبطين، وحلق

العانة، والختان، والاستنجاء.

وقيل: هي ثلاثون خصلة؛ عشرٌ ذُكرت في «براءة» من قوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعُقَدُونَ﴾، وعشرٌ في «الأحزاب» من قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، وعشرٌ في «المعارج» من قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (١).

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: عَمِلَ بِهِنَّ.

﴿وَمِنْ دُرَيْتٍ﴾ استفهام، أو رغبة.

﴿عَهْدِي﴾ الإمامة^(١).

﴿الْبَيْتِ﴾ الكعبة.

﴿مَثَابَهُ﴾ اسم مكان؛ من قولك: ثاب: إذا رجع؛ لأنَّ الناس يرجعون إليه عامًّا بعد عام.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بالفتح: إخبارٌ عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام.

وبالكسر: أمرٌ لهذه الأمة، وافق قولَ عمر رضي الله عنه: «لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى»^(٢).

وقيل: أمرٌ لإبراهيم وشيعته.

وقيل: لبني إسرائيل؛ فهو - على هذا - عطفت على قوله: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِي﴾؛ وهذا بعيد.

(١) في ب، د: «الأمانة».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٢).

﴿مَقَامٍ إِبْرَهِيمَ﴾ هو الحجر الذي صعد به ^(١) حين بنى الكعبة.

وقيل : المسجد الحرام.

﴿وَعَهْدَنَا﴾ عبارة عن الأمر والوصية.

﴿طَهْرًا بَيْنِي﴾ عبارة عن بُنيانه بنية خالصة؛ كقوله : ﴿أَسِسَ عَلَى التَّقْوَى﴾

[التوبة : ١٠٨].

وقيل : المعنى طهّراه من عبادة الأصنام.

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة.

وقيل : الغرباء القادمون على مكة.

والأول أظهر.

﴿وَالْمُكَفِّينَ﴾ هم المعتكفون ^(٢). وقيل : المصلّون. وقيل : المجاورون

من الغرباء. وقيل : أهل مكة.

والعكوف في اللغة : اللزوم.

﴿بَلَدًا﴾ يعني : مكة.

﴿ءَامِنًا﴾ أي : مما يصيب غيره من الخسف والعذاب.

وقيل : آمنا من إغارة الناس على أهله ؛ لأنّ العرب كان يُغير بعضهم على

بعض ، وكانوا لا يتعرّضون لأهل مكة ، وهذا أرجح ؛ لقوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا

(١) في د : «عليه».

(٢) في د زيادة : «في المسجد».

جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿٦٧﴾ [المكثوت: ٦٧].

فإن قيل : لم قال في «البقرة» : ﴿هَذَا بَلَدٌ ءَامِنٌ﴾ وفي «إبراهيم» : ﴿هَذَا الْبَلَدُ ءَامِنٌ﴾ ، فعرف البلد في «إبراهيم» ونكره في «البقرة» ؟
فمن ذلك ثلاثة أجوبة :

الجواب الأول : قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر ابن الزبير ، وهو أنه تقدم في «البقرة» ذِكْرُ البيت في قوله : ﴿الْفَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(١) ، وذِكْرُ البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه ، فلم يحتج إلى تعريفه ، بخلاف آية «إبراهيم» ؛ فإنه لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ، ولا المعرفة به ، فذكره بلام التعريف .

الجواب الثاني : قاله السهيلي ، وهو أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية «إبراهيم» ؛ لأنها مكية ، فلذلك قال فيه : ﴿الْبَلَدُ﴾ بلام التعريف التي للحضور ؛ كقولك : «هذا الرجل» وهو حاضر ، بخلاف آية «البقرة» ؛ فإنها مدنية ، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها ، فلم يعرفها بلام الحضور .

وفي هذا نظر ؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام ، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة .

الجواب الثالث : قاله بعض المشارقة^(٢) ، أنه قال : ﴿هَذَا بَلَدٌ ءَامِنٌ﴾ قبل

(١) هذه الآية متأخرة عن الآية التي يتكلم عنها ، فكانه سبق قلم من ابن جزري رحمه الله ، والمراد آية : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَكَّةً﴾ . . . فهي المتقدمة عليها ، وهي التي ذكرها ابن الزبير في «ملاك التأويل» (١/ ٢٣٤) الذي نقل منه ابن جزري هذا الجواب .

(٢) يعني به : أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصهباني ، المعروف بالخطيب الإسكافي ، =

أن يكون بلدًا، فكأنه قال: اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا، وقال: ﴿هَذَا
الْبَلَدُ﴾ بعد ما صار بلدًا.

وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين؛ والظاهر أنه مرة واحدة،
حكى لفظه فيها على وجهين.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل بعض من كل.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي: قال الله: وأرزق من كفر؛ لأن الله يرزق في الدنيا
المؤمن والكافر.

﴿رَبَّنَا ثَبِّتْ﴾ على حذف القول؛ أي: يقولان ذلك.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: علِّمنا مواضع الحج. وقيل: العبادات.

﴿فِيهِمْ﴾ أي: في ذريتنا.

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ؛ ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة إبراهيم»^(١).

والضمير المجرور: لذرية إبراهيم وإسماعيل، وهم العرب الذين من
نسل عدنان.

وأما الذين من نسل قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا؟

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا: السنة.

﴿وَوُزِّعَهُمْ﴾ أي: يطهرهم من الكفر والذنوب.

= قاله ذلك في كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/٢٨٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٢)، والطبري في تفسيره (٥٧٢/٢) واللفظ له.

[وَمَنْ يَرْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ
 فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾
 وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ ﴿١٢٧﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
 بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ عَابَادُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ
 مُسْلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا
 يَمْلِكُونَ ﴿١٢٩﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
 أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا
 فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ تَبَيَّنَ لَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٢﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ
 مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٣﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٤﴾ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَغْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٥﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ
 خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَمْلِكُونَ ﴿١٣٦﴾] .

﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به .

وقيل : الأصل : «في نفسه» ؛ ثم حذف الجار فانتصب .

وقيل : تمييز .

﴿وَأَوْصَى بِهَا﴾ أي : بالكلمة والملة .

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بالرفع: عطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾؛ فهو موصى.

وقرى بالنصب: عطفًا على ﴿يَسَعَ﴾؛ فهو موصى.

﴿أَمْ كُنْتُمْ﴾ «أم» هنا منقطعة، معناها الاستفهام والإنكار.

﴿وَأَسْمِعِلْ﴾ كان عمه؛ والعَمُّ يسمى أبا.

﴿وَقَالُوا كُونُوا﴾ أي: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النصارى:

كونوا نصارى.

﴿بَلْ مِلَّةٌ﴾ منصوب بإضمار فعل.

﴿لَا تُفَرِّقُ﴾ أي: لا تؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهان؛ لأن كل

من أتى بالمعجزة فهو نبي، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض.

﴿نَبِّئِكُمْ﴾ وعدٌ ظهر مصداقه بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير،

وغير ذلك.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي دينه، وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره.

ونصبه:

على الإغراء.

أو على المصدر من المعاني المتقدمة.

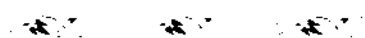
أو بدل من: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿كُتِبَ شَهَادَةٌ﴾ هي الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفة.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق :

بـ ﴿كَتَرَ﴾ .

أو بـ ﴿عِنْدُمُ﴾ ؛ كأنَّ المعنى : شهادة تَخَلَّصَتْ له من الله .



﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي : كما هديناكم جعلناكم سَطًا ؛ أي : خيارًا^(١) .

﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي : تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرُّسل إلى قومهم .

﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي : بأعمالكم ، قال ﷺ : «أقول كما قال أخي عيسى : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة : ١١٧] الآية»^(٢) .

فإن قيل : لم قدّم المجرور في قوله : ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وأخره في قوله : ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ؟

فالجواب : أن تقديم المعمولات يفيد الحصر ، فقدّم المجرور في قوله : ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ؛ لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأُمَّته ، ولم يقدّمه في قوله : ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ؛ لأنه لم يقصد الحصر^(٣) .

﴿الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها الكعبة ، وهو قول ابن عباس .

والآخر : أنها بيت المقدس ، وهو قول قتادة وعطاء والسُّدي .

وهذا مع ظاهر قوله : ﴿كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ ؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس ، ثم انصرف عنه إلى الكعبة .

وأما قول ابن عباس : فتأويله بوجهين :

الأول : أن «كنت» بمعنى «أنت» .

(١) في أ، ج، هـ : «أخيرًا» .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩) ، ومسلم (٢٨٦٠) .

(٣) انظر : الكشاف (١٣٤/٣) .

والثاني: قيل: إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس.

وإعراب ﴿أَلْتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾:

مفعولٌ بـ ﴿جَعَلْنَا﴾.

أو صفة لـ ﴿الْقِبْلَةَ﴾.

ومعنى الآية على القولين: اختبارٌ وفتنة للناس بأمر القبلة.

فأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى بيت المقدس:

فتنة للعرب؛ لأنهم كانوا يعظمون الكعبة.

أو فتنة لمن أنكر تحويلها؛ وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة التي

كنت عليها؛ وهذا أظهر؛ لأن الفتنة إنما وقعت عند صرف القبلة.

وأما على قول ابن عباس: فإن الصلاة إلى الكعبة:

فتنة لليهود؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ،

فأنكروا صرف القبلة.

أو فتنة لضعفاء المسلمين، حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صُرِفَت

القبلة.

﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: العلم الذي تقوم به الحجة على العبد، وهو: إذا ظهر في

الوجود ما علمه الله.

﴿يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع

يمشي إلى وراء.

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ «إِنْ» مخففة من الثقيلة .

واسم «كان» : ضمير الفعلة ؛ وهي التحول عن القبلة .

﴿إِيْمَانَكُمْ﴾ هنا : قيل : صلاتكم إلى بيت المقدس ؛ واستدل به من قال :
إِنَّ الأعمال من الإيمان .

وقيل : معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة .
﴿تَقَلُّبُ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء ؛ رجاء أن يؤمر
بالصلاة إلى الكعبة .

﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ جهته .

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فِلَانَهُمْ﴾ خبر يتضمن النهي .

وَوُحِّدَتْ ﴿فِلَانَهُمْ﴾ وإن كانت جهتين ؛ لاستوائيهما في البطلان .

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأن اليهود يستقبلون المغرب ، والنصارى
المشرق .

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي : يعرفون القرآن ، أو النبي ﷺ ، أو أمر القبلة .

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ مبالغة في وصف المعرفة ، وقال عبد الله بن سلام :
«معرفتي بالنبي ﷺ أشد من معرفتي بابني ؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشك» (١) .

(١) انظر : تفسير البغوي (١/١٦٤) .

[﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَغْفِرُوا الْخَيْرَ إِنِّي مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٠) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١) فَأَذْكُرُوا أَنَا كُرِّمًا وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (١٥٢)].

﴿وَلِكُلِّ﴾ أي: لكل واحد، أو لكل طائفة.

﴿وُجْهَةٌ﴾ أي: جهة، ولم تحذف الواو؛ لأنه ظرف مكان.

وقيل: إنه مصدر ثبت فيه الواو على غير قياس.

﴿هُوَ مُوَلِّيًا﴾ أي: مولّيا وجهه.

وقرئ: ﴿مُؤَلَّاهَا﴾ أي: ولّاه الله إليها^(١).

والمعنى: أن الله تعالى جعل لكل أمة قبله.

﴿فَاسْتَغْفِرُوا الْخَيْرَ﴾ أي: بادروا إلى الأعمال الصالحة.

﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ﴾ أي: يبعثكم من قبوركم.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ كرر تأكيدا، أو ليناط به ما بعده.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآية؛ معناها: أن الصلاة إلى الكعبة ترفع

(١) في د: «إياها».

حجة المعترضين من الناس .

فإن أريد بالناس اليهود: فحجَّتْهم أنهم يجدون في كتبهم أَنَّ النبي ﷺ يصلي إلى الكعبة، فلما صَلَّى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين .

وإن أريد^(١) قريش: فحجَّتْهم أنهم قالوا: قبله آبائه أولى به .

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: من يتكلم بغير حجة ويعترض التحوُّل إلى الكعبة .

والاستثناء متصل؛ لأنه استثناء من عموم الناس .

ويحتمل الانقطاع؛ على أن يكون استثناء ممن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة .

﴿وَلَا تُنْفِكُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: فعلت ذلك لأنتم .

أو: معطوف على: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ﴾ .

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق:

بقوله: ﴿وَلَا تُنْفِكُوا﴾ .

أو بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ .

والأول أظهر .

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال سعيد بن المسيب: معناه: اذكروني بالطاعة

أذكركم بالثواب .

(١) في زيادة: «بهم» .

وقيل : اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك .

وقد أكثر المفسرون - لا سيما المتصوفة - في تفسير هذا الموضع بالفاظ لها معانٍ مخصوصة؛ ولا دليل على التخصيص .

وبالجملة : هذه الآية بيان لشرف الذكر ، وبينها قولُ رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه : «أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم»^(١) .

والذكر ثلاثة أنواع : ذكر بالقلب ، وباللسان ، وبهما معاً .

واعلم أن الذكر أفضلُ الأعمال على الجملة ، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها ؛ فإنَّ ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى .

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه :

الأول : النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال ، قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : «ذكر الله»^(٢) .

وسئل رسول الله ﷺ : أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : «ذكر الله» ، قيل : الذكر

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢) ، (٢٢٠٧٩) ، (٢٧٥٢٥) ، والترمذي (٣٣٧٧) ، وابن ماجه (٣٧٩١) .

أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: «لو ضَرَبَ المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دماً: لكان الذاكرُ الله أفضلَ منه»^(١).

الوجه الثاني: أن الله تعالى حيثما أمر بالذكر أو أثنى على الذاكرين: اشترط فيه الكثرة؛ فقال: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث: أن في الذكر مزيةً هي له خاصة ليست لغيره؛ وهي الحضور في الحضرة العلية، والوصول إلى القرب الذي عبَّر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية؛ فإن الله تعالى يقول: «أنا جليس من ذكرني»^(٢)، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني».

وللناس في المقصد بالذكر مقامان:

فمقصد^(٣) العامة: اكتساب الأجور.

ومقصد^(٤) الخاصة: القرب والحضور.

وما بين المقامين بَوْنٌ بعيد، فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يُقَرَّب حتى يكون من خواص الأحياب!^(٥).

(١) أخرجه أحمد (١١٧٢٠)، والترمذي (٣٣٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤٥/٢)، والبيهقي في الشعب (١٧١/٢).

(٣) في د: «فمقام».

(٤) في د: «ومقام».

(٥) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وللناس في المقصد بالذكر مقامان» إلخ.

أقول: تضمن كلامه هذا بَيِّنَةٌ أن الذاكرين نوعان؛ عامة وخاصة، وأن مقصود العامة بالذكر اكتسابُ الأجر، وأن مقصود الخاصة القربُ من الله، ويدخل في الخاصة =

واعلم أن الذكرَ على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير،
والتحميد، والحقولة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى،
والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك.

ولكل ذكر خاصية وثمره:

فأما التهليل: فثمرته التوحيد، أعني: التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد
العام حاصل لكل مؤمن.

وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال.

**وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة، كالرحمن
والرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك:** فثمرتها ثلاث مقامات؛ وهي:

= الأنبياء والصديقون، وهذا التقسيم والتفاضل بين الذاكرين صحيح، وهذا يجري في كل
الطاعات، فالمؤمنون منهم الأبرار أصحاب اليمين، ومنهم المقربون السابقون، كما
جاء هذا التقسيم في سورة الواقعة وسورة الإنسان والمطففين، ومنه ما ذكر في سورة
فاطر.

ولكن يُستدرك على الشيخ ابن جزى رحمه الله ما يوهمه كلامه من أن الخاصة لا طمع لهم في
الأجر، وهذا يخالف ما وصف الله به أنبياءه وأوليائه، من رجاء رحمته وخوف عذابه،
مع طلب القرب في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فهم يعبدون الله في ثلاثة مقامات: مقام
الحب، والخوف، والرجاء.

وكلامه رحمه الله يوهم ما تقوله جهلة الصوفية من أن العارف لا يعبد الله طمعاً في جنته،
ولا خوفاً من ناره، ويرد هذا الزعم آيات كثيرة من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى:
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُدْعَوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾
[الأنبياء: ٩٠].

الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة؛ فإنَّ المحسنَ محبوبٌ لا محالة.
وأما الحوقلة والحسيلة: فثمرتها التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والثقة بالله.

وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك، كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ: فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته.

وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إنَّ ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرْد^(١)؛ وهو قولنا: «الله، الله»؛ فذلك هو الغاية وإليه المنتهى^(٢).

(١) في ج، د: «المفرد».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «ثم إنَّ ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات... إلخ».

يتضمن أمرين؛ حقًا وباطلاً:

الأول: أن جميع معاني أسماء الله الحسنى يتضمنها الاسم الشريف الله، وهذا حق.
الثاني: أن أفضل الذكر هو ذكر الله بالاسم المفرد: الله الله، وهذا باطل، وذلك لأمر:

١- أن الذكر بالاسم المفرد من بدع الصوفية، ولا أصل له في كتاب ولا سنة. فاختيار المؤلف لذلك زلة منه عفا الله عنه.

٢- أن كل ما ورد من ألفاظ الذكر في الكتاب والسنة هو من الكلام المركب: كسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٨﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٩﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُمْ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ ﴿١٦٥﴾ وَلِلَّهِ كُفْرُ اللَّهِ وَحِجْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٦﴾].

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قد ذكر^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بمعونته.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلاً، لما قتلوا حزن عليهم

= ٣- أن الاسم المفرد لا يفيد فائدة تامة، كما هو مقرر في علم النحو.
لذلك لا يحصل بالاسم المفرد إيمان ولا كفر، فلا يدخل الكافر في الإسلام بذكره
الاسم المفرد: الله، ولا يكفر من قال: لا إله إلا الله، وامتنع عن ذكر الاسم المفرد.
لذلك: لا يجزئ الإتيان بالاسم المفرد في المواضع التي يستحب أو يجب فيها نوع
من الأذكار الشرعية.

(١) انظر صفحة ٣١٠.

أقاربهم ، فنزلت الآية مبيّنة لمنزلة الشهداء عند الله ، ومسليّة لأقاربهم .

ولا يخصّصها نزولها فيهم ؛ بل حكمها على العموم في الشهداء .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي : نختبركم .

وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه : أن يظهر في الوجود ما في علمه ؛ لتقوم الحجة على العبد ، وليس كاختبار الناس بعضهم بعضاً ؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون .

والخطاب بهذا الابتلاء :

للمسلمين .

وقيل : لكفار قريش .

والأول أظهر ؛ لقوله بعدها : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ .

﴿بَشِيرٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ يعني : من الأعداء .

﴿وَالْجُوعِ﴾ بالجذب .

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالخسارة .

﴿وَالْأَنفُسِ﴾ بالقتل .

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح .

وقيل : ذلك كلّه بسبب الجهاد .

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك ؛ والمالك يفعل في ملكه ما يشاء .

﴿رَجِعُوتٍ﴾ تذكروا الآخرة ؛ لتهون عليهم مصائب الدنيا ، وفي الحديث

الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى^(١) وأخلف لي خيراً منها: أخلف الله له خيراً مما أصابه». قالت أم سلمة: «فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك؛ فأبدلني الله به رسول الله ﷺ»^(٢).

★ فائدة: ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، وذلك لعظمة موقعه في الدين.

قال بعض العلماء: كلُّ الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف، إلا الصبر؛ فإنه لا يحصر أجره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ الْأَصْبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة:

أولها: المحبة، قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والثاني: النصر، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

والثالث: عُرفات الجنة، قال: ﴿يُجْزَوْنَ الْفُرْقَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥].

والرابع: الأجر الجزيل، قال: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ الْأَصْبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

(١) في ب، د: «على».

(٢) في أ، د: «هذه».

(٣) أخرجه مسلم (٩١٨).

والأربعة الأخرى: المذكورة في هذه الآية:

فمنها البشارة، قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

والصلاة والرحمة والهداية، قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعْتِدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾.

والصبر على أربعة أوجه:

[١-] صبرٌ على البلاء؛ وهو منع النفس من التسخط والهلع والجزع.

[٢-] وصبر على النعم؛ وهو تقيدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبر بها.

[٣-] وصبر على الطاعات؛ بالمحافظة والدوام عليها.

[٤-] وصبر عن المعاصي؛ بكف النفس عنها.

وفوق الصبر: التسليم؛ وهو ترك الاعتراض والتسخط ظاهراً، وترك الكراهة باطناً.

وفوق التسليم: الرضا بالقضاء؛ وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة، وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة.

﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي: معالم دينه، واحدها: شعيرة، أو شعارة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحة للسعي بين الصفا والمروة.

والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي.

وإنما جاء بلفظ يقتضي الإباحة؛ لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنمٌ يقال له: إِسَافٌ، وعلى المروة صنمٌ يقال له: نائلة، فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيمًا للصنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك.

ثم إن السعي بينهما واجب^(١) بالسنة؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «سَنَّ رسول الله ﷺ السعي بين الصفا والمروة، وليس لأحد تركه»^(٢).

وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله: ﴿شَعَّارِ اللَّهِ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنَّ شعائر الله منها واجبة، ومنها مندوبة.

وقد قيل: إن السعي مندوبٌ.

﴿يَطُوفُ﴾ أصله: يَطُوفُ؛ ثم أدغمت التاء في الطاء.

وهذا الطواف يراد به: السعي سبعة أشواط.

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ عامٌ في أفعال البر.

أو خاصٌّ في السعي بين الصفا والمروة؛ فيقتضي أن السعي بينهما تطوُّعٌ، ويؤخذ الوجوب من السنة.

أو معنى ﴿تَطَوَّعَ﴾: التطوُّع بحجٍّ بعد حجِّ الفريضة.

﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود؛ كتموا أمر محمد ﷺ.

(١) في ج، هـ: «وجب».

(٢) أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة هنا .

﴿الَّلَّعْنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون .

وقيل : المخلوقات إلا الثقلين .

وقيل : البهائم ؛ لما يصيبهم من الجذب بذنوب الكاتمين للحق .

﴿وَبَيَّنُوا﴾ إنما شرط في توبتهم أن يبينوا ؛ لأنهم كتموا .

﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المؤمنون ؛ فهو عام يراد به الخصوص ؛ لأن المؤمنين هم الذين يُعتدُّ بِلْعَنِهِمُ للكفار .

وقيل : يلعنهم جميع الناس في الآخرة .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي : في اللعنة . وقيل : في النار .

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ مِن أَنْظَر : إذا أَّخَّر ؛ أي : لا يؤخَّرون عن العذاب ولا يُمهَّلون .

أو مِن نَّظَر ؛ لقوله : ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران : ٧٧] ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا يَتَعَدَّى بـ «إلى» .

﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهُ وَحْدَهُ﴾ الواحد له ثلاثة معانٍ ، كُلُّهَا صَحِيحَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تعالى :

أحدها : أنه لا ثاني له ؛ فهو نفْيٌ للعدد .

والآخر : أنه لا شريك له ولا نظير .

والثالث: أنه واحدٌ لا يتبعُض ولا ينقسم^(١).

وقد فُسِّر المراد به هنا في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأولى: توحيد عامة المسلمين؛ وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا، ويُنجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفْيُ الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصّة؛ وهو أن يرى الأفعال كلّها صادرة من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة، لا بطريق الاستدلال، فإنَّ معرفة ذلك بطريق الاستدلال حاصلة لكلِّ مؤمن، وإنما مقام الخاصّة: يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم: الانقطاع إلى الله، والتوكل عليه وحده، وإطراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحداً سواه؛ إذ ليس يرى فاعلاً إلا إياه، ويرى جميع

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «الواحد له ثلاثة معان . . . إلخ.

أقول: ما ذكره في معنى الواحد، وأن المعاني الثلاثة صحيحة في حق الله؛ سقيم في الجملة، وقد جرى في ذلك على طريقة المتكلمين في تقسيم التوحيد، ويؤخذ عليه وعليهم أمور:

أنهم لم يذكروا توحيد الإلهية المتضمن توحيد العبادة، الذي هو معنى لا إله إلا الله. أن ما ذكره غايته أن يتضمن توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون.

أن بعض عباراتهم في هذا التقسيم فيها إجمال؛ كنفي النظر والشبه، فإن المعطلة - كالمعتزلة ومن وافقهم - يدخلون في ذلك نفْي الصفات.

قولهم: «إنه واحدٌ في ذاته ولا يتجزأ»، هو حقٌّ في ظاهره، لكنهم يدخلون فيه أيضاً: نفْي علوه تعالى على خلقه.

الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيء من الأمر، فيطرح الأسباب، وينبذ الأرباب.

والدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة.

وهذا هو الذي تسميه الصوفية: مقام الفناء؛ بمعنى الغيبة عن الخلق؛ حتى إنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده، أي: يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات... إلخ».

أقول: هذا التقسيم للناس في التوحيد يشبه ما ذكره من تقسيمه للناس في مقصودهم من الذكر، وقد تقدم التنبيه إلى ما فيه، وكذلك نقول هنا: إن ما ذكره من تفاضل الناس في التوحيد صحيح، ولكنه سلك في التعبير عن ذلك طريق الصوفية؛ إذ جعله ثلاث درجات: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة. وفُسر كل درجة من هذه الدرجات، كما هي عند الصوفية، ولا إشكال فيما فُسر به توحيد العامة إلا من حيث تخصيصه بالعامة، ولكن يؤخذ على المؤلف ما فُسر به الدرجة الثانية والثالثة مقراً لهما، وقد تضمن كلامه ﷺ عدة إشكالات:

١- قوله: «فيطرح الأسباب»، أقول: هذا قولٌ مجملٌ يحتمل أموراً:

أ - فإن كان لا اعتقاد عدم تأثيرها، فهذا جحدٌ لما تضافرت الأدلة العقلية والشرعية على إثباته، وهو تأثير الأسباب في مسبباتها، وهذا مذهب الجهمية ومن وافقهم؛ كالأشاعرة.

ب - وإن كان لا اعتقاد عدم شرعية العمل بها، فهذا مخالفٌ لموجب الشرع، كقوله ﷺ: «أحرص على ما ينفعك»، وقوله للرجل: «اعقلها وتوكل»، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَّا اسْتَغْنَوْا﴾ [الأنفال: ٦٠]. وشواهد ذلك كثيرة.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٧﴾ إِذْ نَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي فَتَنَّبَرَّا

= ج - وإن كان أطراح الأسباب بترك الاعتماد عليها؛ فهذا حق، وهو من تحقيق التوكل على الله.

٢- قوله في الدرجة الثالثة: «ألا يرى في الوجود إلا الله وحده... إلخ». أقول: قوله هذا لفظه يحتمل أن يعتقد ألا موجود إلا الله، وهذا هو القول بوحدة الوجود، وهو قول ملاحدة الصوفية الاتحادية، والمؤلف لا يريد هذا المعنى؛ لأنه فسره بقوله: «حتى كأنها عنده معدومة». وهذا هو الفناء عند الصوفية، وهو الغيبة عن الخلق؛ حتى أنه يفنى عن نفسه وعن توحيده.

وقد جعل المؤلف هذه الدرجة بهذا التفسير أعلى درجات التوحيد، وهي الفناء عن شهود ما سوى الله، أي عدم الشعور بما سوى الله من المخلوقات، وقد غلط في هذا عفا الله عنه، فإن الفناء والغيبة نقص ليس بكمال، فضلا عن أن يكون من الدين، فضلا عن أن يكون أعلى مقامات الدين.

قال شيخ الإسلام في العقيدة التدمرية: «الفناء الثاني: وهو الذي يذكره بعض الصوفية، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى... بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى؛ فهذا حال ناقص... ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضالاً مبيناً، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض».

مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية؛ ذكر فيها ثمانية أصنافٍ من المخلوقات؛ تنبيهها على ما فيها من العبر، واستدلالاً على التوحيد المذكور قبلها في قوله: ﴿وَاللَّهُ كَزَّ إِلَهُ وَحْدٌ﴾.

﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ أي: اختلاف وصفهما من الضياء والظلام، والطول والقصر.

وقيل: المعنى: أن أحدهما يخلف^(١) الآخر.

﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ إرسالها من جهاتٍ مختلفة؛ وهي الجهات الأربع وما بينها، وبصفاتٍ مختلفة؛ فمنها مُلْقِحَةٌ للشجر، وعَقِيمٌ، وَصِرٌّ، وللنصر، وللهلاك.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين:

أحدهما: المحبة العامة التي لا يخلو عنها كل مؤمن؛ وهي واجبة.

والأخرى: المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون، والأولياء، والأصفياء.

وهي أعلى المقامات، وغاية المطلوبات؛ فإن سائر مقامات الصالحين، كالخوف، والرجاء، والتوكل، وغير ذلك؛ هي مبنية على حظوظ النفوس،

(١) في أ، ب، د: «يخلفه».

ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه؟، بخلاف المحبة؛ فإنها من أجل المحبوب؛ فليست من المعاوضات^(١).

واعلم أن سبب محبة الله: معرفته؛ فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة؛ فإن الموجب للمحبة أحد أمرين،

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين... إلخ.

أقول: تضمن كلامه تعظيم مقام المحبة، وأن العباد فيها متفاضلون، وهذا صحيح، ولكنه - عفا الله عنه - هوّن من مقامات الخوف والرجاء والتوكل، وقال: إن غايتها حظ النفس، بينما غاية المحبة المحبوب.

وهذا لا يُسلم له في الجانبين، فمقامات الخوف والرجاء والتوكل غايتها إجلال الله وتعظيمه، والخضوع له والإقرار بربوبيته وكمال غناه، كيف وقد أثنى الله على ملائكته بمقام الخوف فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوِّهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُنْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأثنى الله على أنبيائه وأوليائه بمقام الخوف والرجاء والتوكل فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عن رسله ﷺ: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَقَدْ صَرَّفَ عَلَيْنَا مَا أَدَّبْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وأما مقام المحبة - مع علو قدره - فلا يستغنى به عن مقام الخوف والرجاء، كما تزعم الصوفية، ومع ذلك فللنفس حظ في مقام الحب، وهو ما تجده من اللذة في مشاهدة جمال المحبوب وكماله، فلا بد من التعبد لله بكل هذه المقامات، حبًا ورجاء وخوفًا وتركًا.

قال بعض السلف: من عبد الله تعالى بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حُروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئي، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

أو كلاهما إذا اجتماعا، ولا شك أنهما اجتماعا في حق الله تعالى على غاية الكمال:

فالموجب الأوّل: الحسن والجمال.

والآخر: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع؛ فإنّ الإنسان بالضرورة يحبّ كلّ ما يستحسن.

والإجمال: مثل جمال الله في حكمته البالغة، وصنائه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تروّق العقول وتبهج القلوب.

وإنما يدرك جماله تعالى بالبصائر، لا بالأبصار.

وأما الإحسان؛ فقد جُبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها.

وإحسان الله إلى عباده متواتر، وإنعامه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، وكلّ إحسان يُنسب إلى غيره فهو - في الحقيقة - منه وحده، فهو المستحقّ للمحبة وحده.

واعلم أن محبة الله إذا تمكّنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح؛ من الجدّ في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذّذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات،

وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل ما يحبه الله ، (وكل من يحب الله)^(١) وإيثار الله على كل من سواه .

قال الحارث المحاسبي : المحبة مِيلُك إلى المحبوب بكلِّيتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ، ثم موافقته سرًّا وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه^(٢) .

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ من رؤية العين ، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مفعولٌ ، وجواب «لو» محذوف ؛ وهو العامل في ﴿أَنَّ﴾ .

والتقدير : لو ترى الذين ظلموا لعلمت أنَّ القوة لله ، أو لعلموا أنَّ القوة لله .

وقرئ ﴿بَرَى﴾ بالياء : وهو - على هذه القراءة - من رؤية القلب ، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فاعل ، و﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ مفعولٌ ﴿بَرَى﴾ ، وجواب «لو» محذوف .

والتقدير : لو يرى الذين ظلموا أنَّ القوة لله لندموا ، أو لاستعظموها ما حلَّ بهم .

﴿إِذْ تَبَرَأَ﴾ بدلٌ من : ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ .

أو استئناف ؛ والعامل فيه محذوف تقديره : اذكر .

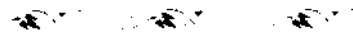
(١) سقط من ج ، د ، هـ .

(٢) أورده القشيري بإسناده إلى الحارث في الرسالة القشيرية (٢/٤٩٠) .

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ هم : الآلهة ، أو الشياطين ، أو الرؤساء من الكفار .
والعموم أولى .

﴿الْأَسْبَابُ﴾ هنا : الوصلات من الأرحام والموذات .

﴿أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ﴾ أي : سيئاتهم . وقيل : حسناتهم إذ لم تقبل منهم .
أو : ما عملوه لآلهتهم .



[يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْفَعُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَيْنَهُمْ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَشَرُّوْا بِهِ عَمَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾] .

﴿كُلُّوْا﴾ أمرٌ محمول على الإباحة .

﴿حَلَالًا﴾ حالٌ من : ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ .

أو مفعولٌ بـ ﴿كُلُّوْا﴾ .

أو صفة لمفعول محذوف ؛ أي : شيئًا حلالًا .

﴿طَيِّبًا﴾ يحتمل أن يريد : الحلال ، أو اللذيذ .

﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ما يأمر به ؛ وأصله من : خُطوة الشيء .

وقال المنذر بن سعيد : يحتمل أن يكون من الخطيئة ، ثم سهلت همزته .

وقرئ : بضم الطاء وإسكانها ؛ وهي لغتان .

﴿يَاسُوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ المعاصي .

﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾ الإِشْرَافُ ، وتحريم الحلال ؛ كالبَحِيرَةِ وغير ذلك .

﴿أَوَّلُو كَاتٍ أَبَاؤُهُمْ﴾ ردُّ على قولهم : ﴿بَلْ نَسْتَعِ﴾ .

والآية في كَفَّارِ العرب . وقيل : في اليهود .

والمعنى : أتتبعونهم^(١) ولو كانوا لا يعقلون؟ ، فدخلت همزة الإنكار على واو الحال .

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية ؛ في معناها قولان :

الأول : تشبيه الذين كفروا بالبهائم في قلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم .

ولا بد في هذا من محذوف ؛ وفيه وجهان :

أحدهما : أن يكون المحذوف أَوَّلَ الآية ، والتقدير : مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ أي : يصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءً﴾ ولا تعقل معناه .

والآخر : أن يكون المحذوف بعد ذلك ، والتقدير : مثل الذين كفروا كمثل مَدْعُوِّ الذي ينق .

ويكون ﴿دُعَاءَ وَنِدَاءً﴾ على الوجهين : مفعولاً بـ ﴿يَسْمَعُ﴾ .

والنعيق : هو زجر الغنم ، والصياح عليها .

(١) في ج ، هـ : «أتتبعونهم» .

فعلى هذا القول: شبه الكفار: بالغنم، وشبه داعيهم: بالذي يجرها ويصيح عليها.

والقول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينطق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئاً.

ويكون ﴿دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ على هذا منقطعاً؛ أي: أن الداعي يتعب نفسه بالدعاء والنداء لمن لا يسمعه من غير فائدة.

فعلى هذا: شبه الكفار: بالناقص.

﴿صُمٌّ﴾ وما بعده: راجع إلى الكفار؛ وذلك يقوي التأويل الأول.

ورفعه: على إضمار مبتدأ.

﴿وَأَشْكُرُوا﴾ الآية؛ دليل على وجوب الشكر؛ لقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿الْمَيْتَةَ﴾ ما مات حتف أنفه، وهو عمومٌ خُصَّ منه: الحوت والجراد.

وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت، ومنعه أبو حنيفة.

ومنع مالك أكل^(١) الجراد حتى يُسبب موتها^(٢) بقطع عضو منها، أو وضعها في الماء، أو غير ذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك.

﴿وَالَّذِمَّ﴾ يريد: المسفوح؛ لتقييده بذلك في سورة «الأنعام».

(١) هذه الكلمة سقطت من ج، هـ.

(٢) في ب: «في موتها».

ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم.

﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ هو حرام؛ سواء ذُكِّي أو لم يذكَّ.

وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خصَّ اللحم بالذكر؛ لأنه الغالب في الأكل، ولأن الشحم تابع له؛ ولذلك من حلف أن لا يأكل لحمًا فأكل شحمًا حنث، بخلاف العكس.

﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ﴾ أي: صيَح؛ لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذُبِح له، ثم استعمل في النية في الذبيحة.

﴿لِعَيْرِ اللَّهِ﴾ الأصنام وشبهها.

﴿أَضْطَرَّ﴾ بالجوع، أو بالإكراه.

وهو مشتق من الضرورة، ووزنه: افْتَعِلَ، وأبدل من التاء طاءً.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قيل: باغ على المسلمين، وعادٍ عليهم؛ ولذلك لم يرخص مالك - في رواية عنه - للعاصي بسفره أن يأكل الميتة، والمشهور عنه: الترخيص له.

وقيل: باغ باستعمالها من غير اضطرار.

وقيل: باغ أي: متزيد على إمساك رمقه؛ ولهذا لم يُجز الشافعي للمضطر أن يشبع من الميتة، وقال مالك: بل يشبع ويتزود.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع للخرج.

ويجب على المضطر أكل الميتة؛ لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة، ويؤخذ الوجوب من غيرها.

واختلف: هل يباح له أكل الميتة والدم والخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟
واختلف: هل يباح له أكل ميتة ابن آدم أم لا؟ فمنعه مالك، وأجازه
الشافعي؛ لعموم الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود.

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ أي: أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار؛
فوضع السبب موضع المسبب.

وقيل: يأكلون النار حقيقة في جهنم.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن غضبه عليهم.

وقيل: لا يكلمهم بما يحبونه^(١).

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يشي عليهم.

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ تعجب:

من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار.

أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: «عبارة عن غضبه عليهم»
إلخ.

أقول: فسر في الكلام بأحد وجهين:

- بالغضب اللازم من ترك الكلام، وهو من التفسير باللازم.

- أو بترك كلام مخصوص، وهو ما يحبونه ويسره.

والثاني هو المناسب؛ لظاهر اللفظ، والله أعلم.

وقيل : إنه استفهام ؛ و﴿أَصْبَرَهُمْ﴾ بمعنى : صَبَّرَهُمْ ، وهذا بعيد ؛ وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله ؛ لأنه استعظامٌ خفي سببه .

وذلك لا يلزم ؛ فإنه في حق الله غير خفي السبب .

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب .

ورفعه : بالابتداء ، أو بفعل مضمر .

﴿يَأْنِ لِلَّهِ﴾ الباء سببية .

﴿نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن هنا .

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي : بالواجب ، أو بالإخبار الحق^(١) ؛ أي : الصادق .

والباء فيه : سببية ، أو للمصاحبة .

﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ؛ و﴿الْكِتَابِ﴾ على هذا : التوراة والإنجيل .

وقيل : ﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾ : العرب ؛ و﴿الْكِتَابِ﴾ على هذا : القرآن .

ويحتمل جنس الكتاب^(٢) في الموضعين .

﴿لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي : بعيد من الحق والاستقامة .

~~~~~

(١) في د : «بالحق» .

(٢) في ج ، د : «الكتب» .

[﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ بِتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لِمَلِكِكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ لِلَّهِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنفَىٰ إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾].

﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية؛ خطابٌ لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبله اليهود، والمشرق قبله النصارى، أي: إنما البرُّ التوجُّه إلى الكعبة.

وقيل: خطابٌ للمؤمنين؛ أي: ليس البرُّ الصلاة خاصة، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ لا يصحح أن يكون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ خبراً عن ﴿الْبِرِّ﴾؛ فتأويله:

لكنَّ صاحب البر من آمن.

أو لكن البرُّ برُّ من آمن.

أو يكون البرُّ مصدرًا وُصِفَ به.

﴿وَعَائِ الْمَالِ﴾ صدقة التطوع، وليست بالزكاة؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَعَائِ الزَّكَاةِ﴾.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ الضمير عائد على ﴿الْمَالِ﴾؛ كقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الآية؛ وهو الراجح من طريق المعنى، وعود الضمير على الأقرب. وهو على هذا تميم؛ وهو من أدوات البيان.

وقيل: يعود على مصدر ﴿وَعَائِ﴾.

وقيل: على الله.

﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾ وما بعده: مرتب بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة، بخلاف من بعدهم، ثم اليتامى؛ لصغرهم وحاجتهم، ثم المساكين؛ للحاجة خاصة.

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الغريب، وقيل: الضيف<sup>(١)</sup>.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وإن كانوا غير محتاجين.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ عتقها.

﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي: العهد مع الله، ومع الناس.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ نُصِبَ بإضمار فعل.

﴿فِي أَلْبَاسَاءِ﴾ الفقر.

﴿وَالْفَرَّاءِ﴾ المرضى.

(١) في ج، د، هـ: «الضعيف»، والمثبت موافق لما فسره به في «اللغات» مادة (٤٨٨).

﴿وَجِينَ النَّاسِ﴾ القتال .

﴿صَدَقُوا﴾ في القول، والفعل، والعزيمة .

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ﴾ أي : شرع لكم .

وليس بمعنى : فُرض ؛ لأن وليَّ المقتول مخيرٌ بين القصاص والدية والعفو .

وقيل : بمعنى فرض ؛ أي : فُرض :

على القاتل : الانقياد للقصاص .

وعلى وليَّ المقتول : أن لا يتعداه إلى قتل غيره ؛ كفعل الجاهلية .

وعلى الحكّام : التمكين من القصاص .

﴿الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ ظاهره : اعتبار التّساوي بين القاتل

والمقتول في الحرية والذكورية، وأن لا يقتل حرٌّ بعبد، ولا ذكر بأنثى .

إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى .

ورأى قوم : أن يُعطي أولياؤها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتصّ

منه ؛ خلافاً لمالك والشافعي وأبي حنيفة .

وأما قتل الحرِّ بالعبد : فهو مذهب أبي حنيفة، خلافاً لمالك والشافعي .

فعلى هذا :

لم يأخذ أبو حنيفة بشيء من ظاهر الآية ؛ لا في الذكورية ولا في الحرية ؛

لأنها عنده منسوخة .

وأخذ مالك بظاهرها في الحرية لا في الذكورية، وتأويلها عنده:

أن قوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ عمومٌ يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله: ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ تجريداً؛ للتأكيد؛ لأن بعض العرب كانوا إذا قُتلت منهم أنثى قتلوا بها ذكراً؛ تكبراً وعدواناً.

وقد يتجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرّ بالعبد من السنة، وهو قوله ﷺ: «لا يقتل حرٌّ بعبد»<sup>(١)</sup>.

والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، على أن هذا ضعيف؛ لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل.

﴿فَمَنْ عَفَى لَمْ﴾ الآية؛ فيها تأويلان:

أحدهما: أن المعنى: من قتل فعُفي عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها بمعروف.

فعلى هذا: «مَنْ»: كناية عن القاتل، وأخوه: هو المقتول، أو وليّه، و﴿عَفَى﴾ من العفو عن القصاص؛ وأصله أن يتعدى بـ «عن»، وإنما تعدّى هنا باللام؛ لأنه كقولك: «تجاوزت لفلان عن ذنبه».

والثاني: أن المعنى: مَنْ أعطيت الدية فعليه اتباع بمعروف، وعلى القاتل أداء بإحسان.

فعلى هذا: «مَنْ»: كناية عن أولياء المقتول، وأخوه: هو القاتل

(١) أخرجه البيهقي (١٦/١٩١)، والدارقطني (٤/١٥٣).

أو عاقلته<sup>(١)</sup>، و﴿عَفَى﴾ بمعنى: يُسَّرَ؛ كقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: ما تيسر، ولا إشكال في تعدي ﴿عَفَى﴾ باللام على هذا المعنى.

﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ إشارة إلى جواز أخذ الدية؛ لأن بني إسرائيل لم تكن عندهم دية، وإنما هو القصاص.

﴿فَمَنْ أَعَدَّى﴾ أي: قتل قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية.

﴿عَدَا بِلَيْسٍ﴾ القصاص منه. وقيل: عذاب الآخرة.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ بمعنى قولهم: «القتل أنفى للقتل»؛ أي: أن القصاص يردع الناس عن القتل.

وقيل: المعنى: أن القصاص أقل قتلاً؛ لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتال قبيلتي القاتل والمقتول، حتى يُقتل بسبب ذلك جماعة.

﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ كانت فرضاً قبل الميراث، ثم نسخها آية الموارث، مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»<sup>(٢)</sup>، وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين.

وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض؛ فلا تعارض بينها وبين الموارث، ولا نسخ.

والأول أشهر.

(١) في أ، د: «أو على عاقلته».

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٢٠)، وأبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأحمد (١٧٦٦٣).

[يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ ءَلِيَّامٌ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٨٢﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنَكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرِّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ مَن لَّيَّاسٌ لَّكُم وَأَنْتُمْ لَهُنَّ عَلِمٌ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَسْعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ الْآتِلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَلٰكُمُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْمُنكَارِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِإِلَآئِهِمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾] .

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي : فرض .

﴿كَمَا كُتِبَ﴾ القصد بقوله : ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ويقوله : ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ : تسهيل الصيام على المسلمين ، وكأنه اعتذارٌ عن كتبه عليهم ، ومُلاطفةٌ جميلة .

والذي كُتِبَ على الذين من قبلنا :

الصيام مطلقًا .

وقيل : كتب على الذين من قبلنا رمضان، فبدّلوه .

﴿أَنِيَا﴾ منصوبٌ : بـ ﴿الْفَيَامُ﴾ ، أو بمحذوف .

ويبعد انتصابه بـ ﴿تَنَفُّونَ﴾ .

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ الآية؛ إباحة للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك .

وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى : فحوى الخطاب؛ وتقديره : فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر : فعليه عدّة من أيام آخر .

ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف؛ فرأوا أنّ صيام المريض والمسافر لا يصحّ، وأوجبوا عليه عدّة من أيام آخر، وإن صام في رمضان . وهذا منهم جهلٌ بكلام العرب .

وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر، وبذلك قال الظاهرية . وحده في مشهور مذهب مالك : أربعة بُرْدٍ .

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ قيل : يطيقونه من غير مشقة؛ فيفطرون ويكفّرون، ثم نسخ جواز الإفطار بقوله : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ . وقيل : يطيقونه بمشقة؛ كالشيخ الهرم، فيجوز له الفطر، ويكفّر بالإطعام، فلا نسخ على هذا .

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ أي : صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة؛ وذلك على القول بالنسخ .

وقيل : تطوَّع بالزيادة في مقدار الإطعام، وذلك على القول بعدم النسخ .



﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ : مبتدأ .

أو خبر ابتداء مضمر .

أو بدلٌ من ﴿الصِّيَامُ﴾ .

﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ابن عباس : أنزل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ بطول عشرين سنة .

وقيل : المعنى : أنزل في شأنه القرآن ؛ كقولك : «أنزل القرآن في فلان» .

وقيل : المعنى : ابتدئ فيه إنزال القرآن .

﴿هُدًى لِّلْكَاسِ وَيَظْهَرُ مِنَ الْهُدَى﴾ أي : أن القرآن هدى ، ثم هو - مع ذلك - من مبيّنات<sup>(١)</sup> الهدى ؛ وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق ، وموصوف بالبيان .

فالهدى الأول - هنا - : على الإطلاق .

وقوله : ﴿وَيَظْهَرُ مِنَ الْهُدَى﴾ أي : وهو من الهدى المبيّن ؛ فهو من عطف الصفات ؛ كقولك : «فلان عالمٌ وجليلٌ من العلماء» .

﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ أي : كان حاضراً غير مسافر ، و﴿الشَّهْرَ﴾ : منصوبٌ على الظرفية .

﴿الْيُسْرَ﴾ و﴿الْعُسْرَ﴾ : على الإطلاق .

(١) في د : «بينات» .

وقيل: اليسر: الفطر في السفر، والعسر: الصوم فيه.

﴿وَلْيُكْمِلُوا﴾ متعلق بمحذوف تقديره: شرع.

أو: عطف على: ﴿الْيُسْرَ﴾.

﴿الْعِدَّةَ﴾ الأيام التي أفطر فيها.

﴿وَلْيُكَبِّرُوا﴾ التكبير يوم العيد، أو مطلق.

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئة الله، وموافقة القدر.

وهذا جواب من قال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟<sup>(١)</sup>.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «مقيد بمشيئة الله... إلخ».

أقول: تضمن كلامه هذا أن وعد الله باستجابة دعاء الداعي مشروط بمشيئة الله، وهذا حق؛ فإن فعله تعالى إنما يكون بمشيئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]، وأدلة ذلك كثيرة في القرآن.

ومشروط ثانياً بموافقة القدر، أي أن يكون المطلوب قد سبق القدر بكونه، وفي هذا إجمال؛ فإن أراد أنه مقدّر بدون حصول هذا الدعاء، فهذا يؤول إلى أن يكون الدعاء لا أثر له في حصول المطلوب، وهذا هو الظاهر من مراده، فإن هذا يجري على مذهب نفاة تأثير الأسباب، والدعاء من الأسباب، وهو مذهب الأشاعرة، والظاهر أن المؤلف ممن يذهب هذا المذهب.

وإن أراد أنه مقدّر الحصول بذلك الدعاء فهو حق، لكن يصير التقيد بذلك كالنقيض للمشيئة؛ فإنه لا يكون إلا ما سبق به القدر، كما لا يكون إلا ما شاء الله تعالى، فتخلّف المطلوب يرجع إلى أن الله لم يقدر حصوله في سابق علمه وكتابه. وما كان كذلك فإنه لا يشاؤه سبحانه.

فالمشيئة والقدر متلازمان، فما شاءه فقد سبق به علمه وكتابه، وما علمه وكتبه فإنه تعالى يشاؤه، فلا يكون إلا ما يشاء، ولا يكون إلا ما سبق به علمه وكتابه. والله أعلم.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي : في امثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة .

﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية ؛ كان الأكل والجماع محرماً بعد النوم في ليل رمضان ، فجرت في ذلك قصة لعمر بن الخطاب <sup>(١)</sup> ولصِرمة بن مالك <sup>(٢)</sup> ؛ فأحلَّهما الله ؛ تخفيفاً على عباده .

﴿أَرَفْتُ﴾ هنا : الجماع ، وإنما تعدَّى بـ ﴿إِلَى﴾ ؛ لأنه في معنى الإفضاء .  
﴿مَنْ لِيَأْسَ لَكُمْ﴾ تشبيه بالثياب ؛ لاشتغال كل واحد من الزوجين على الآخر ، وهذا تعليل للإباحة .

﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي : تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان .

﴿فَنَابَ﴾ و﴿وَعَفَا﴾ أي : غفر ما وقعتم فيه من ذلك .

وقيل : رَفَع عنكم ذلك الحكم .

﴿بَنَشْرُوهُمْ﴾ إباحة .

﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل : الولد يبتغى بالجماع .

وقيل : الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه .

﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض ، لا للأسود ؛ لأنَّ الفجر ليس له سواد .

(١) أخرجها أحمد في المسند (١٥٧٩٥) .

(٢) أخرجها البخاري (١٩١٥) ، ووقع في اسمه اختلاف كثير ، ذكره ابن حجر في الإصابة

(٢٤٨/٥) ، فقيل : صرمة بن مالك كما أورده المؤلف ، وقيل : قيس بن صرمة كما في

رواية البخاري ، وقيل غير ذلك .

والخيط - هنا - استعارة؛ يراد بالخيط الأبيض: بياض الفجر، وبالخيط الأسود: سواد الليل.

وروي أن قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ نزل بعد ذلك؛ بياناً لهذا المعنى؛ لأنَّ بعضهم جعل خيطاً أبيض وخيطاً أسود عند وِسَادِهِ، وأكل حتى تبيَّن له، فقال له النبي ﷺ: «إنما هو بياض النهار وسواد الليل»<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَى الْإِيلِ﴾ أي: إلى أوَّل الليل، وهو غروب الشمس؛ فمن أفطر قبل ذلك: فعليه القضاء والكفارة.

ومن شك هل غربت أم لا فأفطر: فعليه - أيضاً - القضاء والكفارة. وقيل: القضاء فقط.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ﴿إِلَى الْإِيلِ﴾: يقتضي المنع من الوصال، وقد جاء ذلك في الحديث<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ تحريمٌ للمباشرة حين الاعتكاف.

قال الجمهور: المباشرة - هنا -: الجماع وما دونه.

وقيل: الجماع فقط.

﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ دليلٌ على جواز الاعتكاف في كلِّ مسجد؛ خلافاً لمن قال: لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، وبيت المقدس. وفيه - أيضاً - دليلٌ على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، لا في

(١) أخرجه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

غيرها، خلافاً لمن أجازها في غيرها من مفهوم الآية.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: أحكامه التي أمر بالوقوف عندها.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي لا تقاربوا<sup>(١)</sup> مخالفتها.

واستدل بعضهم به على سدِّ الذرائع؛ لأنَّ المقصود النهي عن المخالفة للحدود؛ لقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ثم نهى - هنا - عن مقارنة المخالفة؛ سداً للذريعة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، كالقمار، والغصب، وجحد الحقوق، وغير ذلك.

﴿وَتُذَلُّوا﴾ عطف على: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾.

أو: نصب بإضمار «أن».

وهو من: أدلى الرجل بحجته: إذا قام بها.

والمعنى: نهى عن أن يحتج بحجة باطلة؛ ليصل بها إلى أكل مال الناس.

وقيل: نهى عن رشوة الحكام بالأموال للوصول إلى أكل أموال الناس.

فالباء:

على الأول: سببية.

وعلى الثاني: للإلصاق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الباء: سببية، أو للمصاحبة.

(١) في أ، ب: «لا تقربوا».

والإثم :

على القول الأول في ﴿وَتَذْلُوا﴾ : إقامة الحجة الباطلة ؛ كشهادة الزور ،  
والأيمان الكاذبة .

وعلى القول الثاني : الرشوة .

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي : تعلمون أنكم على الباطل ؛ وذلك مبالغة في  
المعصية والجرأة .



[ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا  
 الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ  
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْسَدُوا إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُونَهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ  
 أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلَوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ  
 جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنَّهُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ  
 الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُوا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ  
 قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
 مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنِفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ  
 حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ  
 سُلْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قِصَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي  
 الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا  
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ] .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ سببها : أنهم سألوا عن الهلال ، وما فائدة محاقه  
 وكماليه ومخالفته لحال الشمس .

والهلال : ليلتان من أول الشهر ، وقيل : ثلاث ، ثم يقال له : قمر .

﴿مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات ؛ لمحل الديون ، والأكرية ، وانقضاء العِدَد ،  
 وغير ذلك .

ثم ذَكَرَ الْحَجَّ ؛ اهتماماً بذكره ، وإن كان قد دخل في المواقيت للناس .

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية؛ كان قومٌ إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنما يدخلون من ظهورها، ويقولون: لا يحولُ بيننا وبين السماء شيءٌ؛ فنزلت الآية إعلامًا أنَّ ذلك ليس من البرِّ.

وإنما ذُكر ذلك بعد ذُكر الحج؛ لأنه كان عندهم من تمام الحج. وقيل: إن المعنى: ليس البر أن تسألوا عن الأهلَّة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه؛ فتأتون الأمور على غير ما يجب.

فعلى هذا: ﴿الْبَيُوتَ﴾ و﴿أَبْوَابَهَا﴾ و﴿ظُهُورَهَا﴾ استعاراتٌ؛ يراد بالبيوت: المسائل، وظهورها<sup>(١)</sup>: السؤال عما لا يفيد، وأبوابها: السؤال عما يحتاج إليه.

﴿الْبِرُّ مِنْ أَتَقَى﴾ تأويله مثل: ﴿الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ﴾ كان القتال غير مباح في أوَّل الإسلام، ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل؛ وذلك مقتضى هذه الآية، ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] و﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]؛ فهذه الآية منسوخة.

وقيل: إنها مُحْكَمَةٌ؛ وأنَّ المعنى: قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلكم<sup>(٣)</sup>، دون النساء والصبيان الذي لا يقاتلونكم.

والأوَّل أرجح وأشهر.

(١) في ب، ج، هـ: «ظهورها».

(٢) انظر صفحة ٣٩٨.

(٣) في ب، ج، هـ: «يقاتلونكم».



﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: بقتال من لم يقاتلكم؛ على القول الأول.

وبقتال النساء والصبيان؛ على القول الثاني.

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: من مكة؛ لأنَّ قريشاً أخرجوا منها المسلمين.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: فتنة المؤمن عن دينه أشدُّ عليه من قتله.

وقيل: كفر الكفار أشدُّ من قتل المؤمنين<sup>(١)</sup> لهم في الجهاد.

﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ منسوخ بقوله: ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]، وذلك يقوي نسخ: ﴿الَّذِينَ يُقْتَلُونَكَ﴾.

﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ أي: عن الكفر فأسلموا؛ بدليل قوله: ﴿عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾؛ وإنما يغفر للكافر إذا أسلم.

﴿لَا تَكُونْ فِتْنَةً﴾ أي: لا يبقى دينٌ كفر.

﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية؛ نزلت لما صدَّ الكفارُ النبي ﷺ والمسلمين<sup>(٢)</sup> عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذي قعدة، فدخلها في العام الذي بعده في شهر ذي قعدة.

أي: ﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الذي دخلتم فيه مكة ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الذي صُدِدتُم فيه عن دخولها.

﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ أي: حرمة الشهر والبلد حين دخلتموها: قصاصٌ

(١) في ج، هـ: «المؤمن».

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

بحرمة الشهر والبلد حين صُدِّدتم عنها .

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب ؛ أي : قاتلوا مَنْ قاتلكم ، ولا تبالوا بحرمة من صدَّكم عن مكة .

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أبو أيوب الأنصاري : المعنى : لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد .

وقيل : لا تركوا النفقة في الجهاد ؛ خوف العيلة .

وقيل : لا تقنطوا من التوبة .

وقيل : لا تقتحموا المهالك .

والباء في ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ : زائدة .

وقيل : التقدير : لا تلقوا أنفسكم بأيديكم .

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي : أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما<sup>(١)</sup> .

ابن عباس : إتمامهما<sup>(٢)</sup> : إكمال المناسك .

عليّ : إتمامهما<sup>(٣)</sup> : أن تحرم بهما من دارك .

ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة ؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام ، لا بالابتداء .

(١) في ج ، هـ : «أكملوها إذا ابتدأتم عملها» .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «إتمامها» .

(٣) في ب ، ج ، هـ : «إتمامها» .

﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ المشهور في اللغة: أحصره المرض - بالالف -، وحصره العدو.

وقيل: بالعكس.

وقيل: هما بمعنى واحد.

فقال مالك: ﴿أَحْصَرْتُمْ﴾ هنا: بالمرض على مشهور اللغة؛ فأوجب عليه الهدى، ولم يوجب على من حصره العدو.

وقال الشافعي وأشهب: يجب الهدى على من حصره العدو، وحملاً الآية على ذلك، واستدلّا بنحر النبي ﷺ الهدى بالحديبية.

وقال أبو حنيفة: يجب الهدى على المحصر بعدو وبمرض.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليكم ما استيسر من الهدى؛ وذلك شاء.

﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ خطاب للمحصر بمرض عند مالك؛ لأنه لا يتحلل بالحلق حتى يبلغ الهدى محله أي: موضع نحره؛ وهو:

مكة أو منى عند مالك.

وقال الشافعي: محله: حيث أحصر.

وقيل: هو <sup>(١)</sup> خطاب للمحصر وغيره.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ الآية؛ نزلت في كعب بن عُجرة حين رآه النبي ﷺ فقال له: «لعلك تؤذيك هوائم رأسك؟» فقال: نعم، فقال له

(١) في ب، ج، هـ «هي».

رسول الله ﷺ: «أحلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك بشاة»<sup>(١)</sup>.

(فمعنى الآية: أن من كان الحج واضطره مرض<sup>(٢)</sup> أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه؛ وعليه صيام، أو صدقة، أو نسك)<sup>(٣)</sup> حسبما تفسر في الحديث.

وقاس الفقهاء على حلق الرأس: سائر الأشياء التي يُمنع الحاج منها، إلا الصيد، ووطء النساء.

وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس.

ولا بد في الآية من مضمّر لا يستقل الكلام دونه، وهو المسمى: فحوى الخطاب؛ وتقديرها: فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي: من المرض؛ على قول مالك.

ومن العدو؛ على قول غيره.

والمعنى: إذا كنتم بحال أمن؛ سواء تقدّم مرض أو خوف عدو، أو لم يتقدّم.

﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْمُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ التمتع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في

(١) أخرجه البخاري (١٨١٤)، ومسلم (١٢٠١).

(٢) في د: «واضطّر لمرض».

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

أشهر الحج، ثم يحجّ من عامه؛ فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة.

وقال عبد الله بن الزبير: التمتع: هو أن يُحْصَرَ عن الحج بعدوّ حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء لحجته؛ فهو قد تمتع بفعل الممنوعات في الحج من وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل.

وقيل: التمتع: هو قِرَان الحج والعمرة.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ شاة.

﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ وقتها: من إحرامه إلى يوم عرفة، فإن فاتته: صام أيام التشريق.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: إلى بلادكم، أو في الطريق.

﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾ فائدته: بيان أن السبعة تصام بعد الثلاثة؛ فتكون عشرة، ورفع لتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة.

وقيل: هو مثل الفذلكة؛ وهو قول الناس بعد الأعداد: «فذلك كذا».

وقيل: كاملة في الثواب.

﴿لَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: غير أهل مكة وذو طوى بإجماع.

وقيل: أهل الحرم كله.

وقيل: من كان دون المواقيت.

وقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ : إشارة إلى الهدي أو الصيام؛ أي: إنما يجب الهدي - أو الصيام بدلاً منه - على الغرباء، لا على أهل مكة.

وقيل: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع.



[الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ١٢٥] فَمَنْ قَرَضَ فِيهِكَ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٢٦﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٢٧﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٢٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٣١﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٣٣﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٣٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلِهَاةٌ ﴿١٣٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٣٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٧﴾ فَإِنْ رَكَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَفْسَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٣٩﴾].

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير: أشهر الحج أشهر.

أو: الحج في أشهر.

وهي : شَوَّال ، وذو القعدة ، وذو الحجة .

وقيل : العَشر الأول منه .

وينبني على ذلك : من آخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي حِجَّة :

فعليه دَمٌ على القول بالعَشر الأول .

ولا دمٌ عليه على القول بجميع الشهر .

واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر :

فأجازه مالكٌ على كراهة .

ولم يُجزَّه الشافعيُّ وداود ؛ لتعيين هذا الأشهر لذلك ؛ فكأنها كوقت الصلاة .

﴿فَمَنْ فُضِّضَ﴾ أي : ألزم الحجَّ نفسه .

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ الرفث : الجماع . وقيل : الفحش من الكلام .

والفسوق : المعاصي .

والجدال : المراء مطلقاً .

وقيل : المجادلة في مواقف الحج .

وقيل : النسيء الذي كانت العرب تفعله .

﴿وَسَكَرَودُوا﴾ قيل : احملوا زاداً في السفر .

وقيل : تزودوا للآخرة بالتقوى ، وهو الأرجح ؛ لما بعده .



﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ التجارة في أيام الحج، أباحها الله تعالى .

وقرأ ابن عباس : «فضلاً من ربكم في مواسم الحج» .

﴿أَفْضَتْكُمْ﴾ اندفعتكم جملة واحدة .

﴿مِّنْ عَرَفَتٍ﴾ اسم علم للموقف .

والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر، لا تنوين صرف؛ فإن فيه التعريف والتأنيث .

﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ المزدلفة .

والوقوف بها سنة .

﴿كَمَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ الكاف للتعليل .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة؛ ولذلك جاءت اللام في خبرها .

﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ أي : من قبل الهدى .

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِّن حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أمر للْحُمْسِ<sup>(١)</sup>؛ وهم قريش ومن تبعهم، كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم، ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس؛ لأنها حل، ويقولون : نحن أهل الحرم؛ فلا نقف إلا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن

(١) الْحُمْس : لقب قريش، ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس، وهم : فُهْمٌ وَعَدَوَانُ ابنا عمرو بن قيس عيلان، وبنو عامر بن صعصعة، سُمُوا حُمْسًا؛ لِحُمْسِهِمْ فِي دِينِهِمْ، أي : تشددهم فيه، وكذا في الشجاعة فلا يطاقون، أو لالتجائهم بالْحُمْسَاء، وهي الكعبة؛ لأن حَجَرَهَا أَيْضًا إِلَى السَّوَاد. انظر : تاج العروس (٥٥٥/١٥) .

يقفوا بعرفة مع الناس ويُفيضوا منها .

وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة ؛ توفيقاً من الله تعالى له .  
والقول الثاني : أنها خطابٌ لجميع الناس ؛ ومعناها : أفيضوا من  
المزدلفة إلى منى .

ف ﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول : على بابها من الترتيب .

وأما على القول الأول : فليست للترتيب ، بل للعطف خاصة .

قال الزمخشري : هي كقولك : «أحسن إلى الناس ، ثم لا تحسن إلا إلى  
كريم» ؛ فإن معناها : التفاوت بين ما قبلها وما بعدها ، وأن ما بعدها أكد<sup>(١)</sup> .

﴿فَضَيْتُمْ مَنَابِكُمْ﴾ فرغتم من أعمال الحج .

﴿كَذَرَكُمُ آبَاءُكُمْ﴾ لأن الإنسان كثيراً ما يذكر آباه<sup>(٢)</sup> .

وقيل : كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرةً عند الجمرة ، فأمرُوا بذكر  
الله عوضاً من ذلك .

﴿ءَايُنَا فِي الدُّنْيَا﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة ؛ لأنهم  
لا يؤمنون بالآخرة .

﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قيل : العمل الصالح . وقيل : المال . وقيل : المرأة  
الصالحة .

(١) الكشف (٣/٣٠٣) .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «آباء» .

﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ الجنة.

﴿نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «مِنْ»:

سببية؛ أي: لهم نصيب عند الله؛ من أجل ما كسبوا من الحسنات.

وَأَنْ تَكُونَ لِبَيَانِ الْجِنْسِ؛ أي: لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها،  
والنصيب - على هذا - : الثواب.

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ:

أحدهما: أَنْ يَرَادَ بِهِ: سُرْعَةُ مُجِيءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَالْآخَرُ: أَنْ يَرَادَ بِهِ: سُرْعَةُ وَقُوعِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَحْتَاجُ  
إِلَى عِدَّةٍ وَلَا فِكْرَةٍ.

وَقِيلَ لِعَلِيِّ عليه السلام: كَيْفَ يَحَاسِبُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ؟ قَالَ: «كَمَا  
يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ ثَلَاثَةٌ بَعْدَ يَوْمِ النُّحْرِ؛ وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ.

وَالذِّكْرُ فِيهَا: التَّكْبِيرُ فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ، وَعِنْدَ رَمِي الْجِمَارِ، وَغَيْرِ  
ذَلِكَ.

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أَي: انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق.

﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ أَي: إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَرَمَى فِيهِ بَقِيَّةَ الْجِمَارِ.

(١) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ مُسْنَدًا.

وأما المتعجل : فقليل : يترك رمي جمار اليوم الثالث . وقيل : يقدمها في اليوم الثاني .

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ﴾ في الموضعين :

قيل : إنه إباحةٌ للتعجل والتأخر .

وقيل : إنه إخبارٌ عن غفران الإثم - وهو الذنب - للحاج ؛ سواءً تعجل أو تأخر .

﴿لَمَنِ اتَّقَى﴾ أمّا على القول بأن معنى : ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ﴾ إباحةٌ ؛ فالمعنى : أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما ؛ فقد أبيع له ذلك من غير إثم .

وأما على القول : بأن معنى : ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ﴾ إخبار بغفران الذنوب ؛ فالمعنى : أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه ؛ كقوله ﷺ : «من حج هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»<sup>(١)</sup> .

فاللام متعلقة : إمّا بالغفران ، أو بالإباحة<sup>(٢)</sup> المفهومين من الآية .

﴿مَنْ يُعْجِبْكَ قَوْلُهُ﴾ الآية ؛ قيل : نزلت في الأخنس بن شريق ؛ فإنه أظهر الإسلام ، ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعاً .  
وقيل : في المنافقين .

وقيل : عامة في كل من كان على هذه الصفة .

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٠) ، ومسلم (١٣٥٠) .

(٢) في د : «بالإباحة» .

﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ متعلق بـ ﴿قَوْلُهُ﴾ ؛ أي : يعجبك ما يقول في أمر الدنيا .

ويحتمل أن يتعلق بـ ﴿يُعْجِبُكَ﴾ .

﴿وَيُتِنِّهُدُ اللَّهُ﴾ أي : يقول : الله يعلم إنني لصادق .

﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة .

﴿تَوَلَّى﴾ أدبر بجسده ، أو أعرض بقلبه .

وقيل : صار والياً .

﴿وَرِيْهَالِكِ الْحَرْثِ وَالسَّلٰءِ﴾ على القول بأنها في الأخنس : فإهلاك

الحرث : حرقه للزرع ، وإهلاك النسل : قتله للدواب .

وعلى القول بالعموم : فالمعنى : مبالغة في الفساد ، وعبر عن ذلك بإهلاك

الحرث والنسل ؛ لأنهما قوام معيشة بني آدم ، فإن الحرث : هو الزرع

والفواكه وغير ذلك من النبات ، والنسل : هو الإبل والبقر والغنم ، وغير ذلك

مما يتناسل .

﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ المعنى : أنه لا يطيع من أمره بالتقوى ؛ تكبراً

وطغياناً .

والباء يحتمل أن تكون : سبيّة ، أو بمعنى «مع» .

وقال الزمخشري : هي كقولك : أخذ الأمير الناس بكذا أي : ألزمهم

إياه ؛ فالمعنى : حملته العزة على الإثم <sup>(١)</sup> .

﴿مَنْ يَشْرِ نَفْسَهُ﴾ أي: يبيعها.

قيل: نزلت في صهيب. وقيل: على العموم.

وبيع النفس: في الهجرة، أو الجهاد.

وقيل: في تغيير المنكر، وأنَّ الذي قبلها: فيمن غيّر عليه فلم ينزجر.

﴿السَّلَامُ﴾ بفتح السين:

المسالمة، والمراد بها هنا: عقد الذمة بالجزية.

فالأمر على هذا: لأهل الكتاب، وخطبوا بـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة.

وقيل: هو الإسلام.

وكذلك هو بكسر السين.

فيكون الخطاب لأهل الكتاب؛ على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام.

وقيل: إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظّموا السبب كما كانوا؛ فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام، واتركوا سواه<sup>(١)</sup>.

ويَحتمل: أن يكون الخطاب للمسلمين؛ على معنى: الأمر بالثبوت عليه، أو<sup>(٢)</sup> الدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي.

(١) في د: «ما سواه».

(٢) في أ، ب: «و».

﴿كَافَّةٌ﴾ عموم في: المخاطبين، أو في شرائع الإسلام.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديد لمن زلَّ بعد البيان.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ تأويله عند المتأولين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا.

وهي عند السلف الصالح ومن تبعهم: من المتشابه؛ فيجب الإيمان بها من غير تكيف.

وَيَحْتَمَلُ أَنْ لَا تَكُونَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بِمَعْنَى: يَطْلُبُونَ ذَلِكَ بِجَهْلِهِمْ؛ كَقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٨].

﴿فِي ظُلُلٍ﴾ جمع ظُلَّة؛ وهو: ما علاك من فوق.

فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِأَمْرِ اللَّهِ: فَلَا إِشْكَالَ.

وَإِنْ كَانَ لِلَّهِ: فَهُوَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ<sup>(١)</sup>.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «يأتيهم الله» تأويله عند المتأولين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا. إلخ، أقول: ذكر في معنى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ قولين:

الأول: تفسير المتأولين، بما ذكره من عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا، وهذه طريقة أهل التأويل من نفاة الصفات.

الثاني: أن الآية من المتشابه، والمتشابه عند المؤلف وأمثاله ما لا يعلم معناه إلا الله، وزعم ابن جزى أن هذا هو مذهب السلف ومن تبعهم، ونسبة هذا إلى السلف باطلة، فهذه الآية وأمثالها من نصوص الصفات عند السلف مفهومة المعنى، وهم يثبتون =

﴿الْفَخَّارِ﴾ السحاب .

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فُرج منه ؛ وذلك كناية عن وقوع العذاب .



= ما دلت عليه من الصفات والأفعال، ولكن قول المؤلف : « فيجب الإيمان بها من غير تكييف » كلام حق يشبه ما جاء عن السلف في نصوص الصفات : أمرها كما جاءت من غير كيف . لكن يكون في كلام المؤلف نوع تناقض ، فجعلها من المتشابه يقتضي عدم الفهم لمعناها ، وقوله : « يجب الإيمان بها من غير تكييف » يقتضي فهمها وإثبات معناها ، ففي تقريره لما زعم أنه مذهب السلف اضطراب .

وفي كلامه ﷺ عن الآية اضطراب آخر ، فبينما يتعلق الكلام في : ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ ينتقل إلى أن يكون متعلقا بقوله : ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ، وذلك في قوله : « ويحتمل أن لا تكون من المتشابه » ، ثم يفسر ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بـ يطلبون . والمعروف في اللغة والتفسير أن ينظرون المتعدي معناه : ينتظرون ، كقوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ، وفي هذا تهديد للمكذابين ، والصواب أن الآية تدل على أن الله يأتي يوم القيامة كيف شاء ، كما قال : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ . وقول المؤلف : « فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال ، وإن كان لله : فهو من المتشابه » لعله يريد إن كانت الظلل شيئا مخلوقا بأمر الله فلا إشكال ، وهو كما قال ، وإن كانت الظلل صفة لله فهي من المتشابه ، ولا موجب لهذا التردد ، بل الظلل مخلوقة قطعاً ، وهي بأمر الله ، ولا يجوز أن تكون من ذات الله أو صفته ، فلا موجب لهذا التردد ، ومن أحسن ما عبر به عن قوله : (في ظلل) أي : مع ظلل . ففي على هذا بمعنى مع والله أعلم .



[سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٣٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ فَهْدًى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١٣٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٣٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾].

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ على وجه التوبيخ لهم، وإقامة الحجة عليهم.

﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ معجزات موسى، أو الدلالات <sup>(١)</sup> على نبوة محمد ﷺ.

﴿وَمَنْ يَبْدُلْ﴾ وعيد.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين، كبلال وصهيب.

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم.

﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي: أحسن حالاً منهم.

(١) في ب، د: «الدلالة».

ويحتمل فوقية المكان؛ لأن الجنة في السماء.

﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إن أراد في الآخرة: ﴿مَنْ﴾ كناية عن المؤمنين.

والمعنى: رد على الكفار؛ أي: إن رزق الله الكفار في الدنيا؛ فإن المؤمنين يُرزقون في الآخرة.

وإن أراد في الدنيا: فيحتمل:

أن تكون ﴿مَنْ﴾ كناية عن المؤمنين؛ أي: سيرزقهم، ففيه وعد لهم.

وأن تكون كناية عن الكافرين؛ أي: أن رزقهم في الدنيا بمشيئة الله، لا على وجه الكرامة لهم.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن كان للمؤمنين: فيحتمل أن يريد:

بغير تضيق.

أو من حيث لا يحتسبون.

أو لا يحاسبون عليه.

وإن كان للكفار: فمن غير تضيق.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: متفقين في الدين:

قيل: كفار؛ في زمان نوح عليه السلام.

وقيل: مؤمنون؛ ما بين آدم ونوح، أو من كان مع نوح في السفينة.

وعلى ذلك يقدر: فاختلفوا بعد اتفاقهم؛ ويدل عليه: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩].

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: جنس، أو مع كل نبي كتابه<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود:

على ﴿الْكِتَابَ﴾.

أو على الضمير المجرور المتقدم.

وقال الزمخشري: يعود على «الحق»<sup>(٢)</sup>.

وأما الضمير في ﴿أُوتُوهُ﴾: فيعود على ﴿الْكِتَابَ﴾.

والمعنى: تقبيحُ الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم  
البيئات.

﴿بَغْيًا﴾ أي: حسدًا، أو عدوانًا.

وهو: مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ.

﴿لَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: للحق فيما اختلفوا فيه.

ف«ما» بمعنى: الذي، وقبلها مضاف محذوف.

والضمير في ﴿اخْتَلَفُوا﴾: لجميع الناس.

يريد: اختلافهم في الأديان، فهدى الله المؤمنين لدين الحق.

(١) في ج، هـ: «كتاب».

(٢) الكشاف (٣/٣٣٩).

وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق.

و«مِنْ» في قوله: ﴿مِنْ أَلْحَقَ﴾ لبيان الجنس؛ أي<sup>(١)</sup>: جنس ما وقع فيه الخلاف<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا ذِينَ﴾ قيل: بعلمه. وقيل: بأمره.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمر بالصبر على الشدائد.

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ أي: لا تدخلون الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ﴾ أي: حالهم، وعبر عنه بالمثل؛ لأنه في شدته يضرب به المثل.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾ بالتخويف والشدائد.

﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ يحتمل:

أن يكون جواباً للذين قالوا: متى نصر الله؟

أو أن يكون إخباراً مستأنفاً.

وقيل: إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه: متى نصر الله؟.

﴿فَلْيَوْلَا الَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إن أريد بالنفقة الزكاة: فذلك منسوخ.

(١) في ب، ج، هـ: «أعني».

(٢) كذا في د، وهامش أ ورمز له بـ«خ»، وفي أ، ب، ج، هـ: «جنس المختلف فيه».

والصواب: أن المراد التطوع؛ فلا نسخ.

وقدّم في الترتيب الأهمّ فالأهم.

وورد السؤال عن المنفق، والجواب عن مَصْرِفِهِ؛ لأنه كان المقصود بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ إن كان على الأعيان: فنسخه: ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، فصار القتال فرض كفاية.

وإن كان على الكفاية: فلا نسخ.

﴿كَرِهَ﴾ مصدر: كَرِهَ<sup>(١)</sup>؛ للمبالغة، أو اسمٌ مفعول؛ كالخبز بمعنى: المخبوز.

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا﴾ حضٌّ على القتال.



(١) كذا في أ، ب، د، وفي هامش أ: «خ: ذكر»، وفي ج، هـ: «مصدر ذكره».

[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِيَارِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَفْعُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَكُونَ ﴿١٧٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِئْتِمَنِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فَاخُونَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ عَنْ اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٨١﴾].

﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ جنس، وهي أربعة أشهر: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل من ﴿الشَّهْرِ﴾؛ وهو مقصود السؤال.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: ممنوع؛ ثم نسخه: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وذلك بعيد؛ فإن ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ عموم في الأمكنة، لا في الأزمنة.

ويظهر أن ناسخه: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] بعد ذكر الأشهر الحرم؛ فإن<sup>(١)</sup> التقدير: قاتلوا فيها؛ ويدل عليه: ﴿فَلَا تَقْتُلُوا فِيهِمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

ويحتمل أن يكون المراد: وقوع القتال في الشهر الحرام؛ أي: إباحته حسبما استقر في الشرع؛ فلا تكون الآية منسوخة، بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم.

﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ابتداءً، وما بعده معطوف عليه، و﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ خبر الجميع.

أي: أن هذه الأفعال القبيحة التي فعلها الكفار أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عيّر به الكفار المسلمين في سرية عبد الله بن جحش حين قاتل في أول يوم من رجب.

وقد قيل: إنه ظنه آخر يوم من جمادى.

﴿وَالْمَسْجِدِ﴾ عطف على: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾ قال الزمخشري: «حتى» هنا: للتعليل<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ذهب مالك إلى أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد؛ سواء رجع إلى الإسلام، أو مات على الارتداد، ومن ذلك: انتقاض وضوئه، وبطلان صومه.

(١) في د: «فكان».

(٢) الكشاف (٣/ ٣٥٠).

وزهد الشافعي إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافراً؛ لقوله: ﴿فَيَسُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾.

وأجاب المالكية: بأن قوله: ﴿حَاطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾: جزاء على الردة، وقوله: ﴿أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: جزاء على الموت على الكفر. وفي ذلك نظر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه. ﴿الْخَمْرِ﴾ كل مسكر؛ من العنب وغيره.

﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار. وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور. ثم يدخل في ذلك: النرد والشطرنج وغيرهما. وروي: أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب عليه السلام.

﴿إِنَّمَا كَبِيرٌ﴾ نص في التحريم وأنها من الكبائر؛ لأن الإثم حرام؛ لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. خلافاً لمن قال: إنما حرمتها آية «المائدة»، لا هذه الآية.

﴿وَمَنْعُ﴾ في الخمر: التلذذ والطرب. وفي القمار: الاكتساب به. ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة؛ قال ابن عباس: المنافع قبل التحريم، والإثم بعده.

﴿وَأَمْتُهُمَا أَكْبَرُ﴾ تغليب<sup>(١)</sup> للإثم على المنفعة، وذلك -أيضاً- بيان للتحريم.

(١) في ج، هـ: «تغليبا».



﴿قُلِ الْفَقْرُ﴾ أي: السَّهْلُ من غير مشقَّة.

وقراءة الجماعة: بالنصب، بإضمار فعلٍ؛ مشاكلةً للسؤال؛ (على أن يكون ﴿مَاذَا﴾ مرگبًا مفعولًا بـ ﴿يُنْفِقُونَ﴾).

وقرأ أبو عمرو: بالرفع بالابتداء؛ مشاكلةً للسؤال؛<sup>(١)</sup> على أن يكون «ما» مبتدأ، و«ذا» خبره.

﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: في أمرهما.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ كانوا قد تجنَّبوا اليتامى تورُّعًا؛ فنزلت إباحة<sup>(٢)</sup> مخالطتهم بالإصلاح لهم.

فإن قيل: لم جاء ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ بالواو ثلاث مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟

فالجواب: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأوَّل وقع في أوقات متفرقة؛ فلم تأت<sup>(٣)</sup> بحرف عطف، وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو؛ لأنها كانت متناسقة<sup>(٤)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذيرٌ من الفساد، وهو أكل أموال اليتامى.

﴿لَا آغْنِيكُمْ﴾ لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم.

(١) سقط من ب، ج، هـ.

(٢) في د: «فنزلت الآية بإباحة».

(٣) في ب، ج، هـ: «يأت».

(٤) انظر: الكشاف (٣/ ٣٧٤).

ابن عباس: لأهلكم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾ أي: لا تتزوجوا.

والنكاح: مشترك بين الوطء والعقد.

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ عِبَادُ الْأَوْثَانِ مِنَ الْعَرَبِ، فَلَا تَتَنَاوَلُ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى الْمَبَاحَ نِكَاحُهُنَّ فِي «الْمَائِدَةِ»، فَلَا تَعَارِضُ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ، وَلَا نَسْخَ. خِلَافًا لِمَنْ قَالَ: آيَةُ «الْمَائِدَةِ» نَسَخَتْ هَذِهِ.

ولمن قال: هذه نسخت آية «الْمَائِدَةِ»؛ فَمَنْعَ نِكَاحِ الْكِتَابِيَّاتِ.

وَنَزَلَتْ الْآيَةُ بِسَبَبِ مَرْتِدِ الْعَنْوِيِّ، أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مُشْرِكَةً.

﴿وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ﴾ أي: أمةٌ لله؛ حُرَّةٌ كَانَتْ أَوْ مَمْلُوكَةً.

وقيل: أمةٌ مملوكة مؤمنة خيرٌ من حُرَّةٍ مُشْرِكَةٍ.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ فِي الْجَمَالِ، وَالْمَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لَا تُزَوِّجُوهُمْ نِسَاءَكُمْ.

وَانْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَتَزَوَّجُ مُسْلِمَةً؛ سِوَاءَ كَانَ كِتَابِيًّا أَوْ غَيْرَهُ.

وَاسْتَدَلَّ الْمَالِكِيُّ عَلَى وَجُوبِ الْوَلَايَةِ فِي النِّكَاحِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا

الْمُشْرِكِينَ﴾؛ لِأَنَّهُ أَسْنَدَ نِكَاحَ النِّسَاءِ إِلَى الرِّجَالِ.

﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي: عَبْدٌ لِلَّهِ. وَقِيلَ: مَمْلُوكٌ.

(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿أُولَئِكَ﴾ المشركات والمشركون.  
﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ إلى الكفر الموجب للنار.  
﴿يَاذَنِي﴾ أي: بإرادته، أو علمه.



[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿١٢١﴾ يَسْأَلُكُمْ خَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ وَنِسَاءُكُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٣﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَبِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٦﴾ وَالطَّلَاقُ بَرِيصٌ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعْلَمْنَ أَنَّ بَرِيصَهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٧﴾] .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن الحضير؛  
قالا لرسول الله ﷺ: ألا نجامع النساء في المحيض، خلافاً لليهود؟

﴿هُوَ أَذَى﴾ مستقذر، وهذا تعليلٌ لتحريم الجماع في المحيض .

﴿فَاعْرِضُوا النِّسَاءَ﴾ أي: اجتنبوا جماعهن .

وقد فسر ذلك الحديث بقوله: «لشدة عليها إزارها، وشأنك بأعلاها»<sup>(١)</sup> .

﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ أي: ينقطع عنهن الدم .

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن بالماء .

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٩) .

وتعلّق الحكمُ :

بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي ؛ فلا يجوز عندهما وطء الحائض حتى تغتسل .

وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة ؛ فأجاز الوطء عند انقطاع الدم ، وقبل الغسل .

وقرئ : ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ : بالتشديد ، ومعنى هذه القراءة : بالماء ؛ فتكون الغائتان <sup>(١)</sup> بمعنى واحد ، وذلك حجة لمالك .

﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ ﴾ قبل المرأة .

﴿ التَّوْبَيْنِ ﴾ من الذنوب .

﴿ الْمَطْهَرَاتِ ﴾ بالماء ، أو من الذنوب .

﴿ حَرْتُ لَكُمْ ﴾ أي : موضع حرث ؛ وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد : بالحرث في إلقاء البذر وانتظار الزرع .

﴿ أَلَيْ شِئْتُمْ ﴾ أي : كيف شئتم من الهيئات ، أو متى شئتم .

لا : أين شئتم ؛ لأنه يؤهم الإتيان في الدبر ، وقد افترى مَنْ نسب جوازه إلى مالك ، وقد تبرأ هو من ذلك وقال : إنما الحرث في موضع الزرع .

﴿ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ أي : الأعمال الصالحة <sup>(٢)</sup> .

(١) في ج ، هـ : « الغاية » .

(٢) في ب ، د : « الصالحات » .

﴿عُرْضَةً لِّإِيْمَانِكُمْ﴾ أي: لا تكثروا الحلف بالله فتبتذلوا اسمه.

و﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ على هذا: علة للنهي؛ فهو مفعول من أجله، أي: نهيتهم<sup>(١)</sup> عن كثرة الحلف كي تبرؤا.

وقيل: المعنى: لا تحلفوا على أن تبرؤا وتتقوا، وافعلوا البر والتقوى دون يمين.

ف﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ على هذا: هو المحلوف عليه.

والعرضة على هذين القولين كقولك: «فلان عرضة لفلان»: إذا أكثر التعرض له.

وقيل: ﴿عُرْضَةً﴾ مانع؛ من قولك: «عرض له أمر»: حال بينه وبين كذا.

أي: لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصديق أن لا ينفق على مسطح.

ف﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ على هذا: علة لامتناعهم؛ فهو مفعول من أجله، أو مفعول بـ ﴿عُرْضَةً﴾؛ لأنها بمعنى مانع.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ الساقط.

وهو عند مالك: قولك<sup>(٢)</sup>: «نعم والله»، و«لا والله»، الجاري على اللسان من غير قصد، وفاقاً للشافعي.

(١) في د: «نهيتكم».

(٢) في ب، د: «كقولك».

وقيل : أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ، ثم يظهر خلافه ،  
وفاقاً لأبي حنيفة .

وقال ابن عباس : اللغو : الحلف حين الغضب .

وقيل : اللغو : اليمين على المعصية .

والمؤاخذه : العقاب ، أو وجوب الكفارة .

﴿ مَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ أي : قصدت ؛ فهو خلاف اللغو .

وقال ابن عباس : هو اليمين الغموس ؛ وذلك أن يحلف على الكذب  
متعمداً . وهو حرام إجماعاً .

وليس فيه كفارة عند مالك ، خلافاً للشافعي .

﴿ يُؤْلَوْنَ مِنْ إِسَاءِهِمْ ﴾ يحلفون على ترك وطئهن .

وإنما تعدى بـ ﴿ مِنْ ﴾ ؛ لأنه تضمن معنى البعد منهن .

ويدخل في عموم قوله : ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ : كل حالف ؛ حرّاً كان أو عبداً .

إلا أن مالكاً جعل مدة إيلاء العبد شهرين ، خلافاً للشافعي .

ويدخل في إطلاق الإيلاء : اليمين بكل ما يلزم عنه حكم ، خلافاً للشافعي

في قصره الإيلاء على الحلف بالله ؛ ووجهه : أنها اليمين الشرعية .

ولا يكون مؤلّياً - عند مالك والشافعي - إلا إذا حلف على مدة أكثر من

أربعة أشهر .

وعند أبي حنيفة : أربعة أشهر فصاعداً .

فإذا انقضت الأربعة الأشهر :

وَقِفَ الْمُؤَلِّي<sup>(١)</sup> عِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ ، فَإِمَّا فَاءً ، وَإِلَّا طَلَّقَ .

فَإِنْ أَبَى : طَلَّقَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ .

وقال أبو حنيفة : إذا انقضت الأربعة الأشهر : وقع الطلاق دون توقيف .

ولفظ الآية يَحْتَمِلُ الْقَوْلَيْنِ .

﴿فَإِنْ فَاءٌ﴾ رجعوا إلى الوطء ، وكَفَرُوا عَنِ الْيَمِينِ .

﴿عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾ أي : يغفر ما في الإيلاء من الإضرار بالمرأة .

﴿عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ العزيمة :

على قول مالك : التطلاق ، أو الإبابة ؛ فيطْلُقُ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ .

وعند أبي حنيفة : ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر .

والطلاق في الإيلاء :

رجعي عند مالك .

بائن عند الشافعي وأبي حنيفة .

﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْبِضُ﴾ بيان للعدة ، وهو عمومٌ مخصوص ؛ خرجت منه :

الحامل بقوله : ﴿وَأَوْلْتُ الْأَحْمَالَ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق : ٤] .

واليائسة والصغيرة بقوله : ﴿وَالَّتِي بَيِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ [الطلاق : ٤] الآية .

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب ، ج ، هـ .



والتي لم يُدخَل بها بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدْوٍ تَعْتُدُونَهَا﴾ [الاحزاب: ٤٩].

فيبقى حكمها: في المدخول بها، وهي في سنٍّ من تحيض.

وقد خصَّ مالك منها: الأمة؛ فجعل عدتها قرأين.

و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ خبرٌ بمعنى الأمر.

﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ انتصب ﴿ثَلَاثَةَ﴾ على أنه مفعولٌ به؛ هكذا قال الزمخشري<sup>(١)</sup>.

و﴿قُرُوءٍ﴾: جمع قرء؛ وهو مشترك - في اللغة - بين الطهر والحيض.

فحملة مالك والشافعي على الطهر؛ لإثبات التاء في ﴿ثَلَاثَةَ﴾، فإن الطهر مذكّر، والحيض مؤنث، ولقول عائشة: الأقرأء هي الأطهار.

وحمله أبو حنيفة على الحيض؛ لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدة.

فعلى قول مالك: تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة، إذا طلقها في طهر لم يمسه فيها.

وعند أبي حنيفة: بالطهر منها.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِهِنَّ﴾ يعني: الحمل والحيض.

﴿وَيُؤْوِلُنَّ﴾ جمع بعل؛ وهو هنا الزوج.

﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: في زمان العدة.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ من الاستمتاع، وحسن المعاشرة.  
﴿دَرَجَةً﴾ في الكرامة. وقيل: الإنفاق. وقيل: كونُ الطلاق بيده.

[﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَأَنْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْمَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَٰبِتِ اللَّهِ هُزُوًا وَآذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرْضَوْنَ بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾].

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ﴾ بيان لعدد الطلاق الذي يُرتجع منه دون زوج آخر.

وقيل: بيان لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه، وهو طلاق السُّنَّة.

﴿فَإِمْسَاكُ﴾ ارتجاع. وهو مرفوع: بالابتداء، أو بالخبر.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حُسنِ المعاشرة، وتوفية الحقوق.

﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ هو تركها حتى تنقضي العدة، فتبين منه.

﴿بِإِحْسَنٍ﴾ المتعة.

وقيل: التسريح هنا: الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث

ضعيف<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/١٣٠).

وهو بعيد؛ لأنَّ قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تكرارًا، أو طلاقًا رابعة لا معنى لها.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾ الآية؛ نزلت بسبب ثابت بن قيس، اشتكت به امرأته إلى رسول الله ﷺ فقال لها: «أتردين عليه حديثه؟» قالت: نعم، فدعاه فطلقها على ذلك<sup>(١)</sup>.

وحكمها على العموم.

وهي خطاب للأزواج في حكم الفدية؛ وهي الخلع. وظهرها أنه: لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان ألا يقيما حدود الله، وذلك إذا ساء ما بينهما وقُبِحت معاشرتهما.

ثم إن المخالعة على أربعة أحوال:

الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة:

فأجازها مالك وغيره؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ الآية [النساء: ٤].

ومنعها قوم؛ لقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون الضرر منهما جميعًا:

فمنعه مالك في المشهور؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْضُوهُنَّ إِيَّاهُ بَعْضٌ مَّا ءَانِسُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/١٣٩).

وأجازه الشافعي؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

الثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصة:

فأجازه الجمهور؛ لظاهر هذه الآية.

والرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة:

فمنعه الجمهور؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾  
الآية [النساء: ٢٠].

وقد منع بعضهم الخلع مطلقاً؛ لقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية.

وأجازه أبو حنيفة مطلقاً، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكام والمتوسطين في هذا الأمر.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله:  
﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾.

﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ أجمعت الأمة على أن النكاح هنا هو العقد، مع  
الدخول والوطء؛ لقوله ﷺ للمطلقة ثلاثاً حين أرادت الرجوع إلى مطلقها  
قبل أن يمسه الزوج الآخر: «لا؛ حتى تذوقي عُسَيْلَتَهُ ويذوقَ عَسِيلَتِكَ»<sup>(١)</sup>.

وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يُحلُّها دون وطء، وهو قول  
مرفوض؛ لمخالفته للحديث، وخرقه للإجماع.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣).

وإنما يُحِلُّ<sup>(١)</sup> عند مالك إذا كان :

النكاح صحيحًا لا شبهة فيه .

والوطء مباحًا في غير حيض ، ولا إحرام ، ولا اعتكاف ، ولا صيام ،  
خلافًا لابن الماجشون في الوطء غير المباح .

وأما نكاح المحلل : فحرام ، ولا يُحِلُّ الزوجة لزوجها عند مالك ، خلافًا  
لأبي حنيفة .

والمعتبر في ذلك : نية المحلل ، لا نية المرأة ، ولا المحلل له .

وقال قوم : من نوى التحليل منهم أفسد .

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ يعني : هذا الزوج الثاني .

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ أي : على الزوجة والزوج الأول .

﴿ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أي : أوامره فيما يجب من حقوق الزوجية .

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ الآية ؛ خطابٌ للأزواج .

وهو نهى عن أن يطول الرجل العدة على المرأة ؛ مضارةً منه لها ، بأن  
يرتجع قرب انقضاء العدة ، ثم يطلق بعد ذلك .

ومعنى : ﴿ فَلَنْ أَجْلِهِنَّ ﴾ في هذا الموضع : قاربين انقضاء العدة ، وليس  
المراد : انقضاؤها ؛ لأنه ليس بيده إمساكٌ حينئذٍ .

ومعنى ﴿ فَأَنْسِكُوهُنَّ ﴾ : راجعوهن .

(١) في د : «تحل» .

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ هنا : قيل : هو الإشهاد . وقيل : النفقة .

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية ؛ هذه الأخرى خطابٌ للأولياء .

وبلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة .

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي : لا تمنعهن .

﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي : يراجعن الأزواج الذين طلقوهن .

قال السهيلي : نزلت في معقل بن يسار ، كان له أخت ، فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته ، فمنعها أخوها<sup>(١)</sup> .

وقيل : نزلت في جابر بن عبد الله ؛ وذلك أن رجلاً طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها ، ثم أراد ارتجاعها ، فمنعها جابر وقال : تركتها وأنت أملكُ بها ، لا زوّجتها أبداً ، فنزلت الآية .

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا : الصداق . وقيل : الإشهاد .

وهذه الآية تقتضي ثبوت حق الولي في إنكاح وليته ، خلافاً لأبي حنيفة .

﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ ، أو لكل أحد على حدّته ؛ ولذلك وُحِدَ ضمير الخطاب .

﴿ذَلِكَ أَرْكَى﴾ خطابٌ للمؤمنين ، والإشارة إلى ترك العضل .

ومعنى ﴿أَرْكَى﴾ : أطيبُ للنفس .

ومعنى ﴿وَأَظْهَرُ﴾ : للدين والعرض .

(١) انظر : التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، للسهيلي ، تحقيق : النقراط ، ص : ٦٩ .

[ ﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِيعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢٦﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢٧﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةٍ لِلنِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَقْرَبُوا عَهْدَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ ] .

﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ ﴾ خبر بمعنى الأمر .

★ وتقتضي الآية حكمين :

★ الأول : مَنْ يُرْضِعُ الْوَلَدَ :

مذهب<sup>(١)</sup> مالك : أن المرأة يجب عليها رضاع ولدها ما دامت في عصمة والده، إلا أن تكون شريفة لا يُرضع مثلها، فلا يلزمها ذلك .

وإن كان والده قد مات وليس للولد<sup>(٢)</sup> مال :

لزمها إرضاعه في المشهور .

(١) في د : « فمذهب » .

(٢) في د : « للابن » وكذا في هامش أ ورمز لها بـ « خ » .



وقيل : أجرة رضاعه على بيت المال .

وإن كانت مطلقةً بآثناً<sup>(١)</sup> : لم يلزمها رضاعه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُمْ أَجُورَهُمْ ﴾ [الطلاق : ٦] ، إِلَّا أَنْ تَشَاءَ هِيَ ؛ فهي أحقُّ به بأجرة المثل .

وإن<sup>(٢)</sup> لم يقبل غيرها : وجب<sup>(٣)</sup> عليها إرضاعه .

ومذهب الشافعي وأبي حنيفة : أنها لا يلزمها إرضاعه أصلاً ، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب .

وقال أبو ثور : يلزمها على الإطلاق ؛ لظاهر الآية ، فحملها على الوجوب .

وأما مالك : فحملها في موضع على الوجوب ، وفي موضع على الندب ، وفي موضع على التخيير ، حسبما ذكرنا<sup>(٤)</sup> من التقسيم في المذهب .

★ الحكم الثاني : مدة الرضاع :

وقد ذكرها في قوله : ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ وإنما وصفهما بكاملين ؛ لأنه يجوز أن يقال في حولٍ وبعضٍ آخر : حولان ، فرفع ذلك الاحتمال .

وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى : ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ .

(١) في د : « طلقه بآثنة » .

(٢) في ب ، ج ، هـ : « فإن » .

(٣) في ب ، ج ، هـ : « فيجب » .

(٤) في ب ، ج ، هـ : « ذكرنا » .

واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ الآية.

فإن لم يكن على الولد ضررٌ في الفطام فلا جناح عليهما .

ومن دعا منهما إلى تمام الحولين : فذلك له .

وأما بعد الحولين : فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له .

وقال ابن عباس : إنما يرضع حولين من مكث في البطن ستة أشهر ، فمن مكث سبعة فرضاعه : ثلاثة وعشرون شهراً ، وإن مكث تسعة فرضاعه : أحدٌ وعشرون ؛ لقوله تعالى : ﴿وَحَمْلُهُمْ وَفِصَالُهُمْ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحاف : ١٥] .

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان :

أحدهما : أنها أجرة رضاع الولد ، أوجبها الله للأم على الوالد ، وهو قول الزمخشري<sup>(١)</sup> وابن العربي<sup>(٢)</sup> .

والثاني : أنها نفقة الزوجات على الإطلاق ، قال منذر بن سعيد البلوطي : هذه الآية نصٌ في وجوب نفقة الرجل على زوجته ، وعلى هذا حملها ابن الفرس<sup>(٣)</sup> .

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا : أي : على قدر حال الزوج في ماله ، والزوجة في منصبها ، وقد بين ذلك بقوله : ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .

(١) انظر : الكشف (٣/ ٤١٦) .

(٢) انظر : أحكام القرآن ، لابن العربي (١/ ٢٠٣) .

(٣) انظر : أحكام القرآن ، لابن الفرس (١/ ٣٤٠) .

﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَهُ بِوَلَدِهِ﴾ قرئ:

بفتح الراء - لالتقاء الساكنين - ؛ على النهي .

وبرفعهما ؛ على الخبر ، ومعناه النهي .

ويحتمل على كل واحد من الوجهين :

أن يكون الفعل مسندًا إلى الفاعل ؛ ، فيكون ما قبل الآخر مكسورًا قبل الإدغام .

أو يكون مسندًا إلى المفعول ، فيكون مفتوحًا .

والمعنى على الوجهين : النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد .

ويدخل في عموم النهي : وجوه الضرر كلها .

والباء في قوله ﴿يُولَدُهَا﴾ و﴿يُولَدُهَا﴾ : سببية .

والمراد بقوله : ﴿مَوْلُودٌ لَهُ﴾ : الوالد ، وإنما ذكره بهذا اللفظ ؛ إعلامًا بأن الولد يُنسب له ، لا للأم .

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ اختلف في الوارث :

ف قيل : وارث المولود له .

وقيل : وارث الصبي لو مات .

وقيل : هو الصبي نفسه .

وقيل : مَنْ بَقِيَ مِنْ أَبِيهِ .

واختلف في المراد بقوله: ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾:

فقال مالك وأصحابه: عدم المضاربة، وذلك يجري مع كل قول في الوارث؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد.

وقيل: المراد: أجرة الرضاع في النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث:

فأما على القول بأن الوارث هو الصبي: فلا إشكال؛ لأن أجرة رضاعه في ماله.

وأما على سائر الأقوال:

فقيل: إن الآية منسوخة؛ فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد.

وقيل: إنها مُحْكَمَةٌ؛ فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات، أو على وارث الوالد، وهو قول قتادة والحسن البصري.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعُوَكُمْ﴾ إباحة لاتخاذ الطَّيْر.

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً أَيْنَيْتُمْ﴾ أي: دفعتم أجرة الرضاع.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية؛ عموم في كل متوفى عنها؛ سواء توفى زوجها قبل الدخول أو بعده. إلا الحامل؛ فعِدَّتُها وضِعُّ حملها؛ سواء وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء.

وقال علي بن أبي طالب: عِدَّتُها أبعدُ الأجلين.

وخصَّ مالك من ذلك: الأمة؛ فعِدَّتُها في الوفاة: شهران وخمسة ليالٍ.

﴿يَرْبِضَنَّ﴾ معناه: عن التزوُّج.

وقيل: وعن<sup>(١)</sup> الزَّيْنَةُ؛ فيكون أمراً بالإحْدَاد.

وإعراب ﴿وَالَّذِينَ﴾: مبتدأ، وخبره: ﴿يَرْبِضَنَّ﴾ على تقدير: أزواجهم يتربضن.

وقيل: التقدير: وأزواج الذين يتوفون منكم يتربضن.

وقال الكوفيون: الخبر عن ﴿وَالَّذِينَ﴾ متروك، والقصد: الإخبار عن أزواجهم.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزوج والزينة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٢)</sup> هنا: إذا كان غير منكر.

وقيل: معناه الإشهاد.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾ الآية؛ إباحةٌ للتعريض بخطبة المرأة المعتدة.

ويقتضي ذلك: النهي عن التصريح.

ثم أباح ما يُضْمَرُ في النفس بقوله: ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.

﴿سَتَذْكُرُهُنَّ﴾ أي: تذكرونهن<sup>(٣)</sup> في نفوسكم، وبألسنتكم لمن يخفُّ عليكم.

(١) في د: «عن» بلا واو.

(٢) في ب، د، هـ: «فالمعروف».

(٣) في ب، ج، هـ: «تذكروهن».

وقيل : أي ستخطبونهنَّ إن لم تُنْهَوْا<sup>(١)</sup> عن ذلك .

﴿لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي : لا تواعدوهنَّ في العِدَّة خُفِيَّةً بأن تتزوجوهنَّ بعد العدة .

وقال مالك فيمن يَعِدُ<sup>(٢)</sup> في العِدَّة ثم يتزوج بعدها : فراقها أحب إليَّ ، ثم يكون خاطبًا من الخُطَّاب .

وقال ابن القاسم : يجب فراقها .

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ استثناء منقطع .

والقول المعروف : هو ما أُبِيح من التَّعْرِيض ؛ كقوله : «إنكم لأَكْفَاءُ كرام» ، وقوله : «إن الله سيفعل معك خيرًا» ، وشبه ذلك .

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ الآية ؛ نهْيٌ عن عقد النكاح قبل تمام العدة .

و﴿الْكِتَابُ﴾ هنا : القدر الذي شُرِع من المدة .

وَمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فِي عِدَّتِهَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا اتِّفَاقًا .

فإن دخل بها حرِّمَتْ عليه على التَّأْيِيد عند مالك ، خلافاً للشافعي وأبي حنيفة .

واختلف عن مالك في تأييد التحريم إذا لم يدخل بها ، أو إذا دخل ولم يَطَّأها .

(١) في ج ، د : «تنتهوا» .

(٢) في د : «يواعد» .

[لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣١﴾ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٢﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَمَّا طَلَقْتُمْ مَتَّعَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمَتَّقِينَ ﴿٢٣٥﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٣٦﴾] .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية ؛ قيل : إنها إباحة للطلاق قبل الدخول .

لَمَّا نُهِيَ عَنِ التَّرْجُوحِ بِمَعْنَى الذَّوْقِ ، وَأُمِرَ بِالتَّرْجُوحِ طَلَبَ الْعَصْمَةِ وَدَوَامِ الصَّحْبَةِ : ظَنَّ قَوْمٌ أَنَّ مَنْ طَلَّقَ قَبْلَ الْبِنَاءِ وَقَعَ فِي الْمَنْهِيِّ عَنْهُ ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ رَافِعَةً لِلْجُنَاحِ فِي ذَلِكَ .

وقيل : إنها في بيان ما يلزم من الصَّدَاقِ وَالْمُتْعَةِ فِي الطَّلَاقِ قَبْلَ الدَّخُولِ .  
وذلك أَنَّ مَنْ طَلَّقَ قَبْلَ الدَّخُولِ :

فإن كان لم يَقْرِضْ لَهَا صَدَاقًا - وذلك في نِكَاحِ التَّقْوِيضِ - : فلا شيء عليه من الصَّدَاقِ ؛ لقوله : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية ، فالمعنى : لا طَلَبَ عَلَيْكُمْ بَشْيءٍ مِنَ الصَّدَاقِ .

ويؤمر بالمتعة ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ .

وإن كان قد فرض لها : فعليه نصف الصداق ؛ لقوله تعالى : ﴿فَنَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ .

ولا مُتعة عليه ؛ لأن المتعة إنما ذُكرت لمن لم يفرض لها ؛ فقوله : ﴿أَوْ تَفَرِّضُوا﴾ «أو» فيه بمعنى الواو .

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي : أحسنوا إليهن ، وأعطوهن شيئاً عند الطلاق .

والأمر بالمتعة مندوبٌ عند مالك ، واجبٌ عند الشافعي .

﴿عَلَى الْوُسْعِ قَدْرُهُ﴾ أي : يُمتَّع كل واحد على قدر ما يجد .

و﴿الْوُسْعِ﴾ : الغني ، و﴿الْمُقْتَرِ﴾ : الضيق الحال .

وقرى بإسكان دال ﴿قَدْرُهُ﴾ وفتحها ؛ وهما بمعنى .

و﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا : أي : لا حَمْل فيه ، ولا تَكْلُف على أحد الجانبين .

﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله : ﴿حَقًّا﴾ .

وتعلق مالك في الندب بقوله : ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ؛ لأن الإحسان تطوعٌ بما لا يلزم .

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ الآية ؛ بيان أن المطلقة قبل الدخول

لها نصف الصداق إذا كان قد فرض لها صداقٌ مسمًى ، بخلاف نكاح التفويض .

﴿إِلَّا أَنْ يَفْقُوتَ﴾ النون فيه : نون جماعة النسوة ؛ يريد : المطلقات .



والعفو هنا : بمعنى الإسقاط .

أي : للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق ، إلا أن يُسقطنه ، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها .

﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ﴾ قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الولي الذي تكون المرأة في حجره ، كالأب في ابنته المحجورة ، والسيد في أمته ، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب له بالطلاق قبل الدخول .

وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء .

وقال علي بن أبي طالب والشافعي : ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ﴾ هو الزوج .

وعفوه : أن يعطي النصف الذي سقط عنه من الصداق .

ولا يجوز عندهم أن يسقط الأب النصف الواجب لبنته .

وحجة مالك : أن قوله : ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ﴾ في الحال ؛ والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقد نكاح .

وحجة الشافعي : قوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضل ، وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى ؛ لأنه إسقاط<sup>(١)</sup> حق الغير .

﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل : إنه يعني إسقاط المرأة نصف صداقها ، أو دفع الرجل النصف الساقط عنه .

(١) في ج ، د : «أسقط» .

واللفظ أعمُّ من ذلك .

﴿وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى﴾ جَرَّد ذكرها بعد دخولها في ﴿الصَّلَاةِ﴾ ؛ اعتناءً بها .

وهي :

الصبح عند مالك وأهل المدينة .

والعصر عند عليّ بن أبي طالب ؛ لقوله ﷺ : «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»<sup>(١)</sup> .

وقيل : هي الظهر .

وقيل : المغرب .

وقيل : العشاء الآخرة .

وقيل : الجمعة .

وسُمِّيت وسطى :

لتوسطها في عدد الركعات ، على القول بأنها المغرب ؛ لأنها بين الركعتين والأربع .

أو لتوسط وقتها :

على القول بأنها الصبح ؛ لأنها متوسطة بين الليل والنهار .

وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة ؛ لأنها في وسط النهار .

(١) أخرجه مسلم (٦٢٨) .

أو لفضلها ؛ من الوسط ؛ وهو الخيار ، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها .

﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ معناه : في صلاتكم .

﴿ قَنِيتَيْنِ ﴾ هنا : ساكتين ؛ وكانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت .

قاله ابن مسعود ، وزيد بن أرقم .

وقيل : خاشعين .

وقيل هنا : طول القيام .

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ من عدو ، أو سَبْعٍ ، أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس .

﴿ فِرَاجًا ﴾ جمع راجل ؛ أي : على رجله .

﴿ أَوْ رُكْبَانًا ﴾ جمع راكب .

أي : صلوا كيفما كنتم من ركوب أو غيره ، وذلك في صلاة المُسَايَفة .

ولا يُنْقَصُ فيها من ركعتين في السفر ، وأربع في الحضر عند مالك .

﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ الآية ؛ قيل : المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي عَلِمْتُمُوهَا ؛ وهي التامة .

وقيل : إذا أمنتُم فاذكروا الله كما عَلَّمَكُم هذه الصلاة التي تُجْزِيْكُمْ في حال الخوف .

فالذكر :

على القول الأوّل : بمعنى الصلاة .

وعلى الثاني: بمعنى الشكر.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ هذه الآية

منسوخة.

ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنة، وتنفق عليها من ماله، وذلك وصية لها.

ثم نُسِخَ إقامتها سنة: بالأربعة الأشهر والعشر.

ونُسِخت النفقة: بالربع أو الثمن الذي لها في الميراث؛ حسبما ذكر في سورة «النساء».

وإعراب ﴿وَصِيَّةً﴾: مبتدأ، وخبره:

﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾.

أو مضمّر تقديره: فعليهم وصية.

وقرئت بالنصب: على المصدر؛ تقديره: ليوصوا وصية.

و﴿مَتَّعًا﴾: نُصِبَ على المصدر.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: ليس لأولياء الميت إخراج المرأة.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ معناه: إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد

فيما فعلت في نفسها من تزويج وزينة.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ﴾ عامٌ في إمتاع كل مطلقة؛ وبعمومه أخذ أبو ثور.

واستثنى الجمهور: المطلقة قبل الدخول، وقد فُرض لها؛ بالآية المتقدمة.

واستثنى مالك: المختلعة والملاينة.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يدلُّ على وجوب المتعة؛ وهي الإحسان للمطلقات؛ لأن التقوى واجبة.

ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكدة للمتعة؛ لأنه نزل قبلها: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع، فنزلت: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.



[﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخَذَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾] وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٦﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْضِي وَبِطَضٍّ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٦٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْنُتْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٩﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٠﴾].

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ رؤية قلب.

﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ وهم قوم من بني إسرائيل، أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارًا من ذلك، فأماهم الله؛ ليعرفهم أنهم لا ينجيهم من الموت شيء.

وقيل: بل فرّوا من الطاعون.

﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ جمع ألف؛ قيل: ثمانون ألفًا. وقيل: ثلاثون ألفًا. وقيل:

ثمانية آلاف.

وقيل: هو من الألفة؛ وهذا ضعيف.

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ عبارة عن إماتتهم.

وقيل: إن ملكين صاحبا بهم: «موتوا!»، فماتوا.

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم.

﴿وَقَتَّلُوا﴾ خطاب لهذه الأمة.

وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ استفهام يراد به: الطلب، والحض على الإنفاق.

وذكر لفظ القرض؛ تقريباً للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب، كما ينتظر المسلف رد ما أسلف.

وروي: أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره.

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: خالصاً طيباً من حلال، من غير من ولا أذى.

﴿فِيضْعُفَهُ﴾ قرئ:

بالتشديد والتخفيف.

وبالرفع: على الاستئناف، أو عطفاً على ﴿يُقْرِضُ﴾.

وبالنصب: في جواب الاستفهام.

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ عشرة فما فوقها إلى سبع مئة.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ﴾ إخبار يراد به: الترغيب في الإنفاق.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ﴾ رؤية قلب، وكانوا قومًا نالتهم الذلة من أعدائهم، فطلبوا الإذن في القتال، فلما أمروا به كرهوه.

﴿لَنَبِيِّ لَهُمْ﴾ قيل: اسمه شمويل<sup>(١)</sup>. وقيل: شمعون.

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: قاربتم، وأراد النبي المذكور أن يتوثق منهم.

ويجوز في السين من ﴿عَسَيْتُمْ﴾: الكسر، والفتح؛ وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر.

وأما إذ لم يتصل بـ «عسى» ضمير: فلا يجوز فيها إلا الفتح.

﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن منبه: أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فشئ الدهن<sup>(٢)</sup> الذي في القرن<sup>(٣)</sup>: فهو ملكهم.

وقال السدي: أرسل الله إلى نبيهم عصا، وقال له: إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم؛ فكان ذلك طالوت.

﴿وَتَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي أنه كان دباغا، ولم يكن من بيت المملك.

والواو في قوله: ﴿وَتَحْنُ﴾ واو الحال.

(١) في أ، ب، د: «سمويل».

(٢) نش الماء والدهن وغيرهما يئش نشا ونشيشا: صوّت عند الغليان. انظر: لسان العرب (٢٤٤/٨).

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على تفسير الطبري (٣٠٧/٥): «القرن: قرن الثور وغيره، وكأنه أراد هنا: القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها، وقد سماها المحجمة التي يحتجم بها «قرنا» ولم أجد هذا الحرف بهذا المعنى في كتب اللغة، ولكنه صحيح كما رأيت».



والواو في قوله: ﴿وَلَمْ يُوْتِ﴾ : لعطف الجملة على الأخرى.

﴿بَسَطَ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ كان عالماً بالعلوم، وقيل: بالحروب.  
وكان أطول رجل<sup>(١)</sup> يصل إلى منكبيه.

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ردّ عليهم في اعتقادهم أن الملك  
يُستحقّ بالبيت أو المال.

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع،  
فجعله يوشع في البرية، فبعث الله ملائكة حملته حتى جعلته<sup>(٢)</sup> في دار  
طالوت.

وفيه قصص كثير غير ثابت.

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل: ريح لها رأسٌ ووجه كوجه الإنسان.

وقيل: طستٌ من ذهب تُغسل فيه قلوبُ الأنبياء.

وقيل: رحمة.

وقيل: وقار.

﴿وَقِيَّةٌ﴾ ابنُ عباس: هي عصا موسى ورُضاض الألواح<sup>(٣)</sup>.

وقيل: العصا والنعلان.

(١) في د: «الناس».

(٢) في ج، د، هـ: «جعلوه».

(٣) رُضاض الشيء: كُسارُه أي: ما تكسّر منه، وقطعه، وفُتّأته، ورضض الشيء رَضًا: كسره  
فصار قطعًا. انظر: لسان العرب (١٤/٩).

وقيل : ألواح من التوراة.

﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ﴾ يعني : أقاربهما.

وقال الزمخشري : يعني الأنبياء من بني إسرائيل<sup>(١)</sup>.

ويحتمل أن يريد موسى وهارون ، وأقحم الآل.

❦ ❦ ❦

---

(١) الكشاف (٣/٤٦٤).

[﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ فَلَمَّا بَلَغَ الْفَيْلَةَ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢٤﴾ وَلَمَّا بَرَرُوا لِحَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّنَا آفِئْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٥﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَأِذِنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٧﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾].

﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي: خرج من موضعه إلى الجهاد.

﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل: هو نهر فلسطين.

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآية؛ اختبار طاعتهم بمنعهم من الشرب.

﴿إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ رخص لهم في الغرفة باليد.

وقرئ: بفتح الغين؛ وهو المصدر، وبضمها؛ وهو الاسم.

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل: كانوا ثمانين ألفاً، فشربوا منه كلهم

إلا ثلاث مئة وبضعة عشر، عدد أصحاب بدر، فأمّا من شرب فاشتدّ عليه

العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطش.

﴿يَجَالُوتَ وَجُنُودُهُ﴾ كان كافراً عدواً لهم، وهو ملك العمالقة.

ويقال: إن البربر من ذريته.

﴿يُظَنُّونَ﴾ أي: يوقنون؛ وهم أهل البصائر من أصحابه.

﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت، فقتل جالوت،

فأعطاه الله ملك بني إسرائيل.

وفي ذلك قصص كثير غير صحيح.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا: النبوة، أو الزبور.

﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ صنعة الدروع، ومنطق الطير، وغير ذلك.

﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ﴾ الآية؛ منة على العباد بدفع بعضهم ببعض.

وقرئ: ﴿دِفَاعُ﴾ بالألف، و﴿دَفْعُ﴾ بغير ألف؛ والمعنى متفق.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الإشارة إلى جماعتهم.

﴿فَضَّلْنَا﴾ نص في التفضيل في الجملة، من غير تعيين مفضل؛ كقوله

ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء»<sup>(١)</sup>، و«لا تفضلوني على يونس بن متى»<sup>(٢)</sup>،

فإن معناه: النهي عن تعيين المفضل؛ لأنه تنقيص له، وذلك غيبة ممنوعة.

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤).

(٢) هذا اللفظ حكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه «نقل باطل»، انظر: مجموع الفتاوى

(٢/ ٢٢٤). والثابت قوله ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»

أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٦).

وقد صرّح ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيد ولد آدم»<sup>(١)</sup> لا بفضله على واحد بعينه؛ فلا تعارض بين الحديثين.

﴿مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ﴾ موسى عليه السلام.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ قيل: هو محمد ﷺ؛ لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة.

وقيل: هو إدريس؛ لقوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ [مريم: ٥٧]؛ فالرفعة على هذا: في المسافة.

وقيل: هو مطلق في كل من فضله الله منهم.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الأنبياء، والمعنى: بعد كل نبي، لا بعد الجميع.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا﴾ كرّره تأكيداً، و<sup>(٢)</sup> ليبيّن عليه ما بعده.

~~~~~

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٢٢٧٨) واللفظ له.

(٢) في ب، د: «أو».

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ ۚ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١٣٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣٧﴾].

﴿أَنفِقُوا﴾ يعمُّ الزكاة والتطوع.

﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ أي: لا يتصرف أحدٌ في ماله، والمراد^(١): لا تقدرُونَ فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا.

ويدخل فيه: نفى الفدية؛ لأنها شراء الإنسان نفسه.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أي: مودة نافعة؛ لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه.

﴿وَلَا شَفْعَةٌ﴾ أي: ليس في يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله؛ فهي في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه، وكرامة للشافع، ليس فيها تحكُّم على الله.

وعلى هذا يُحمَل ما ورد من نفى الشفاعة في القرآن؛ أعني: أنها لا تقع إلا بإذن الله؛ فلا تعارض بينه وبين إثباتها.

(١) في ب، د: «والمعنى».

وحيثما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة، والتخويف بها: نُفِيت الشفاعة على الإطلاق؛ مبالغة في التهويل.

وحيثما كان سياق الكلام تعظيم الله: نُفِيت الشفاعة إلا بإذنه.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال هكذا، ولم يقل: «الظالمون هم الكافرون»^(١).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هذه آية الكرسي، وهي أعظم آية في القرآن حسبما ورد في الحديث^(٢)، وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح وفي غيره.

﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية.

والفرق بين السَّنة والنوم: أن السنة هي ابتداء النوم، لا نفسه؛ كقول القائل:

..... في عينه سِنَّةٌ وليس بنائم^(٣)

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ استفهام يراد به نفى الشفاعة إلا بإذن الله، فهي في الحقيقة راجعة إليه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران عائدان على مَنْ يعقل؛ ممَّنْ تضمَّنَه قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٦/٤).

(٢) تقدم تخريجه في صفحة .

(٣) هذا عجز بيت لعدي بن الرقاع العاملي، في ديوانه (ص: ١٢٢)، وصدره: «وَسَنَانُ أَفْضَدُ النَّعَاسُ فَرَنْقَتْ»، وهو ضمن قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك.

والمعنى: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم.

وقال مجاهد: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الآخرة.

﴿مَنْ عَلَيْهِ﴾ من معلوماته؛ أي: لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه^(١).

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسي: مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السموات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء.

وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمه.

وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: ملكه.

﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾ أي: لا يثقله، ولا يشق عليه.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ المعنى: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿مَنْ عَلَيْهِ﴾ من معلوماته إلخ؛ أقول: اقتصر

المؤلف رحمه الله على أحد القولين، وهو أن المراد بعلمه معلوماته سبحانه، وجعل المنفي عن العباد هو علمهم بمعلومات الرب، والمنفي في الآية هو الإحاطة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، والإحاطة أخص من مطلق العلم، ولكن كل منهما منتف عن العباد، فلا يعلم العباد إلا ما علمهم الله، ولا يحيطون بشيء علما إلا بما شاء سبحانه، وفي الآية قول آخر، وهو أن المراد بالعلم هو المتعلق بذاته سبحانه وأسمائه وصفاته، فعلى هذا يكون المراد من العلم العلم الإلهي، وهذا القول هو الراجح، وذلك لأمرين:

١- لأن قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، ورد في أثناء آية الكرسي، التي هي أعظم آية في كتاب الله؛ لأنها اشتملت على جماع أسماء الله وصفاته.

٢- أن لهذا القول شاهدا من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾

البراهين على صحته، بحيث لا يحتاج أن يُكره أحدٌ على الدخول فيه، بل يدخل فيه كلُّ ذي عقلٍ سليم من تلقاء نفسه، دون إكراه؛ ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: قد تبين أن الإسلام رشدٌ، وأن الكفر غيٌّ؛ فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه.

وقيل: معناها المواءمة، وأن لا يُكره أحدٌ بقتالٍ على الدخول في الإسلام؛ ثم نُسِخت بالقتال، وهذا ضعيف؛ لأنها مدنية، وإنما آيات المسالمة وترك القتال بمكة.

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ العروة في الأجرام هي: موضع الإمساك وشدة الأيدي. وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيمان.

﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسار لها، ولا انفصال.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

﴿أَوَّلِيَائِهِمُ الظُّلُمَاتُ﴾ جميع الطاغوت هنا، وأُفرد في غير هذا الموضع؛ فكانه اسم جنس لما عُبد من دون الله، ولمن يُضِلُّ الناس من الشياطين وبني آدم^(١).

(١) المقصود: أنه جمع الفعل المسند إلى ﴿الظُّلُمَاتُ﴾ وهو ﴿أَوَّلِيَائِهِمُ﴾ مع أن لفظ ﴿الظُّلُمَاتُ﴾ مفرد؛ فكان مقتضى ذلك أن يقول: «ولِيَّهِمْ»، وأجاب عن هذا بأن المراد به الجنس، فُروعي فيهم معنى الجمع، وقوله: «وأُفرد في غير هذا الموضع» كما في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتِمَّاكُمْ إِلَى الظُّلُمَاتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] فأعاد عليه ضمير المفرد ﴿بِهِ﴾ ولم يقل: «بها»؛ لأنه روعي فيه لفظ ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ وهو مفرد. انظر: الكشاف (٤٥/٥)، (٧٢٥/٩).

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ
الَّذِي يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخَيِّئُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ
الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٦﴾ أَوْ
كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُخَيِّئُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ
اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ
عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طُعَامِكِ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً
لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ
لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُخَيِّئُ
الْمَوْتِ قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ
إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾].

﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو نمرود^(١) الملك.

وكان يدعي الربوبية؛ فقال لإبراهيم: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ﴾.

فقال نمرود: ﴿أَنَا أُخَيِّئُ وَأُمِيتُ﴾، وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال: قد أحييت هذا وأميت هذا.

(١) هذه الكلمة هنا وفي الموضعين الآتين وردت في ب، ج، د كذا: «نمرود» بالذال المهملة، وهما وجهان في الكلمة، بالذال المعجمة والمهملة، قال الإمام ثعلب: «ونمرود بالذال، وأهل البصرة يقولون: نمرود بالذال» مجالس ثعلب (١/ ١٨١)، وبعض اللغويين يرى أنه بالمعجمة لا غير. وانظر: تاج العروس (٩/ ٢٤٠).

فقال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾
﴿فَبُهِتَ﴾ أي: انقطع، وقامت عليه الحجة.

فإن قيل: لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثاني،
والانتقال علامة الانقطاع؟

فالجواب: أنه لم ينقطع، ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء
والإماتة: كان له حقيقة - وهو فعل الله -، ومجاز - وهو فعل غيره -،
فتعلق نمرود بالمجاز؛ غلطاً منه أو مغالطة، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى
الدليل الثاني؛ لأنه لا مجاز له، ولا يمكن الكافر عدولاً عنه^(١).

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ تقديره: «أو رأيت مثل الذي»، فحذف؛ لدلالة
﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه؛ لأن كليهما كلمة تعجيب.

ويجوز أن يحمل على المعنى؛ كأنه قيل: رأيت كالذي حاج إبراهيم،
أو كالذي مر على قرية.
وهذا المار:

قيل: إنه عزيز. وقيل: الخضر؛ فقله: ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ ليس إنكاراً
للبعث، ولا استبعاداً، ولكنه:

استعظاماً لقدرة الذي يحيي الموتى.

أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته، لا شك في وقوعه؛ وذلك مقتضى
كلمة ﴿أَنِّي﴾، فأراه الله ذلك عياناً؛ ليزداد بصيرة.

(١) انظر: الكشاف (٣/٥٠٠).

وقيل: بل كان كافراً، وقالها إنكاراً للبعث، واستبعاداً، فأراه الله الحياة بعد الموت في نفسه، وذلك أعظم برهان.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: خالية من الناس.

وقال السُّدِّي: سقطت سُقْفُهَا - وهي العروش -، ثم سقطت الحيطان على السَّقْف.

﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ ظاهر هذا اللفظ: إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب.

ولكن المعنى: إحياء أهلها بعد موتهم؛ لأن ذلك هو الذي يمكن فيه الشك أو الإنكار؛ ولذلك أراه الله الحياة بعد موته.

والقرية كانت بيت المقدس، لما خربته بُحْتُ نَصْر^(١).

وقيل: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف.

﴿كَمْ لَبِثْتُ﴾ سؤال على جهة التقرير.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقل مدة موته، قيل: أمانته الله غُدْوَة يوم، ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مئة عام، فظن أنه يوم واحد، ثم رأى بَقِيَّةَ من الشمس فخاف أن يكذب في قوله: ﴿يَوْمًا﴾ فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

﴿فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ قيل: إن طعامه كان تيناً وعنباً، وإن

(١) في لسان العرب (٦٨/٧): «قال الأصمعي: إنما هو بُوخْتَنَصْر، فأعرب، وبُوخْتُ: ابن، ونَصْر: صنم، وكان وجد عند الصنم ولم يعرف له أب، ف قيل هو ابن الصنم».

شرا به كان عصيرًا، أو^(١) لبنا.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه: لم يتغير، بل بقي على حاله طول مئة عام، وذلك أعجوبة إلهية.

واللفظ يحتمل أن يكون مشتقًا من السَّنة؛ لأن لامها هاء.

فتكون الهاء في ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ أصلية؛ أي: لم تغيره السُّنُون.

ويحتمل أن يكون مشتقًا من قولك: تسَنَّ الشيء؛ إذا فسَد؛ ومنه: «الحمأ المسنون»، ثم قلبت النون حرف علة؛ كقولهم: «قَصِيْتُ أظفاري»، ثم حذف حرف العلة؛ للجزم.

والهاء على هذا: هاء السَّكْت.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى جِمَارِكَ﴾ قيل: بقي حماره حيًّا طول المئة عام، دون علفٍ ولا ماء.

وقيل: مات، ثم أحياه الله وهو ينظر إليه.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ التقدير: فَعَلْنَا بِكَ هَذَا؛ لتكون آية للناس.

وروي: أنه قام شابًّا على حالته يوم مات، فوجد أولاده وأولادهم شيوخًا.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ هي عظام نفسه.

وقيل: عظام الحمار؛ على القول بأنه مات.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (٣/٥٠٧).

﴿نُشِرُهَا﴾ - بالراء - : نُحْيِيهَا .

وقرئ بالزاي ؛ ومعناه : نرفعها للإحياء .

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع وضَمِّ الميم ؛ أي : قال الرجل ذلك اعترافاً .

وقرئ : بألف وصل ، والجزم ؛ على الأمر ؛ أي : قال له الملك ذلك .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الآية ؛ قال الجمهور : لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى ، وإنما طلب المعاينة ؛ لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيتان ، فسأل ذلك السؤال ؛ ويدلُّ على ذلك قوله : ﴿كَيْفَ﴾ ؛ فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته ، لا عن وقوعه .

﴿وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي : بالمعاينة .

﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قيل : هي الديك والطاوس والحمام والغراب ، فقطَّعها ، وخلط أجزاءها ، ثم جعل من المجموع جزءاً على كل جبل ، وأمسك رؤوسها بيده ، ثم قال : تعالَيْنَّ يا ذن الله ، فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمَّتْ ، وبقيت بلا رؤوس ، ثم كرَّر النداء ، فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها ، وطارت يا ذن الله .

﴿فَصُرُّهُنَّ﴾ أي : ضُمَّهُنَّ . وقيل : قطَّعهن .

﴿عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ قيل : أربعة جبال . وقيل : سبعة . وقيل : الجبال التي وصل إليها حينئذٍ من غير حصرٍ بعددٍ .

[مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٢﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿١٦٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِغْفِيرٌ فَإِنْ لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ^(١) وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٥﴾ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ تَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفُهُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٦﴾].

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ظاهره: الجهاد.

وقد يُحْمَلُ عَلَى جَمِيعِ وَجُوهِ الْبَرِّ.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كُلُّ مَا يُزْدَرَعُ^(١) وَيُقْتَات، وأشهره: القمح.

وفي الكلام حذف؛ تقديره: مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة.

أو يَقْدَرُ فِي آخِرِ^(٢) الكلام: كمثل صاحب حبة.

(١) في ب: «يزرع» وهما بمعنى واحد. انظر: القاموس المحيط مادة (زرع).

(٢) في ب، ج: «أجزاء».

﴿أُثْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ بيان أن الحسنة بسبع مئة؛ كما جاء في الحديث: أن رجلاً جاء بناقة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة»^(١).

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يزيده على سبع مئة.

وقيل: هو تأكيد وبيان للسبع مئة.

والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في عثمان. وقيل: في علي. وقيل: في عبد الرحمن بن عوف.

﴿مِنَّا وَلَا أَذَى﴾ المن: ذكر النعمة على معنى التعدد لها والتفريع بها. والأذى: السب.

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ هو رد السائل بجميل من القول؛ كالدعاء له، والتأنيس. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: عفو عن السائل إذا وُجد منه جفاء. وقيل: مغفرة من الله بسبب الرد الجميل.

والمعنى: تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة: على العطاء الذي يتبعه أذى.

﴿لَا تُبْطَلُوا صَدَقَتَكُمْ﴾ عقيدة أهل السنة: أن السيئات لا تبطل الحسنات؛ فقالوا في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمين أو يؤذي لا تقبل منه.

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

وقيل : إِنَّ الْمَنَّ وَالْأَذَى دَلِيلٌ عَلَى أَنْ نَبَّهَ لَمْ تَكُنْ خَالِصَةً ؛ فَلِذَلِكَ بَطَلَتْ صِدْقَتُهُ .

﴿ كَالَّذِي يُنْفِقُ ﴾ تمثيلٌ لمن يُمْنُ ويؤذي بالذي ينفق رياءً وهو غير مؤمن .
﴿ فَمَثَلُهُ ﴾ أي : مثل المرائي في نفقته : كحجرٍ عليه تراب ، فيظنه من يراه أرضاً مُنْبَتَةً طَيِّبَةً ، فإذا نزل عليه المطرُ انكشف التراب ، فبقيَ الحجر لا منفعةَ فيه .

فكذلك المرائي ؛ يظنُّ أن له أجرًا ، فإذا كان يومُ القيامة انكشف سرُّه ولم تنفعه نفقته .

﴿ صَفْوَانٍ ﴾ حجرٌ كبير .

﴿ وَابِلٌ ﴾ مطرٌ كثير .

﴿ صَكَدًا ﴾ أملس .

﴿ لَا يَقْدِرُونَ ﴾ أي : لا يقدرُونَ على الانتفاع بثواب شيءٍ من إنفاقهم ؛ وهو كسبهم .

﴿ وَتَثْبِيَتًا ﴾ أي : تيقنًا وتحقيقًا للثواب ؛ لأن أنفسهم لها بصائرٌ تحملهم على الإنفاق .

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى التَّثْبِيَتِ : أَنَّهُمْ يَثْبِتُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ ؛ بِاحْتِمَالِ الْمَشَقَّةِ فِي بَذْلِ الْمَالِ .

وَانْتِصَابُ ﴿ ابْتِغَاءً ﴾ : عَلَى الْمَصْدَرِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَعُطِفَ عَلَيْهِ ﴿ وَتَثْبِيَتًا ﴾ .

ولا يصحّ في ﴿وَتَنبِئُكَ﴾ أن يكون مفعولاً من أجله ؛ لأن الإنفاق ليس من أجل الثبوت ؛ فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ﴿أَبْنَاءَ﴾ .

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ تقديره : كمثّل صاحب جنّة .

أو يقدر أولاً : مثل نفقة الذين ينفقون .

﴿بِرُبُوعَةٍ﴾ لأنّ ارتفاع موضع الجنة أطيّب ؛ لثريتها وهوائها .

﴿فَطَلَّ﴾ المطر الرقيق الخفيف ؛ والمعنى : أنه يكفي هذه الجنة ؛ لكرم أرضها .

﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ﴾ الآية ؛ مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً ، حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء .

أو مثل للكافر ، أو المنافق ، أو المرائي المتقدم ذكره آنفاً ، أو ذي المن والأذى ؛ فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله ، فإذا كان وقت حاجته إليه لم يجد شيئاً .

فشبههم الله بمن كانت له جنة ، ثم أصابها الجائحة المهلكة أحوج ما كان إليها ؛ لشيخوخته ، وضعف ذريته .

فالواو في قوله : ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ : للحال .

﴿إِعْصَارٌ﴾ أي : ريح فيها سموم محرقة .

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٣٠﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾].

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الطيبات هنا عند الجمهور: الجيد غير الرديء.

فقيل: إِنَّ ذَلِكَ فِي الزَّكَاةِ؛ فَيَكُونُ وَاجِبًا.

وقيل: فِي التَّطَوُّعِ؛ فَيَكُونُ مَنذُوبًا، لَا وَاجِبًا؛ لِأَنَّهُ كَمَا يَجُوزُ التَّطَوُّعُ بِالْقَلِيلِ يَجُوزُ بِالرَّدِيِّءِ.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ والنبات، والمعادن، وغير ذلك.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي: لَا تَقْصِدُوا الرَّدِيءَ.

﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

﴿وَلَسْتُمْ بِبَاقِيِهِ﴾ الواو للحال.

والمعنى : أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم ، إلا بأن تتسامحوا في أخذه^(١).

﴿ثُمَّ مَضُوا﴾ من قولك : أغمض فلان عن بعض حقه : إذا لم يستوفه ، أو إذا غَضَّ بصره .

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ الآية ؛ دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر ، ففي ضمن ذلك حَضُّ على الإنفاق .

ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء ؛ وهي : المعاصي .

وقيل : الفحشاء : البخل ؛ والفاحش عند العرب : البخل .

قال ابن عباس : في الآية اثنتان من الشيطان ، واثنان من الله .

والفضل : هو الرزق والتوسعة .

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قيل : هي المعرفة بالقرآن . وقيل : النبوة . وقيل : الإصابة في القول والعمل .

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ الآية ؛ ذكر نوعين وهما :

ما يفعله الإنسان تبرعاً .

وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر .

وفي قوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ﴾ وعدٌ بالشواب .

(١) في ب ، ج ، هـ : «تسامحوا فيه» .

وفي قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ وعيد لمن يمنع الزكاة، أو ينفق^(١) لغير الله.

﴿إِنْ بُدُّوا الصَّدَقَاتِ﴾ هي التطوع عند الجمهور؛ لأنها يحسن إخفاؤها، وإبداء الواجبة؛ كالصلوات.

﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾ ثناء على الإظهار، ثم حكّم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء.

و«ما» من «نِعْمًا»: في موضع نصب، تفسير للمضمر؛ والتقدير: فنعم شيئًا إبداءها.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ قيل: إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة؛ فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام، وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلاً.

فالضمير في ﴿هُدَاهُمْ﴾ على هذا القول: للكافر.

وقيل: ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق، وترك المن والأذى والرياء والإنفاق من الخيث، إنما عليك أن تبلغهم، والهدى بيد الله.

فالضمير على هذا: للمسلمين.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: إن منفعته لكم كقوله^(٢): ﴿مَنْ عَمِلَ

(١) في زيادة: «ماله».

(٢) في د: «لقوله».

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ. [فصلت: ٤٦].

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قيل: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله؛ ففيه تزكية لهم، وشهادة بفضلهم. وقيل: ما تنفقون نفقةً تُقبل منكم، إلا ابتغاء وجه الله؛ ففي ذلك حصٌّ على الإخلاص.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ تقديره: الإنفاق للفقراء؛ وهم هنا: المهاجرون.

﴿أُخْصِرُوا﴾ حُيسوا بالعدو، أو بالمرض.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل: الجهاد، أو الدخول في الإسلام.

﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ هو التصرف في التجارة وغيرها.

﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾ أي: يظنُّ الجاهل بحالهم أنهم أغنياء؛ لقلة سؤالهم.

﴿وَالْتَعَفُّ﴾ هنا: هو عن الطلب.

﴿وَمِنْ﴾: سببية. وقال ابن عطية: لبيان الجنس^(١).

(١) الذي ذكره ابن عطية أنها لا ابتداء الغاية، وهذا نصُّ عبارته: «وَمِنْ» في قوله: (من التّعَفُّفِ) لا ابتداء الغاية، أي: مِنْ تَعَفُّفِهِمْ ابتدأت محبته، وليست لبيان الجنس، ثم قال بعد ذلك: «وتحتمل الآية معنى آخر «مِنْ» فيه لبيان الجنس سندكره بعد». المحرر الوجيز (٨٩/٢).

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ علامة وجوههم؛ وهي ظهور الجهد والفاقة، وقلة
النعمة.

وقيل: الخشوع.

وقيل: السجود.

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ الإلحاف: هو الإلحاح في السؤال.

والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون.

وقيل: هو نفى للسؤال والإلحاح معاً.

وباقى الآية وعد.



[الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٦﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٧﴾ يَمْحُو اللَّهُ أَلْرِبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٧٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٠﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبَسِّرْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١٨١﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُشْرِ فَنُظْرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَنْفَعُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾] .

﴿بِالْإِتِلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ تعميمٌ لوجوه الإنفاق، وأوقاته .

ابن عباس : نزلت في عليٍّ ؛ فإنه تصدَّق بدرهم بالليل ، وبدرهم بالنهار ، وبدرهم سرًّا ، وبدرهم علانية .

أبو هريرة : نزلت في علف الخيل .

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي : يتفجعون به ، وعبر عن ذلك بالأكل ؛ لأنه أغلب المنافع . وسواء من أعطاه أو من أخذه .

والربا في اللغة : الزيادة ، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات ممنوعة ، أكثرها راجع إلى الزيادة ؛ فإنَّ غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم :

أَتَقْضِي أَمْ تُرَبِّي؟، فكان الغريم يزيد في عدد المال، ويصبر الطالب عليه.

ثم إن الربا على نوعين: ربا النسيئة، وriba التفاضل.

وكلاهما يكون في: الذهب والفضة، وفي الطعام.

فأما النسيئة؛ فَتَحْرُمُ في بيع الذهب بالذهب، وبيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة، وهو الصَّرف، وفي بيع الطعام بالطعام مطلقاً.

وأما التفاضل؛ فَإِنَّمَا يَحْرُمُ في بيع الجنس الواحد بجنسه؛ من النقدين، ومن الطعام.

ومذهب مالك: أنه إنما يحرم التفاضل في المقتات المدَّخر من الطعام.

ومذهب الشافعي: أنه يحرم في كل طعام.

ومذهب أبي حنيفة: أنه يحرم في المكيل والموزون؛ من الطعام وغيره.

﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أجمع المفسرون أن المعنى: لا يقومون من قبورهم في البعث إلا كالمجنون.

و﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: يتفعَّله؛ من قولك: خَبَطَ يَخْبِطُ.

و﴿الْمَسِّ﴾: الجنون.

و﴿مِنْ﴾ تتعلق بـ ﴿يَقُومُ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليل للعقاب الذي يصيبهم، وإنما هذا للكفار؛ لأن قولهم: ﴿إِنَّمَا أَلْهَيْتُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: ردُّ على الشريعة وتكذيب لها، ثم قد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد.

فإن قيل: فهلاً قيل: «إنما الربا مثل البيع»؛ لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز؟

فالجواب: أن هذا مبالغه؛ فإنهم جعلوا الربا أصلاً حتى شبّهوا به البيع^(١).

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ عمومٌ يخرج منه: البيوع الممنوعة شرعاً، وقد عدّناها في الفقه ثمانين نوعاً^(٢).

﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ردٌّ على الكفار، وإنكارٌ للتسوية بين البيع والربا. وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم: تحليل الله وتحريمه.

﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: له ما أخذ من الربا؛ (أي: لا يؤاخذ بما فعل منه)^(٣) قبل نزول التحريم.

﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الضمير عائد على صاحب الربا.

والمعنى: أن الله يحكم فيه يوم القيامة، فلا تؤاخذوه في الدنيا.

وقيل: الضمير عائد على الربا.

والمعنى: أمر الربا إلى الله في تحريمه أو غير ذلك.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الآية؛ يعني: من عاد إلى فعل الربا، وإلى القول:

(١) انظر: الكشاف (٣/٥٤٤).

(٢) انظر: القوانين الفقهية، لابن جزي (ص: ٤٣٢) وما بعدها.

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

«إنما البيع مثل الربا».

ولذلك حَكَمَ عليه بالخلود في النار؛ لأنَّ ذلك القول لا يصدر إلا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة؛ لكونها في الكفار.

﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ يَنْقُصُهُ وَيُذْهِبُهُ.

﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ يُنْمِيهَا؛ في الدنيا؛ بالبركة، وفي الآخرة؛ بمضاعفة الثواب.

﴿كَفَّارِ آثِمٍ﴾ أي: مَنْ يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا؛ وهذا يدل على أن الآية في الكفار.

﴿وَدَرُّوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «كل ربا كان في الجاهلية موضوع»، ثم إنَّ ثقيفا أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش، فأبوا من دفعه وقالوا: قد وُضِعَ الربا، فتحاكموا إلى عتَّاب بن أسيد أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية^(١).

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط لمن خوطب به؛ من ثقيف وغيرهم.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ أي: إن لم تنتهوا عن الربا حُوربتهم.

ومعنى ﴿فَأْذَنُوا﴾: اعلَمُوا.

وقرى بالمد؛ أي: اعلِمُوا غيركم.

ولما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٠/٥).

﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي : لا تَظْلِمُونَ بأخذ زيادةٍ على رؤوس أموالكم ، ولا تُظْلَمُونَ بالنقص منها .

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ «كان» تامة ؛ بمعنى : حضر ، أو وقع .

وقرئ ﴿ذَا عُسْرَةٍ﴾ ؛ أي : إن كان الغريم ذا عسرة .

﴿فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ حَكَمَ الله للمُعَسِّرِ بالإنظار إلى أن يُوسِرَ ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه .

و﴿نَظَرَةٌ﴾ : مصدرٌ ؛ معناه : التأخير .

وهو مرفوع على أنه :

خبر ابتداء ؛ تقديره : فالواجبُ نظرةٌ .

أو مبتدأ .

و﴿مَيْسَرَةٍ﴾ أيضًا مصدر .

وقرئ بضم السين ، وفتحها .

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ نَدَبَ الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط

الدين عنه ، فذلك أفضل من إنظاره .

وباقى الآية وعظ .

وقيل : إِنَّ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ آيَةُ الرِّبَا .

وقيل : بل قوله : ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية .

وقيل : آيَةُ الدِّينِ المذكورة بعدُ .

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَصِلَ أَحَدُهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ سُوءٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾] وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَهُ فَإِنْ أَتَيْنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤْوِرَ الَّذِي أُوْتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاتِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾].

﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾ أي : إذا عامل بعضكم بعضاً بدين .

وإنما ذكر الدين وإن كان مذكوراً في ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ ؛ ليعود عليه الضمير في ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ، وليزول الاشتراك الذي في ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ ؛ إذ قد يقال بمعنى : الجزاء .

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول .

وأجاز مالك البيع إلى الجداد والحصاد ؛ لأنه معروف عند الناس .

ومنعه الشافعي وأبو حنيفة .

قال ابن عباس: نزلت الآية في السلم خاصة؛ يعني: أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها.

قال مالك: وهذا يجمع الدين كله؛ يعني: أنه يجوز التأخير في السلم والسلف وغيرهما.

﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية.

وقال قوم: إنها منسوخة بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِعَظْمِكُمْ بَعْضًا﴾.

وقال قوم: إنها على النذب.

﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ قال قوم: يجب على الكاتب أن يكتب.

وقال قوم: نسخ ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه.

وقال قوم: إن الأمر بذلك على النذب؛ ولذلك جاز أخذ الأجرة على كُتُب الوثائق.

﴿بِالْمَكْدَلِ﴾ يتعلق عند ابن عطية بقوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾^(١).

وعند الزمخشري بقوله: ﴿كَاتِبٌ﴾^(٢).

فعلى الأول: تكون الكتابة بالعدل؛ وإن كان الكاتب غير مرضي.

وعلى الثاني: يجب أن يكون الكاتب مرضياً في نفسه.

(١) المحرر الوجيز (١١٢/٢).

(٢) الكشف (٥٥٤/٣).

قال مالك : لا يكتب الوثائق إلا عارفٌ بها ، عدلٌ في نفسه ، مأمونٌ .

﴿وَلَا يَأَبَّ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ نهى عن الإبابة ، وهو يقوِّي الوجوب .

﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يتعلَّق بقوله : ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ ، والكاف :

للتشبيه ؛ أي : يكتب مثل ما علَّمه الله .

أو للتعليل ؛ أي : ينفع الناس بالكتابة كما علَّمه الله ؛ كقوله : ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القمر : ٧٧] .

وقيل : يتعلَّق بقوله بعدها : ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ .

﴿وَلْيُسَلِّبْ﴾ يقال : أَمَلْتُ الكتاب ، وأَمَلَيْتُهُ ؛ فورد هنا على اللغة الواحدة ، وفي قوله : ﴿تُمَلَّى عَلَيْهِ﴾ [الفرقان : ٥] على الأخرى .

﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ ؛ لأنَّ الشهادة إنما هي باعترافه .

فإن كُتِبَت الوثيقة دون إملاؤه ، ثم أقرَّ بها جاز .

﴿وَلَا يَبْخَسُ﴾ أمره الله بالتقوى فيما يُمَلُّ ، ونهاه عن البخس ؛ وهو نقص الحق .

﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ﴾ السَّفيه : الذي لا يُحسِّن النظر في ماله .

والضعيف : الصغير وشبهه .

والذي لا يستطيع أن يُمَلَّ : الآخرس وشبهه .

﴿وَلَيْتُهُ﴾ أبوه ، أو وصيه .

والضمير عائذ على: ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾.

﴿وَأَمْسُتْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ شهادة الرجلين جائزة في كل شيء، إلا في الزنا؛ فلا بد من أربعة.

﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ نص في رفض شهادة الكفار، والصبيان، والنساء.

وأما العبيد: فاللفظ يتناولهم؛ ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم.

ومنعها مالك والشافعي؛ لنقص الرق.

﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ قال قوم: لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع عدم الرجال؛ وقالوا: معنى الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾: إن لم يوجدَا.

وأجازه الجمهور؛ لأن المعنى: إن لم يشهد^(١) رجلان فرجلاً وامرأتان.

وإنما يجوز - عند مالك - شهادة الرجل والمرأتين في الأموال، لا في غيرها.

وتجوز عنده شهادة المرأتين دون رجل فيما لا يطلع عليه الرجال، كالولادة، والاستهلال، وعيوب النساء.

وارتفع^(٢) ﴿فَرَجُلٌ﴾:

بفعل مضمر؛ تقديره: فليكن رجلٌ؛ فهو فاعل، أو تقديره: فليُستشهد رجلٌ؛ فهو مفعول لم يُسم فاعله.

أو بالابتداء؛ تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون.

(١) في ب، ج، هـ: «يستشهد».

(٢) في ج، هـ: «وارتفاع».

﴿مِمَّنْ رَزَّوْنَ﴾ صفة للرجل والمرأتين .

وهو مشترط -أيضاً- في الرجلين الشاهدين ؛ لأنَّ الرِّضَا مشترط في الجميع .

وهو العدالة ؛ ومعناها : اجتناب الذنوب الكبائر ، وتوقِّي الصغائر ، مع المحافظة على المروءة .

﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ مفعولٌ من أجله ، والعامل فيه : هو المقدَّر العامل في ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ .

والضَّلَال في الشهادة : هو نسيانها ، أو نسيان بعضها .

وإنما جُعِل ضلالٌ إحدَى المرأتين مفعولاً من أجله ، وليس هو المراد ؛ لأنه سببٌ لتذكير الأخرى لها ، وهو المراد ؛ فأقيم السببُ مقام المسبَّب .

وقرئ : ﴿إِنْ تَضِلَّ﴾ بكسر الهمزة : على الشرط ، وجوابه : الفاء في ﴿فَتَذَكَّرُ﴾ .

ولذلك رفعه مَنْ كَسَر الهمزة ، ونصبه من فتحها على العطف .

وقرئ ﴿فَتَذَكَّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف ؛ والمعنى واحد .

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ أي : لا يمتنعوا إذا دعوا إلى أداء الشهادة ، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي ﷺ^(١) ، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجبٌ إذا دعي إليها .

(١) لم أقف على تخريجه ، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ١٢٠) : «وأسند النقاش إلى النبي ﷺ أنه فسر الآية بهذا» .

وقيل : إذا دعوا^(١) إلى تحصيل الشهادة وكتبها .

وقيل : إلى الأمرين .

﴿وَلَا تَقْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي : لا تملأوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت ؛ سواء كان الحق صغيراً أو كبيراً .

ونُصب ﴿صَغِيرًا﴾ على الحال .

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الكتابة .

﴿أَقْسَطُ﴾ من القسط ؛ وهو العدل .

﴿وَأَقْوَمُ﴾ بمعنى : وأشدُّ إقامةً .

وبُني أفعال فيهما من الرباعي ؛ وهو قليل .

﴿وَأَذِّنْ أَلَّا تَرَائِبَ﴾ أي : أقرب إلى عدم الشك في الشهادة .

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً﴾ «أن» في موضع نصب على الاستثناء المنقطع ؛ لأن الكلام المتقدم في الدين المؤجل .

والمعنى : إباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة ؛ وهي ما يباع بالنقد .

وقوله : ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يقتضي : القبض ، والبيونة .

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع ، صغير أو كبير ، وهم الظاهرية ، خلافاً للجمهور .

وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ .

(١) في ب ، ج ، د ، هـ : «دعي» .

وزهب قوم إلى أنه على النذب .

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يحتمل أن يكون ﴿كَاتِبٌ﴾ فاعلاً ؛ على تقدير كسر الراء المدغمة من ﴿يُضَارَّ﴾ .

والمعنى على هذا : نهى للكاتب والشهيد^(١) أن يضراً صاحب الحق أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه ، أو النقصان منه ، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة .

ويحتمل أن يكون ﴿كَاتِبٌ﴾ مفعولاً لم يسم فاعله ؛ على تقدير فتح الراء المدغمة ، ويقوي ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا يُضَارَّرُ» بالتفكيك وفتح الراء .

والمعنى : النهي عن الإضرار بالكاتب والشهيد ؛ بإذاتهما بالقول أو بالفعل .

﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ إن وقعتم في الإضرار فإنه فسوق حال بكم .

﴿وَبِعِلْمِكُمُ اللَّهِ﴾ إخبار على وجه الامتنان .

وقيل : معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه .

وهذا المعنى صحيح ، ولكن لفظ الآية لا يعطيه ؛ لأنه لو كان كذلك لجزم ﴿وَبِعِلْمِكُمُ﴾ في جواب ﴿وَأَنْفُوا﴾ .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ الآية ؛ لما أمر الله تعالى بكتابة الديون : جعل الرهن توثيقاً للحق ، عوضاً من الكتابة حيث تتعذر الكتابة في السفر .

(١) في د : «والشاهد» .

وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلا في السفر؛ لظاهر الآية.
 وأجازه مالك وغيره في الحضر؛ لأن النبي ﷺ رهن درعه بالمدينة^(١).
 ﴿فَرِهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ يقتضي بينونة المرتهن بالرهن.
 وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن، وقبض وكيله.
 وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل.
 والقبض للرهن شرط في الصحة عند الشافعي وغيره؛ لقوله تعالى:
 ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾.

وهو عند مالك شرط كمال.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الآية؛ أي: إن أمن صاحب الحق المديان
 لحسن ظنه به؛ فليستغن عن الكتابة وعن الرهن.
 فأمر أولاً بالكتابة، ثم بالرهن، ثم بالائتمان؛ فللدين ثلاثة أحوال.
 ثم أمر المديان بأداء الأمانة؛ ليكون عند ظن صاحبه به.
 ﴿وَلَا تَكُنُوا الشَّهَدَةَ﴾ محمول على الوجوب.
 ﴿فَإِنَّهُ إِائِمٌ قَلْبُهُ﴾ معناه: قد تعلق به الإثم اللاحق عن المعصية في
 كتمان الشهادة.

وارتفع ﴿إِائِمٌ﴾ بأنه خبر «إِنَّ»، و﴿قَلْبُهُ﴾ فاعل به.
 ويجوز أن يكون ﴿قَلْبُهُ﴾ مبتدأ، و﴿إِائِمٌ﴾ خبره.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٩).

وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت جملة الكاتم هي الآثمة : لأنَّ
الكتمان من فعل القلب؛ إذ هو يُضمِرُها ، ولئلا يُظَنَّ أن كتمان الشهادة من
الآثام المتعلقة باللسان .



[﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٨٢) ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّونَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٣﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨٤﴾].

﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية؛ مقتضاها: المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب؛ سواء أبدو أم أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن شاء الله أو الغفران لمن شاء الله.

وفي ذلك إشكال؛ لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأَمْتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا»^(١).

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا: هلكنّا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا»، فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فكشف عنهم الكربة^(٢)، ونسخ بذلك هذه الآية^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

(٢) في ج، هـ: «الكرب».

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥).

وقيل : هي في معنى : كتم الشهادة وإيدائها ؛ وذلك محاسبٌ به .
 وقيل : يحاسب الله خلقه على ما في نفوسهم ، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين .

والصحيح : التأويل الأول ؛ لوروده في الصحيح ، وقد ورد -أيضاً- عن ابن عباس وغيره .

فإن قيل : إن الآية خبرٌ ، والأخبار لا يدخلها النسخ ؟
 فالجواب : أن النسخ إنما وقع في المؤاخذه والمحاسبة ؛ وذلك حكمٌ يصح دخول النسخ فيه .

فلفظ الآية : خبر ، ومعناها : حكم ^(١) .

﴿فَيَغْفِرُ﴾ و﴿يُعَذِّبُ﴾ قرئ :

بجزمهما : عطفًا على ﴿يُحَاسِبُكُمْ﴾ .

ويرفعهما : على تقدير : فهو يغفر .

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ الآية ؛ سببها : ما تقدّم في حديث أبي هريرة ؛ لما قالوا :
 سمعنا وأطعنا : مدحهم الله بهذه الآية ، وقدّم ذلك قبل كشف ما شقّ عليهم .

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطفٌ على ﴿الرَّسُولُ﴾ ، أو مبتدأ :

فعلى الأول : يُوقَفُ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ .

وعلى الثاني : يوقف ﴿مِنْ زَيْدٍ﴾ .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٢/ ١٣٣) .

والأول أحسن .

﴿كُلُّ ءَامَنٍ﴾ إن كان ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوفاً : فـ ﴿كُلُّ﴾ عمومٌ في الرسول والمؤمنين .

وإن كان مبتدأً : فـ ﴿كُلُّ﴾ عموم في المؤمنين .

ووَحَّد الضمير في ﴿ءَامَنَ﴾ على معنى : كل واحدٍ منهم آمن .

﴿وَكُتِبَ﴾ قرئ بالجمع ؛ أي كل كتاب أنزله الله .

وقرئ بالتوحيد ؛ يريد : القرآن ، أو الجنس .

﴿لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ التقدير : يقولون : لا نفرِّق .

والمعنى : لا نفرِّق بين أحدٍ من الرسل وبين غيره في الإيمان ، بل نؤمن بجميعهم ، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعضٍ ويكفرون ببعض .

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حكاية قول المؤمنين ؛ على وجه المدح لهم .

﴿غُفِرَانَكَ﴾ مصدرٌ ، والعامل فيه مضمَر . ونصبُهُ :

على المصدرية ؛ تقديره : اغفرْ غفرانَكَ .

وقيل : على المفعولية ؛ تقديره : نطلب غفرانَكَ .

﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ إقرارٌ بالبعث ، مع تذللٍ وانقياد . وهنا تَمَّت حكاية

كلام المؤمنين .

﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إخبارٌ من الله تعالى برفع تكليف ما

لا يطاق .

وهو جائز عقلاً عند الأشعرية، ومحال عقلاً عند المعتزلة.

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي الشَّرِيعَةِ.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من الحسنات.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من السيئات.

وجاءت العبارة بـ ﴿لَهَا﴾ في الحسنات؛ لأنها مما يَنْتَفِعُ الْعَبْدُ بِهِ،

وجاءت في السيئات بـ ﴿عَلَيْهَا﴾؛ لأنها مما يَضُرُّ بِالْعَبْدِ.

وإنما قال في الحسنات ﴿كَسَبَتْ﴾ وفي الشرِّ^(١) ﴿اِكْتَسَبَتْ﴾:

لأنَّ في الاكْتِسَابِ ضرباً من الاغْتِمَالِ والمعالِجَةِ، حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ صِغَةُ:

«افْعَلْ»؛ فالسيئات فاعلُها يَتَكَلَّفُ مَخَالَفَةَ أَمْرِ اللَّهِ، وَيَتَعَدَّاهُ، بِخِلَافِ

الحسنات؛ فإنه فيها على الجادَّةِ من غير تَكَلُّفٍ.

أو لأنَّ السيئات يَجِدُّ في فعلها؛ لِمِيلِ النَّفْسِ إِلَيْهَا، فَجَعَلَتْ لذلِكَ

مُكْتَسَبَةً، وَلَمَّا لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ فِي الْحَسَنَاتِ كذلِكَ: وَصِفَتْ بِمَا لَا دَلَالَهَ

فِيهِ عَلَى الْاِعْتِمَالِ.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: قولوا ذلك في دعائكم^(٢).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَقِيَّةِ حِكَايَةِ قَوْلِهِمْ؛ كَمَا حَكَى عَنْهُمْ قَوْلُهُمْ: ﴿سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا﴾.

(١) في ب: «السيئات».

(٢) في د: «أي: قالوا ذلك في دعائهم».

والنسيان هنا : هو الذُّهولُ الغالبُ على الإنسان .

والخطأ : غير العمد ؛ فذلك معنى قوله ﷺ : «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ»^(١) .

وقد كان يجوز أن يُؤَاخَذَ به لولا أَنَّ الله رفعه .

﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ التكاليف الصعبة ؛ كانت قد كُفِّتْ لمن تقدَّم من الأمم ؛ كقتل أنفسهم ، وقَرْضُ أبدانهم ، ورُفِعَتْ عن هذه الأمة ؛ قال تعالى : ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وقيل : الإِصْرُ : المسخُّ قردةً وخنزير .

﴿وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ هذا الدعاء دليلٌ على جواز تكليف ما لا يطاق ؛ لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع ، ثم إنَّ الشرع دفع وقوعه . وتحقيقُ ذلك : أَنَّ ما لا يطاق أربعة أنواع :

الأول : عقليٌّ محض ؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن : فهذا جائزٌ ، وواقعٌ باتِّفاق .

والثاني : عاديٌّ ؛ كالطَّيران في الهواء .

والثالث : عقليٌّ وعاديٌّ ؛ كالجمع بين الضَّدين .

فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه .

والرابع : تكليف ما يَشَقُّ وَيَصْعُبُ :

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣) .

فهذا جائز اتفاقاً، وقد كلفه الله من تقدّم من الأمم (ورفعه عن هذه الأمة)^(١).

﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا﴾ ألفاظ متقاربة المعنى، وبينها من الفرق:

أنّ العفو: ترك المؤاخذه بالذنب.

والمغفرة: تقتضي - مع ذلك - السّتر.

والرحمة: تجمع ذلك، مع التّفصّل بالإنعام.

﴿مَوْلَانَا﴾ وليّنا وسيدنا.



(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿سورة آل عمران﴾

نزل صدرها إلى نيفٍ وثمانين آيةً لما قدم نصارى نجران المدينة يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى بن مريم عليه السلام .

[الْعَمَّ ①] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ② زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ③ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْقُرْآنَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ④ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ⑤ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑥ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ⑦ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ⑧ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ⑨] .

﴿الْعَمَّ ①﴾ تقدّم الكلام على حروف الهجاء^(١) .

وقرأ الجمهور : بفتح الميم هنا في الوصل ؛ لالتقاء الساكنين ؛ نحو : «مِنْ النَّاسِ» .

(١) انظر صفحة ٢٦١ .

وقال الزمخشري: هي حركة الهمزة نُقِلَتْ إلى الميم^(١). وهذا ضعيف؛ لأنها أَلْفٌ وَضَلَّ تَسْقُطُ فِي الدَّرَجِ.

﴿الْحَىُّ الْقَيُّومُ﴾ ردُّ على النصارى في قولهم: إِنَّ عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صُلب؛ فليس بحيٍّ، وليس بقيُّومٍ.

﴿الْكِتَابُ﴾ هنا: القرآن.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: تَضَمَّنَ الْحَقُّ؛ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا.

أو: بالاستحقاق.

﴿مُصَدِّقًا﴾ قد تقدَّم في: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١]^(٢).

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدمة.

﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أعجميان؛ فلا يصحُّ ما ذكره النُّحَاة من اشتقاقهما ووزنهما.

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ هو القرآن؛ وإنما كرَّرَ ذِكْرَهُ؛ لِيُصِفَهُ بِأَنَّهُ الْمَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

ويَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونَ ذِكْرُهُ أَوَّلًا عَلَى وَجْهِ الْإِثْبَاتِ لِإِنْزَالِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، ثُمَّ ذِكْرُهُ ثَانِيًا عَلَى وَجْهِ الْاِمْتِنَانِ بِالْهَدْيِ بِهِ؛ كَمَا قَالَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ: ﴿هَذَى لِلنَّاسِ﴾؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: «وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ هَدًى لِلنَّاسِ»، ثُمَّ حَذَفَ ذَلِكَ؛ لِدَلَالَةِ الْهَدْيِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ.

(١) الكشاف (٥/٤).

(٢) انظر صفحة ٣٠٨.

فلما اختلف قِصْدُ الكلام في الموضوعين : لم يكن ذلك تَكَرُّارًا .
 وقيل : الفرقان هنا : كلُّ ما فَرَّقَ بين الحق والباطل ؛ من كتابٍ وغيره .
 وقيل : هو الزُّبور ؛ وهذا بعيد .
 ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خبرٌ عن إحاطة عِلْمِ الله بجميع الأشياء على التفصيل .

وهذه صفةٌ لم تكن لعيسى ، ولا لغيره ؛ ففي ذلك ردٌّ على النصارى .
 ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهانٌ على إثبات علم الله المذكورِ قبلُ .
 وفيه ردٌّ على النصارى ؛ لأن عيسى لا يَقْدِرُ على التَّصْوِيرِ ، بل كان مصوَّرًا ؛ كسائر بني آدم .
 ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من طولٍ ، وقِصَرٍ ، وحُسْنٍ ، وقبحٍ ، ولَوْنٍ ، وغير ذلك .
 ﴿وَمِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكَمُ﴾ المُحَكَّم من القرآن : هو البَيِّنُ المعنى ، الثابت الحكم .

والمتشابه : هو الذي يحتاج إلى تأويل ، أو يكون مُستغْلِقَ المعنى ؛ كحروف الهجاء .

قال ابن عباس : المحكمات : النَّاسَخَاتُ والحلال والحرام ،
 والمتشابهات : المنسوخات ، والمقدَّم ، والمؤخَّر .

وهذا تمثيلٌ لما قلنا .

﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي : عُمْدَةُ ما فيه ، ومُعْظَمُهُ .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ نزلت في نصارى نجران؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ: أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروحٌ منه؟ قال: «نعم»، قالوا: فحسبنا إذن^(١). فهذا من المتشابه الذي اتبعوه.

وقيل: نزلت في أبي ياسر ابن أخطب اليهودي وأخيه حُيَيٍّ. ثم يدخل في ذلك: كلُّ كافر، أو مبتدع، أو جاهل يتَّبِع المتشابه من القرآن.

﴿أَتَبِعَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي: ليفتنوا به الناس.
 ﴿وَأَتَبِعَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضي مذاهَبهم.
 أو: يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق.
 ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إخبارٌ عن انفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن، وذمٌ لمن طلب علم ذلك من الناس.
 ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأً مقطوع مما قبله.

والمعنى: أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون: «أما به»؛ على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته.
 وقيل: إنه معطوفٌ على ما قبله.

وإن المعنى: أنهم يعلمون تأويله.
 وكلا القولين مرويان عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٥/٥-٢٠٦).

والأول قول أبي بكر الصديق، وعائشة، وعروة بن الزبير؛ وهو أرجح.

وقال ابن عطية: المتشابه نوعان:

نوعٌ انفرد الله بعلمه.

ونوعٌ يمكن وصول الخلق إليه.

فيكون ﴿وَالزَّاسُّونَ﴾:

ابتداءً: بالنظر إلى الأول.

وعطفًا: بالنظر إلى الثاني^(١).

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي: المحكم والمتشابه من عند الله.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ حكاية عن الراسخين.

ويحتمل أن يكون منقطعًا؛ على وجه التعليم.

والأول أرجح؛ لاتصال الكلام.

وأما قوله: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: فهو من كلام الله تعالى،

لا حكاية قول الراسخين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ أَلِيمَكَادَ﴾ استدلالٌ على البعث، ويحتمل أن يكون:

من تمام كلام الراسخين.

أو منقطعًا؛ فهو من كلام الله تعالى.

(١) المحرر الوجيز (٢/١٦١).

[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٥﴾ كَذَابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُنْسِ الْأَمِهَادُ ﴿١٧﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَأْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٨﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٩﴾ قُلْ أُوْثِقْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١﴾ الصَّكِرِينَ وَالْكَافِرِينَ وَالْفٰنِينَ وَالْمُفِينِ وَالْمُسْتَفِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٢﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٥﴾].

﴿كَذَابٍ﴾ في موضع رفع؛ أي: دأب هؤلاء ﴿كَذَابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ وفي ذلك تهديد.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، ويعني بهم: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

والضمير عائذ على ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ البراهين، أو الكتب .

﴿سَتُفْلِتُونَ وَتُخْشَرُونَ﴾ قرئ بتاء الخطاب :

ليهود المدينة .

وقيل : لكفار قريش .

وقرئ بالياء : إخباراً :

عن يهود المدينة .

وقيل : عن قريش .

وهو صادق على كل قول :

أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع .

وأما قريش ففي بدر وغيرها .

والأشهر أنها في بني قينقاع ؛ لأن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له : لا يغرنك أنك قتلت نفرًا من قريش لا يعرفون القتال، فلو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس، فنزلت الآية، ثم أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة .

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قيل : خطاب للمؤمنين . وقيل : لليهود . وقيل :

لقريش .

والأرجح^(١) أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾؛ ففيه تهديد لهم وعبرة بما^(٢) جرى لغيرهم.

﴿فِي فِتْنَتَيْنِ الْفَتَنَاتِ﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر.

﴿تَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ﴾ قرئ: ﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ بالتاء: خطاباً لمن خاطب بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾.

والمعنى: ترون الكفار مثلي المسلمين؛ ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قلة عددهم.

وقرئ: بالياء؛ والفاعل في ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾: هم المؤمنون، والمفعول به: هم المشركون، والضمير في ﴿مِثْلَهُمْ﴾: للمؤمنين. والمعنى: على حسب ما تقدم.

فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من مثلي المسلمين؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين؛ لأن الكفار كانوا قريباً من ألف، والمؤمنون ثلاث مئة وثلاثة عشر، ثم إن الله تعالى قلل عدد الكافرين في أعين المؤمنين؛ حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين؛ ليتجاسروا على قتالهم، إذا ظهر لهم أنهم على ما أمروا به من قتال الواحد للآخرين من قوله: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

(١) في د: «والأول أرجح».

(٢) في د: «لما».

وهذا المعنى موافق لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤].

والآخر : أنه رجع قومٌ من الكفار حتى بقي منهم ستُّ مئة وستة وعشرون رجلاً ؛ وذلك قَدْرُ عدد المسلمين مرتين .

وقيل : إنَّ الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ : ضمير المشركين ، والمفعول : ضمير المؤمنين ، وإنَّ الضمير في ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ يَحْتَمِلُ أن يكون للمؤمنين أو للمشركين .

والمعنى على هذا : أنَّ الله كَثَّرَ عدد المسلمين في أعين المشركين ؛ حتى حَسِبَ الكفارُ المؤمنين مثلي الكافرين ، أو مثلي المؤمنين ، وهم أقلُّ من ذلك ، وإنما كَثَّرَهم الله في أعينهم ليرهبوهم .

ويردُّ هذا قوله تعالى : ﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] .

﴿رَأَى الْفَيْنَ﴾ نُصِبَ على المصدرية . ومعناه : معاينة ظاهرة لا شك فيها .

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ﴾ أي : أنَّ النصر بمشيئة الله ، لا بالقلة ، ولا بالكثرة ؛ فإنَّ فئة المسلمين غَلَبَتْ فئة الكافرين ؛ مع أنَّهم كانوا أكثرَ منهم .

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل : المزيّن هو الله ، وقيل : الشيطان .

ولا تعارض بينهما ؛ فتزيين الله : بالإيجاد والتهيئة للانتفاع ، وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا .

وتزيين الشيطان : بالسوسة والخديعة .

﴿وَالْقَنَاطِيرُ﴾ جمع قنطار؛ وهو ألف ومئتا أوقية. وقيل: ألف ومئتا مثقال، وكلاهما مروى عن النبي ﷺ^(١).

﴿الْمُقَنْطَرَةُ﴾ مبنية من لفظ القنطار؛ للتأكيد؛ كقولهم: ألف مؤلفة.

وقيل: المضروبة دنانير أو دراهم.

﴿الْمُسَوِّمَةُ﴾ الراعية؛ من قولهم: سام الفرس وغيره: إذا جال في المسارح.

وقيل: المُعْلَمَةُ في وجوهها شيات^(٢)؛ فهي من السِّمَا بمعنى العلامة.

وقيل: المعدّة للجهاد.

﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تحقير لها؛ ليزهد فيها الناس.

﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾ تفضيل للآخرة على الدنيا؛ ليرغب فيها.

وتَمَّ الكلام في قوله: ﴿مِنْ ذَلِكَ﴾، ثم ابتداء قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾؛ تفسيراً لذلك.

ف ﴿جَنَّتٌ﴾ على هذا: مبتدأ، وخبره: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

وقيل: إنَّ قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ متعلق بما قبله، ويتم الكلام في قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

ف ﴿جَنَّتٌ﴾ على هذا: خبرُ ابتداءٍ مضمرة.

(١) أخرجهما الطبري في تفسيره (٥/٢٥٥).

(٢) الشِّياتُ: جمع شِيَّةٍ، وهي كل لونٍ يخالف معظم لون الفرس وغيره، وهي من: وَشَى، فقاؤه واو محذوفة، والهاء في آخره عوضٌ منها. انظر: لسان العرب (٢٠/٢٧١).

﴿وَرِضْوَتٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ زيادةً إلى نعيم الجنة ، وهو أعظم من النعيم حسَبما ورد في الحديث ^(١) .

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نَعْتُ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ، أو رُفِعَ بالابتداء ، أو نُصِبَ بإضمار فعل .

﴿وَالْفَكْرِيتِ﴾ في الأقوال والأفعال .

﴿وَالْقَنِينِ﴾ العابدين ، أو المطيعين .

﴿وَالسُّنَّيْنِ﴾ الاستغفار : هو طلب المغفرة .

قيل لرسول الله ﷺ : كيف نستغفر؟ فقال : «قولوا : اللهم اغفر لنا وارحمنا وتُبْ علينا إنك أنت التَّوَّابُ الرحيم» ^(٢) .

﴿وَبِالْأَنْحَارِ﴾ جمع سَحَرٍ ؛ وهو آخر الليل ؛ يقال : إنه الثلث الآخر ؛ وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذٍ : «من يستغفرني فأغفر له» ^(٣) .

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآية ؛ شهادةً من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية .

وقيل : معناها : إعلامه لعباده بذلك .

(١) عن أبي سعيد الخدري ، أن النبي ﷺ قال : «إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول : أحلُّ عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً» أخرجه البخاري (٧٥١٨) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٧٣/٩) .

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) .

﴿وَالْمَلَكُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ عطف على اسم ﴿اللَّهُ﴾ ؛ أي: هم شهداء بالوحدانية.

ويعني بأولي العلم: العارفين بالله، الذين يقيمون البراهين على وحدانيته.

﴿قَالِبًا﴾ منصوب على الحال من: اسم ﴿اللَّهُ﴾ ، أو من: ﴿هُوَ﴾ .

أو منصوب على المدح.

﴿يَالْقِسْطِ﴾ بالعدل.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرر التَّهْلِيل لوجهين:

أحدهما: أنه ذكر أولاً الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانياً بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة^(١).

والآخر: أن ذلك تعليم لعباده؛ ليكثرُوا من قولها.

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بكسر الهمزة: ابتداءً.

وبفتحها: بدلٌ مِنْ ﴿أَنَّهُ﴾ ، وهو بدل شيءٍ من شيءٍ؛ لأن التوحيد هو الإسلام.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الدِّينَ﴾ الآية؛ إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق؛ من أجل البغي، وهو الحسد.

والآية في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل: فيهما.

(١) في د: «ثم ذكر ثانياً ثبوتها بالشهادة المتقدمة».

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قد تقدّم معناه في «البقرة»^(١).

وهو هنا تهديد؛ ولذلك وقع في جواب: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ﴾.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في الدين.

والضمير: لليهود، ونصارى نجران.

﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: أخلصت نفسي وجُمَلتي لله؛ وعبر بالوجه عن الجملة.

ومعنى الآية: إقامة الحجة عليهم؛ لأنّ مَنْ أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجة مَنْ خالفه.

﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ عطف على التاء في ﴿أَسْلَمْتُ﴾.

ويجوز أن يكون مفعولاً معه.

﴿أَسْلَمْتُمْ﴾ تقرير بعد إقامة الحجة؛ أي: قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تُسلموا.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك، فإذا بلغتْها فقد فعلت ما عليك.

وقيل: إن فيها مودةً نسختها آية السيف.



[إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٢﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٦﴾ قُلِ اطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية؛ نزلت في اليهود والنصارى؛ توبيخاً لهم، ووعيداً على قبيح^(١) أفعالهم، وأفعال أسلافهم.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود.

(١) في ب، د: «قبح».

والكتاب هنا : التوراة ، أو جنس .

﴿يُدْعُونَ إِنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ ابنُ عباس : دخل رسول الله ﷺ على جماعة من اليهود ، فيهم النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد ، فقالوا له : على أي دين أنت ؟ فقال : «على دين إبراهيم» ، فقالوا : إن إبراهيم كان يهوديًا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : «فهلّموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم» ، فأبوا عليه فنزلت الآية^(١) .

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ على هذا : التوراة .

وقيل : هو القرآن ؛ كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيعرضون عنه .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله .

والباء سببية .

والمعنى : أن كفرهم بسبب اغترارهم وأكاذيبهم .

والأيام المعدودات قد ذُكرت^(٢) في «البقرة»^(٣) .

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ﴾ أي : كيف يكون حالهم يوم القيامة ؟

والمعنى : تهويلٌ واستعظام لما أُعدَّ لهم .

﴿اللَّهُمَّ﴾ منادى ، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين ؛

ولذلك لا يجتمعان .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٣/٥) .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «ذكر» .

(٣) انظر صفحة ٣٣٠ .

وقال الكوفيون: أصله: «يا الله أُمَّنًا بخير» فالميم عندهم من: «أُمَّنًا». ﴿مَلِكٌ أَلْمَلِكِ﴾ منادى عند سيبويه.

وأجاز الرُّجَّاج أن يكون صفةً لاسم الله.

وقيل: إن الآية نزلت ردًا على النصارى في قولهم: إنَّ عيسى هو الله؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى.

وقيل: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته يفتحون مُلْك كسرى وقيصر: استبعد ذلك المنافقون، فنزلت الآية.

﴿يَبْدِكَ الْخَيْرُ﴾ قيل: المراد: «بيدك الخير والشر»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه.

وقيل: إنما خصَّ الخير بالذكر؛ لأنَّ الآية في معنى دعاء ورغبة؛ فكأنه يقول: بيدك الخير فأجزل حظِّي منه.

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عبد الله بن مسعود: هي النُّطفة؛ تُخرج من الرجل ميِّتة وهو حيٌّ، ويخرج الرجل منها حيًّا وهي ميِّتة.

وقال عكرمة: هو إخراج الدَّجاجة من البَيْضة، والبيضة من الدَّجاجة.

وقيل: تُخرج^(١) المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فالحياة والموت على هذا: استعارة.

(١) في ب، د: «يخرج».

وفي ذكر الحي مع الميت :

المطابقة ؛ وهي من أدوات البيان .

وفيه -أيضاً- القلب ؛ لأنه قدّم الحي على الميت ، ثم عكس .

﴿بَعَثَ حِسَابٍ﴾ بغير تضيق . وقيل : بغير محاسبة .

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية ؛ عامة في جميع الأعصار .

وسببها : مَثَلُ بعض الأنصار إلى بعض اليهود .

وقيل : كتاب حاطب إلى مشركي قريش .

﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ تبرؤ ممن فعل ذلك ، ووعدٌ على موالاة الكفار .

وفي الكلام حذف ؛ تقديره : ليس من التقرب إلى الله في شيء .

وموضع ﴿فِي شَيْءٍ﴾ : نصبٌ على الحال من الضمير في ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ .

قاله ابن عطية^(١) .

﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ﴾ إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم .

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٩٢) ، ونقل أبو حيان كلام ابن عطية هذا ، وعلق عليه بقوله : «وهو كلام مضطرب ؛ لأن تقديره : «فليس من التقرب إلى الله» يقتضي أن لا يكون «من الله» خبراً له «ليس» ؛ إذ لا يستقل ، وقوله : «(في شيء) هو في موضع نصب على الحال» يقتضي أن لا يكون خبراً ؛ فيبقى «ليس» -على قوله- لا يكون لها خبر ، وذلك لا يجوز» ، وأعرّبها أبو حيان بقوله : «وخبر «ليس» هو ما استقلت به الفائدة ، وهي (في شيء) ، و(من الله) في موضع نصب على الحال ؛ لأنه لو تأخر لكان صفةً لشيء ، والتقدير : فليس في شيء من ولاية الله . البحر المحيط (٥/ ٢٨٦) .

والمراد: موالاةً بالظاهر، مع البغضاء في الباطن.

﴿تُقَنَّنُ﴾ وزنه: فُعَلَة - بضم الفاء وفتح العين - ، وفاؤه واوٌ، أُبدِلَ منها تاءٌ، ولامه ياء أُبدِلَ منها ألف.

وهو منصوب على المصدرية.

ويجوز أن ينتصب على الحال من الضمير في ﴿تَسْتَفُوا﴾.

﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ تخويفٌ.

﴿يَوْمَ تَحْذَرُ﴾ منصوبٌ على الظرفية، والعامل فيه:

فعل مضمر؛ تقديره: اذكروا، أو خافوا.

وقيل: العامل فيه: ﴿قَدِيرٌ﴾.

وقيل: ﴿الْصَبِيرُ﴾.

وقيل: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ﴾.

﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿تَوَدُّ﴾.

أو معطوف.

﴿أَمَدًا﴾ أي: مسافةً.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ﴾ ذكر بعد التحذير:

تأنيسًا؛ لئلا يُفْرِطَ الخوفُ.

أو لأن التحذير والتنبيه رَأْفَةٌ.

﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ جَعَلَ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ :

علامةً على محبة العبد لله تعالى .

وشرطًا في محبة الله للعبد ومغفرته له .

وقيل : إِنَّ الآية خطابٌ لنصارى نجران ، ومعناها على العموم في جميع الناس .



[﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٣٣ ذُرِّيَّةً
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي
مُحَرَّرًا فَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكَ أَنَّكَ لَئِنْ هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَّاهُهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ
أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا
وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَتَجِبُ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾].

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ الآية؛ لما مضى صدر من محاكاة نصارى نجران: أخذ
يبين لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام، وكيفية ولادته.
وبدا بذكر آدم ونوح عليه السلام؛ تكميلاً للأمر؛ لأنهما أبوان لجميع الأنبياء.
ثم ذكر إبراهيم؛ تدریجاً إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه السلام.
وقيل: إن عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمان مئة سنة.
والأظهر أن المراد هنا: هو والد مريم؛ لذكر قصتها بعد ذلك.
﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ يحتمل أن يريد بالآل: القرابة، أو الأتباع.
وعلى الوجهين يدخل نبينا محمد ﷺ في آل إبراهيم.

﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ بدل مما تقدّم، أو حال.

ووزنه فُعْلِيَّةٌ؛ منسوب إلى الذرّ؛ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغير أوّلُه في النسب.

وقيل: أصل ذُرِّيَّة: ذُرُورَةٌ؛ وزنها: فُعُولَةٌ، ثم أُبدل من الراء الأخيرة ياء، فصار: ذُرُويَّة، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء فصار: ذُرِّيَّة.

﴿إِذْ قَالَتْ﴾ العامل فيه محذوف؛ تقديره: اذكر.

وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾.

وقال الزّجاج: العامل فيه: معنى الاصطفاء.

﴿أَمَرْتُ عِمْرَانَ﴾ اسمها: حَنَّة - بالنون -، وهي أم مريم، وعمران هنا: هو والد مريم.

﴿نَذَرْتُ﴾ أي: جعلت نذراً عليّ أن يكون هذا الولد الذي في بطني حَيِّسًا على خدمة بيتك؛ وهو بيت المقدس.

﴿مُعَرَّزًا﴾ أي: عَتِيقًا من كل شُغلٍ إلاّ خدمة المسجد.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الآية؛ كانوا لا يُحرّرون الإناث لخدمة المساجد، فقالت: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾؛ تحسّرًا وتلهّفًا على ما فاتها من النذر الذي نذرت.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرئ ﴿وَضَعَتْ﴾: بإسكان التاء، وهو من كلام الله؛ تعظيمًا لموضوعها.

وقرئ: بضم التاء وسكون العين؛ وهو - على هذا - من كلامهما.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ يَحْتَمِلُ :

أن يكون من كلام الله .

فالمعنى : ليس الذكر الذي طَلَبَتِ كالأُنْثَى التي وَهَبْتُ لَكَ .

وأن يكون من كلامها .

فالمعنى : ليس الذكر كالأُنْثَى في خدمة المساجد ؛ لأن الذكور كانوا يَخْدُمونها دون الأنثى .

﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إنما قالت لربها : ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ؛ لأن مريم في لغتهم بمعنى : العابدة ، فأرادت بذلك التقربُ إلى الله .

ويؤخذ من هذا : تسمية المولود يوم ولادته .

وامتنع ﴿مَرْيَمَ﴾ من الصَّرف ؛ للتعريف والتأنيث ، وفيه -أيضاً- العُجْمة .

﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا﴾ ورد في الحديث : «ما من مولود إلا نخسه الشيطان حين يُولَدُ فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا ، إلا مريم وابنها ؛ لقولها : ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ﴾ الآية»^(١) .

﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي : رَضِيَهَا للمسجد مكان الذكر .

﴿بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون مصدرًا على غير الصَّدْر^(٢) .

(١) تقدم تخريجه في صفحة .

(٢) في أ ، د : «المصدر» ، والمثبت هو الصواب ، والصَّدْرُ : هو الفعل في اصطلاح الكوفيين ، وهذا التعبير «مصدر على غير الصَّدْر» مألوف الاستعمال عند العلماء ، =

والآخر: أن يكون اسماً لما يُقبل به، كالسَّعوط: اسم^(١) لما يُسَعَط به.
﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عبارة عن حسن النشأة.

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: ضمَّها إلى إنفاقه وحضانته، والكافل: هو الحاضن.

وكان زكرياء زوجَ خالتها، وقيل: زوج أختها.
وقرئ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء، ونصب ﴿زَكَرِيَّا﴾، أي: جعله الله كافلاً.

﴿الْمِحْرَابِ﴾ في اللغة: أشرف المجالس، وبذلك سُمِّي موضع الإمام.
ويقال: إن زكرياء بنى لها غرفة في المسجد؛ وهي المحراب هنا.
وقيل: المحراب: موضع العبادة.
﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

ويقال: إنها لم تَرْضَعْ ثدياً قط، وكان الله يرزقها.

= كما في أدب الكاتب لابن قتيبة، والمحمر الوجيز، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، وغيرها، ومعناه: أن يكون المصدر على غير بناء الفعل، بأن يكون مصدرًا لفعل آخر، فالفعل في هذه الآية: «تقبل»، ومصدرُ هذا الفعل: «تقبلاً»، ولكنه جاء هنا «قبولاً» مصدرًا للفعل «قبل». وانظر: أدب الكاتب، لابن قتيبة (تحقيق: الدالي): (ص: ٣٣٣).

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

﴿أَنْ لَّيْ هَذَا﴾ أي: كيف؟ ومن أين؟

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾ من كلام مريم، أو من كلام الله تعالى.

﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى مكان.

وقد يستعمل في الزمان؛ وهو الأظهر هنا، أي: لما رأى زكرياء كرامة الله تعالى لمريم: سأل من الله الولد.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أَنْتَ رَغِيًّا للجماعة.

وقرئ بالالف على التذكير.

وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل: ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ كقولهم: فلان يركب الخيل؛ أي: جنس الخيل، وإن كان فرسًا واحدًا.

﴿يَحْيَى﴾ اسم سماء الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعبرانية صادم اشتقاقًا وبناءً في العربية.

وهو لا ينصرف، فإن كان أعجميًا: ففيه التعريف والعُجمة، وإن كان عربيًا: فالتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: مصدقًا بعيسى عليه السلام، مؤمنًا به.

وسُمِّي عيسى كلمة الله؛ لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها؛ وهي قوله: ﴿كُنْ﴾، لا بسبب آخر؛ وهو الوالد كسائر بني آدم.

﴿وَسَيِّدًا﴾ السَّيِّد: الذي يسود قومه؛ أي: يفوقهم في الشرف والفضل.

﴿وَحَصُورًا﴾ أي: لا يأتي النساء؛ فقيل: خلقه الله كذلك، وقيل: كان يُمسِكُ نفسه.

وقيل: الحضور: الذي لا يأتي الذنوب.

﴿أَنْ يَكُونَ لِي عِلْمٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته، وعقم امرأته، ويقال: إنه كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون؛ فاستبعد ذلك في العادة، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك.

فسأله؛ لعلمه بقدرة الله، واستبعده؛ لأنه نادر في العادة.

وقيل: سأله وهو شاب، وأجيب وهو شيخ؛ ولذلك استبعده.

﴿كَذَلِكَ اللَّهُ﴾ أي: مثل هذه الفعلة العجيبة: يفعل الله ما يشاء؛ فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة.

والإشارة بـ «ذلك»: إلى هبة الولد لذكرياء.

واسم ﴿اللَّهُ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، و﴿كَذَلِكَ﴾ خبره؛ فيجب وصله معه.

وقيل: إن الخبر: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، ويحتمل ﴿كَذَلِكَ﴾ - على هذا - وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل ﴿يَفْعَلُ﴾.

والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف؛ تقديره: «الأمير كذلك»، أو «أنتما كذلك».

وعلى هذا يوقف على ﴿كَذَلِكَ﴾.

والأول أرجح؛ لاتصال الكلام، وارتباط قوله: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ مع ما قبله، ولأن له نظائر كثيرة في القرآن؛ منها قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾

﴿أَجْعَلِ لِّي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل المرأة.

﴿ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس ثلاثة أيام، يُمنع لسانه^(١) عن ذلك، مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله؛ ولذلك قال: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾.

وإنما حُبس لسانه عن الكلام تلك المدة؛ لِيُخْلِصَ فيها لذكر الله؛ شكرًا على استجابة دعائه، ولا يُشغِلَ لسانه بغير الشكر والذكر.

﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ إشارة باليد، أو بالرأس، أو غيرهما؛ فهو استثناء منقطع.

﴿بِالْعَتَمِ﴾: من زوال الشمس إلى غروبها، ﴿وَالْإِنْكَارِ﴾: من طلوع الفجر إلى الضحى.



(١) في ج: «لسانك».

[وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ يَمْرُؤُا أَفَتُبَيِّنُ لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَنْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٤﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَتِ رَبِّ أَنْ يَكُونَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَضَّلَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٦﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٧﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَنْزَمَ وَأُخِي الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٢١﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَرْسَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٢٣﴾].

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ﴾ اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة؟

والعامل في «إذ» مضمرة.

﴿اصْطَفَاكِ﴾ أولاً حين تقبلتك من أهلك.

﴿وطهَّركِ﴾ من كل عيب في خلق أو خلق أو دين.

﴿وَأَصْطَفَاكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يَحْتَمَلُ :

أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصاً بأن وهب لها عيسى من غير أب .

فيكون ﴿عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ عاماً .

وأن يكون الاصطفاء عاماً .

فِيُخَصَّصُ^(١) مِنْ ﴿نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ : خديجة وفاطمة .

أو يكون المعنى : على نساء زمانها .

وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق .

وقيل : إنها كانت نبيّة؛ لتكليم الملائكة لها .

﴿أَفْنَى﴾ القنوت هنا : بمعنى الطاعة والعبادة .

وقيل : طول القيام في الصلاة؛ وهو قول الأكثرين .

﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ أُمِرَتْ بِالصَّلَاةِ؛ فَذَكَرَ الْقَنُوتَ وَالسُّجُودَ؛ لَكُونَهُمَا^(٢)

من هيئات الصلاة وأركانها، ثم قيل لها : ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرُّكَّعَاتِ﴾ بمعنى :

ولتكن صلاتك مع المصلين؛ أي : في الجماعة .

فلا يقتضي الكلام - على هذا - تقديم السجود على الركوع؛ لأنه لم يُرد

الركوع والسجود المنتظمين في ركعة واحدة .

وقيل : أراد ذلك، وقَدَّمَ السُّجُودَ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ لَا تُرْتَبُ .

(١) في ج، د، هـ : «فيخص» .

(٢) ب : «لأنهما» .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ فِي مَلَّتِهِمْ بِتَقْدِيمِ السُّجُودِ عَلَى الرُّكُوعِ .
﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من القَصَصِ ، وهو خطابٌ للنبي ﷺ .
﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ﴾ احتجاجٌ على نبوته ﷺ ؛ لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم .

﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ أزالامهم^(١) ؛ وهي قِدَاحُهُمْ .

وقيل : الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة ، اقترعوا بها على كفالة مريم ؛ حرصاً عليها وتنافساً في كفالتها .

وتدلُّ الآية على جواز القرعة ، وقد ثبتت - أيضاً - من السنة .

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ وخبرٌ ، في موضع نصبٍ بفعل تقديره : يَنْظُرُونَ أَيُّهُمْ .

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يكفلها منهم .

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ «إِذْ» بدلٌ من ﴿وَإِذْ قَالَتِ﴾ ، أو من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ، أو العامل فيه مضمَر .

﴿أَسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكر على «الكلمة» ؛ لأن المسمى بها ذَكَرٌ .

﴿الْمَسِيحُ﴾ قيل : هو مشتقٌ من : سَاحَ في الأرض ؛ فوزنه : مَفْعِلٌ .

وقال الأكثرون : مِنْ مَسَحَ ؛ لأنه مُسِحٌ بالبركة ؛ فوزنه : فَعِيلٌ .

(١) هذه الكلمة سقطت من ب ، ج ، هـ .

وإنما قيل^(١): ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ والخطاب لمريم؛ لينسبها إليها؛ إعلامًا بأنه يولد من غير والد.

﴿وَجِيهًا﴾ نصب على الحال.

ووجاهته في الدنيا: النبوة، والتقدم على الناس، وفي الآخرة: الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة.

﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في موضع الحال، ﴿وَكَهَلًا﴾ عطف عليه.

والمعنى: أنه يكلم الناس صغيرًا؛ آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود، وتدل على نبوته. ويكلمهم - أيضًا - كبيرًا؛ ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة؛ وأوله: ثلاث^(٢) وثلاثون سنة. وقيل: أربعون.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطف على ﴿يُشْرِكُ﴾، أو على ﴿وَيُكَلِّمُ﴾.

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: جنس. وقيل: الخط باليد.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا: العلوم الدينية، أو الإصابة في القول والفعل.

﴿وَرَسُولًا﴾ حال معطوفة على ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾؛ إذ التقدير: ومعلمًا الكتاب.

أو يضمّر له فعل تقديره: أرسل رسولًا، أو جاء رسولًا.

﴿إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبینًا لحكم التوراة.

﴿أَنَّهُ﴾ تقديره: باني.

(١) في د: «قال».

(٢) في أ، ب، د، هـ: «ثلاثة».

﴿إِنِّي أَخْلُقُ﴾ بفتح الهمزة: بدلٌ من ﴿أَفِ﴾ الأول، أو من ﴿يَأْتِي﴾.

وبكسرهما: ابتداءً كلام.

﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ ذَكَرَ هُنَا الضمير؛ لأنه يعود على الطَّيْن^(١)، أو على الكاف من ﴿كَهَيْئَةٍ﴾.

وَأَنْثُ فِي «المائدة»؛ لأنه يعود على الهيئة.

﴿فَيَكُونُ طَائِرًا﴾ قيل: إنه لم يخلق غير الخُفَّاش.

وَقُرئ ﴿طَائِرًا﴾ بياء ساكنة: على الجمع، وبألف وهمزة: على الأفراد.

وَكُرِّرَ ﴿يَاذِنِ اللَّهُ﴾ رَفْعًا لَوْهَمٍ مِنْ تَوْهَمٍ فِي عَيْسَى الرُّبُوبِيَّةِ.

﴿وَأُبْرِئُ﴾ روي أنه كان يجتمع إليه جماعة من العُمَيَّانِ والبُرَصِ^(٢) فيدعو لهم فَيَبْرِؤُون.

﴿وَأُنْخِ الْمَوْتُ﴾ روي أنه كان يَضْرِبُ بِعَصَاهُ الْمَيِّتَ أو القبر، فيقوم الميت ويكلمه.

وروي أنه أحيا سَامَ بن نوح.

﴿وَأَنْبِئُكُمْ﴾ كان يقول: يا فلان أَكَلْتَ كَذَا، وَاذْخَرْتَ فِي بَيْتِكَ كَذَا.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف:

على ﴿وَرَسُولًا﴾.

(١) في ب، د: «الطير»، وما أثبتّه موافق لما في المحرر الوجيز (٢٢٨/٢).

(٢) في أ، ب، د، هـ: «والبرص»، والذي لسان العرب (٢٧٠/٨): «وجمع الأبرص بُرَصٌ».

أو على موضع: ﴿بَيَّاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ لأنه في موضع الحال، وهو أحسن؛ لأنه من جملة كلام عيسى، فالتقدير: جئتكم^(١) بآية، وجئتكم مصدقًا.

﴿وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿بَيَّاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

وكانوا قد حُرِّم عليهم الشحم، ولحم الإبل، وأشياء من الحيتان والطيور، فأحلَّ لهم عيسى بعض ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ ردُّ على مَنْ نسب الربوبية لعيسى.

وانتهى كلام عيسى ﷺ إلى قوله: ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، وابتدأه من قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾.

وكلُّ ذلك يَحْتَمِلُ:

أن يكون مما ذَكَرَت الملائكة لمريم حكايةً عن عيسى ﷺ أنه سيقوله.

ويَحْتَمِلُ أن يكون خطابٌ لمريم قد انقطع، ثم استأنف الكلام مِنْ قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾؛ على تقدير: جاء عيسى رسولاً بأنِّي قد جئتكم بآية^(٢)، ثم استمرَّ كلامه إلى آخره.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى﴾ أي: عَلِمَ علمًا ظاهرًا، كعلم ما يُدْرَك بالحواس.

﴿مِّنْ أَنْصَارِي﴾ طلبُ النَّصْرَةِ^(٣). والأنصار: جمع ناصر.

(١) في زيادة: «من ربكم».

(٢) في زيادة: «من ربكم».

(٣) في ب، ج: «طلب للنصرة».

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تقديره: مَنْ يَضِيفُ أَنْفُسَهُمْ - في نصرتي - إلى الله؛ فلذلك قيل: «إلى» هنا بمعنى: «مع».

أو: يتعلّق بمحذوف تقديره: ذاهبًا إلى الله، أو ملتجئًا إلى الله.

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ حوارِيُّ الرجل: صِفْوَتُهُ وخَالِصَتُهُ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ حوارِيٍّ، وإن حوارِيَّ الزبير»^(١).

وقيل: إنَّ الحواريين كانوا قَصَّارِينَ^(٢) يُحَوِّرون الثياب - أي: يبيضونها - ولذلك سمَّاهم الحواريين.

﴿بِمَا أَرْزَلَتْ﴾ يريدون: الإنجيل، و﴿الرَّسُولَ﴾ هنا: عيسى عليه السلام.

﴿مَعَ الشَّهِيدِ﴾ أي: مع الذين يشهدون بالحق من الأمم.

وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس.

﴿وَمَكْرُؤًا﴾ الضمير لكفار بني إسرائيل، ومكرهم: أنهم وُكِّلوا بعيسى مَنْ يقتله غيلةً.

﴿وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ أي: رفع عيسى إلى السماء، وألقى شَبَّهُهُ على من أراد اغتياله حتى قُتِلَ عَوْضًا منه.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥).

(٢) قَصْر الثوبِ قِصَارَةً وَقَصْرَهُ: حَوْرَهُ ودَقَّهُ، والقَصَّار والمُقَصِّر: المحوِّر للثياب؛ لأنه يدقُّها بالقَصْرَةِ التي هي القطعة من الخشب، وتسمى أيضًا المِقْصَرَة، وحرفته: القِصَّارَة. انظر: لسان العرب (٤١٥/٦).

وعَبَّرَ عن فِعْلِ الله بالمكر مشاكلةً لقوله: ﴿وَمَكْرُوا﴾^(١).
 ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ أي: أقواهم، وهو فاعلُ ذلك بحق، والماكر من
 البشر فاعلُ بباطل.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «عَبَّرَ عن فعل الله» إلخ. أقول: معناه أن الله سَمَّى ما يفعله بالكافرين من العقوبة مكرًا مشاكلةً لفظية، ليوافق مكر الكافرين بالرسول ﷺ والمؤمنين في الاسم، فيكون الجزاء من جنس العمل لفظًا. وهذا خطأ، والحامل عليه عند المؤلف وغيره: استقباحُ إضافة المكر إلى الله حقيقة، بناءً على اعتقاد أن المكر كله مذموم، وليس كذلك؛ بل من المكر ما هو محمود، وهو ما كان على وجه المجازاة عدلاً، ومن هذا مكرُ الله بأعدائه وأعداء رسله، جزاءً وفاقا، وسنةُ الله أن يكون الجزاء من جنس العمل. ومن مكر الله بالكافرين الإملاء لهم واستدراجهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١١٤﴾﴾.

[إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْأَيْكَ وَرَأَيْكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٣٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّيْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٣٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴿٣٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٤٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ
نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَكَ خُبْرًا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفُضْضُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ
إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٣﴾] .

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ العامل فيه : فعلٌ مضمر ، أو ﴿وَمَكْرًا﴾^(١) .

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قيل : وفاة موت ، ثم أحياء الله في السماء .

وقيل : رُفِعَ حَيًّا ، ووفاء الموت : بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدَّجَالُ .

وقيل : يعني : وفاة نوم .

وقيل : المعنى : قابضك من الأرض إلى السماء .

﴿وَرَأَيْكَ إِلَىٰ﴾ أي : إلى سمائي^(٢) .

(١) في جميع النسخ الخطية كذا : «أو يمكر» ! ، والمثبت هو لفظ الآية ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٢/٢٣٧) ، والكشاف (٤/١١٩) .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراء : قول ابن جزري في قوله تعالى في شأن عيسى ﷺ : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأَيْكَ إِلَىٰ﴾ قال : أي : «إلى سمائي» ، أقول : هذا عدولٌ باللفظ عن =

﴿وَمُطَهِّرُكُ﴾ أي: من سوءِ جوارهم.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون، وعلوُّهم على الكفار: بالحجة وبالسيف في غالب الأمر.

وقيل: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾^(١): النصارى، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اليهود؛ فالآية مخبرة عن عزّة النصارى على اليهود، وإذلالهم لهم.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من الأخبار.

﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ المتلوّة، أو المعجزات.

﴿وَالذِّكْرِ﴾ القرآن.

﴿الْحَكِيمِ﴾ الناطق بالحكمة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ الآية؛ حجة على النصارى في قولهم: كيف يكون ابنٌ دون أب؟، فمثله الله بآدم الذي خلقه دون أمٍّ ولا أبٍ، وذلك أغرب مما استبعدوه؛ فهو أقطع لقولهم.

= ظاهره، بتفسيره بلازمه؛ فإن رفع عيسى ﷺ إلى الله الذي هو مدلول اللفظ، يستلزم رفعه إلى السماء، والذي حمل ابن جزري وأمثاله على هذا التأويل مذهبهم في علو الله، وهو أنه ليس سبحانه بذاته فوق سماواته، بل هو في كل مكان، كما تقدم في عدد من المواضع التي جرى التعليق عليها، وهذا خلاف ما دلت عليه النصوص، وأجمع عليه أهل السنة، ورفع عيسى ﷺ إلى السماء التي وجده النبي ﷺ فيها ليلة الإسراء يتضمن تكريما وتقريبا، فمن كان من العباد أعلى مكانا كان أقرب إلى الله تعالى، فإبراهيم وموسى ﷺ أقرب إلى الله من المسيح، فإن إبراهيم في السماء السابعة، وموسى في السادسة، وعيسى في الثانية، كما في حديث أنس عند مسلم، (رقم ١٦٢). والله أعلم.

(١) في ب، ج، هـ: «الذين اتبعوه».

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ تفسير لحال آدم.

﴿فَبِكُونُ﴾ حكاية حال ماضية، والأصل لو قال: «خلقه من تراب ثم قال له كن فكان»، لكنه وضع المضارع موضع الماضي؛ ليصور في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم.

﴿الْحَقُّ﴾ خبر ابتداء مضمرة.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ أي: في عيسى، وكان الذي حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما: السيد، وللآخر: العاقب.

﴿نَبْتَهْلُ﴾ نلتعن، والبهلة: اللعنة؛ أي: نقول: «لعنة الله على الكاذب منا ومنكم»، هذا أصل الابتغال.

ثم استعمل في كل دعاء يُجْتَهَدُ فيه، وإن لم يكن لعنة.

ولما نزلت الآية أرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة فخافوا أن يهلكهم الله أو يمسخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملاعنة، وأعطوا الجزية.

[قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰئِنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حُجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَذَاتَ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسِنُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾].

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطابٌ لنصارى نجران، وقيل: لليهود.

﴿سَوَامٍ﴾ أي عدلٍ ونصفٍ.

﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَةٍ﴾.

أو رَفَعٌ على تقدير: هي.

ودعاهم ﷺ إلى توحيد الله، وترك ما عبدوا من دونه، كالْمسيح والأحبار والرهبان.

﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ قالت اليهود: كان إبراهيم يهوديًا، وقال النصارى: كان نصرانيًا، فنزلت الآية ردًا عليهم؛ لأنَّ ملة اليهود والنصارى إنما وُجدت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة.

﴿هَآأَنَٓتُمْ﴾ «ها» تنبيه، وقيل: بدل من همزة الاستفهام، و«أنتم» مبتدأ:
و﴿هَآوَلَاءَ﴾ خبره، و﴿حَآجَجْتُمْ﴾ استئناف.

أو: ﴿هَآوَلَاءَ﴾ منصوب على التخصيص، و﴿حَآجَجْتُمْ﴾ الخبر.

﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ فيما نطقَتْ به التوراة والإنجيل.

﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ما تقدّم على ذلك من حال إبراهيم.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ردّ على اليهود والنصارى.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفى للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في
ذلك الإشراك الذي يتضمّنه دين اليهود والنصارى.

﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ عطف على ﴿لَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾، أي: محمد ﷺ أولى الناس
بإبراهيم؛ لأنه على دينه.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: أمة محمد ﷺ.

﴿وَدَّتْ طَآئِفَةٌ﴾ هم اليهود؛ دعوا حذيفة وعمارًا ومعاذًا إلى اليهودية.

﴿وَمَا يُضِلُّوْا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: لا يعود وبال الإضلال إلّا عليهم.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: تعلمون أن محمدًا ﷺ نبيّ.

﴿لَمْ تَلْسُونَا﴾ أي: تَخِلُّطُونَ.

والحق: نبوة محمد ﷺ، والباطل: الكفر به.

[وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ
وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ
أَن يُؤْتِيَهُ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُعَاجِلْكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٧٧﴾ يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾
وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ يَقْتَارُ يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِيَدِنَا لَا يُؤْذِيهِ
إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَابِلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا
يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ وَلَا يُرْكِبُهُمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨١﴾
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوَنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ
الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾ مَا كَانَ لِشَرٍّ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّصُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا
كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٨٣﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾].

﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ﴾ كان قومٌ من اليهود أظهروا الإيمان أول النهار، ثم
كفروا آخره؛ ليخدعوا المسلمين فيقولوا: ما رجع هؤلاء إلا عن علم.
وقال السهيلي: إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصَّيْف، وعديُّ بن زيد،
والحارث بن عوف^(١).

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٧٥-٧٦.

﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يَحْتَمَلُ :

أن يكون من تمام الكلام الذي أمر النبي ﷺ أن يقوله ؛ فيكون متصلاً بقوله : ﴿إِنَّ آلِهَتَكُمْ هُذَىٰ لِلَّهِ﴾ .

وأن يكون من كلام أهل الكتاب ؛ فيكون متصلاً بقولهم : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ، ويكون ﴿إِنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ اعتراضاً بين الكلامين .

فعلى الأول : يكون المعنى : كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم : قلتم ما قلتم ، ودبرتم ما دبرتم من الخداع .

فموضع ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ﴾ :

مفعولٌ من أجله .

أو منصوبٌ بفعل مضمر تقديره : فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة .

وعلى الثاني : يكون المعنى : لا تؤمنوا أي : لا تُقرُّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ، واكتموا ذلك عمَّن لم يتبع دينكم ؛ لئلا يدعوهم إلى الإسلام .

فموضع ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ﴾ :

مفعولٌ بـ ﴿تُؤْمِنُوا﴾ المضمر معنى : تُقرُّوا .

ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله ؛ أي : لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ؛ كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم .

﴿أَوْ يُعَاجِزُ﴾ عطفٌ على ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾، وضمير الفاعل: للمسلمين، وضمير المفعول: لليهود.

﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ ردٌّ على اليهود في قولهم: لم يؤتِ الله أحداً مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة والشرف.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية؛ إخبارٌ أن أهل الكتب على قسمين: أمين، وخائن.

وذكر القنطار مثلاً^(١) للكثير؛ فمن أذاه أدى ما دونه، وذكر الدينار مثلاً للقليل؛ فمن منعه منع ما فوقه بطريق الأولى.

﴿قَابِأً﴾ يحتمل أن يكون:

من القيام الحقيقي بالجسد.

أو من القيام بالأمر؛ وهو العزيمة عليه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى خيانتهم، والباء: للتعليل.

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا أن أموال المؤمنين - وهم العرب - حلالٌ لهم.

﴿الْكُذْبَ﴾ هنا: قولهم: إن الله أحلها لهم في التوراة، أو كذبهم على الإطلاق.

﴿بَكَى﴾ أي: عليهم سبيلٌ واتباعٌ في أموال المؤمنين.

﴿بِعَهْدِهِ﴾ الضمير يعود على: ﴿مَنْ﴾، أو على ﴿اللَّهُ﴾.

(١) في ب، ج، هـ: «وذكر القنطار مثلاً».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في اليهود؛ لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا.

وقيل: نزلت بسبب خصومة بين الأشعث بن قيس وآخر، فأراد خصمه أن يحلف كاذباً.

﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ﴾ الضمير عائد على أهل الكتاب.

﴿يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ أي: يحرفون اللفظ، أو المعنى.

﴿لِتَحْسِبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دلَّ عليه قوله: ﴿يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمْ﴾، وهو الكلام المحرف.

﴿مَا كَانَ لِشَرِّ﴾ الآية؛ هذا النفي يتسلط^(١) على ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ﴾، والمعنى: لا يدعي الربوبية من آتاه الله النبوة.

والإشارة: إلى عيسى عليه السلام، ردّ على النصارى الذي قالو: إنه إله.

وقيل: إلى محمد ﷺ؛ لأن اليهود قالوا له: يا محمد أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: «معاذ الله!، ما بذلك أمرت، ولا إليه دعوت»^(٢).

﴿رَبَّنَا﴾ جمع ربّاني؛ وهو العالم.

وقيل: الرباني: الذي يرّبي الناس بصغار العلم قبل كباره.

﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ الباء: سببية، و«ما»: مصدرية.

(١) في ب، ج، هـ: «متسلط».

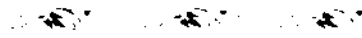
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٥٢٤).

﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف : تَعْرِفُونَ .

وقرئ بالتشديد : من التَّعليم .

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع : استئناف ، والفاعل : الله ، أو البشر المذكور .

وقرئ بالنصب : عطفًا على ﴿أَنْ يُؤَيِّتَهُ﴾ ، أو على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ ، والفاعل على هذا : البشر .



[وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٧﴾ أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَعْجُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٠﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٩١﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ خَلَدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٩٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٦﴾].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ معنى الآية: أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ وينصره إن أدركه، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء.

واللام في قوله: ﴿لَمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ لام التوطئة؛ لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف.

واللام في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ جواب القسم.

و«ما» يَحْتَمَلُ :

أن تكون شرطية، و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ سُدَّ مَسَدُ جَوَابِ الْقَسَمِ وَالشَّرْطِ .

وأن تكون موصولة؛ بمعنى : الذي آتيناكموه لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ .

والضمير في : ﴿بِهِ﴾ و﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ : عائدٌ على الرسول .

﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ اعترفتُم .

﴿إِصْرِي﴾ عهدي .

﴿فَأَشْهَدُوا﴾ أي : على أنفسكم، وعلى أُمَمِكُمْ بالتزام هذا العهد .

﴿وَأَنَا مَعَكُمْ﴾ تأكيدٌ للعهد بشهادة ربِّ العزة ﷻ .

﴿بِمَدِّ ذَٰلِكَ﴾ أي : مَنْ تَوَلَّى عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق

فهو فاسقٌ مُتَمَرِّدٌ^(١) في كفره .

﴿أَفْصَحَ﴾ الهمزة : للإنكار، والفاء : عطفت جملةً على جملة، و«غيرَ» :

مفعولٌ؛ قُدِّمَ : للاهتمام به، أو للحصر .

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ أي : انقاد واستسلم .

﴿طَوَّعًا وَكَرْهًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال .

وَالطَّوَّعُ : للمؤمنين .

وَالْكَرْهُ : للكافر إذا عاين الموت .

وقيل : عند أخذ الميثاق المتقدم .

(١) في ج : «مرتد»، وفي د : «مترد»، والمثبت موافق لعبارة الكشف (٤/١٦٧) .

وقيل : إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرهاً .

﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ أمر النبي ﷺ أن يُخَبِّرَ عن نفسه وعن أمته بالإيمان .

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ تعدى هنا بـ «على» ؛ مناسبة لقوله : ﴿قُلْ﴾ .

وفي «البقرة» بـ «إلى» ؛ لقوله : ﴿قَالُوا﴾ ؛ لأن «على» حرف استعلاء يقتضي النزول من علو ، ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبي ﷺ ، و«إلى» حرف غاية ؛ وهو موصول^(١) إلى جميع الأمة .

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ الآية ؛ إبطال لجميع الأديان غير الإسلام .

وقيل : نسخت : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى﴾ [البقرة : ٦٢] الآية .

﴿كَيْفَ﴾ سؤال ، والمراد به هنا : استبعاد الهدى .

﴿قَوْمًا كَفَرُوا﴾ نزلت في الحارث بن سُويْدٍ وغيره ؛ أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار ، ثم كتبوا إلى أهلهم : هل لنا من توبة ؟ فنزلت الآية إلى قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ، فرجعوا إلى الإسلام .

وقيل : نزلت في اليهود والنصارى ، شهدوا بصفة النبي ﷺ ، وآمنوا به ، ثم كفروا به لما بُعث .

﴿وَشَهِدُوا﴾ عطف على ﴿إِيْمَانِهِمْ﴾ ؛ لأن معناه : بعد أن آمنوا .

وقيل : الواو للحال .

وقال ابن عطية : عطف على ﴿كَفَرُوا﴾ ، والواو لا ترتب^(٢) .

(١) في ب : «موصول» .

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٨) .

﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ عمومٌ بمعنى الخصوص في المؤمنين .

أو على عمومه ؛ وتكون اللعنة في الآخرة .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الضمير عائد : على اللعنة .

وقيل : على النار وإن لم تُذكر ؛ لأنَّ المعنى يقتضيها .

﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ قيل : هم اليهود ؛ كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى ،

ثم ازدادوا كُفْرًا بكفرهم بمحمد ﷺ .

وقيل : كفروا بمحمد ﷺ بعدما كانوا مؤمنين قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كُفْرًا

بعداوتهم له وطعنهم عليه .

وقيل : هم الذين ارتدُّوا .

﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قيل : ذلك عبارة عن موتهم على الكفر ؛ أي : ليس

لهم توبة فتقبلُ ، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر .

وقيل : لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر ؛ فذلك عامٌّ .

﴿فَلَنْ يُبَكِّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾ جَزْمٌ بالعذاب لكلِّ مَنْ مات على الكفر .

والواو في قوله : ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِدُخَانٍ﴾ :

قيل : زائدةٌ .

وقيل : للعطف على محذوف ؛ كأنه قال : لن يقبل من أحدهم لو تصدَّق

به ، ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِدُخَانٍ﴾ .

وقيل : نفى أوَّلَا القبول جملةً على الوجوه كلّها ، ثم خصَّ الفدية بالنفي ؛

كقولك : أنا لا أفعل كذا أصلاً ولو رَغِبْتَ إِلَيَّ .

[لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْهِيكُمْ عَلَيْهِ ٩٢] ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِيَّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْزَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [١٠١]

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي: لن تكونوا من الأبرار، و^(١) لن تنالوا البرَّ الكامل حتى تنفقوا مما تحبونه من أموالكم.

ولما نزلت قال أبو طلحة: إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ يَبْرَحِي^(٢)، وإنها صدقة. وكان ابن عمر يتصدق بالسكر؛ ويقول: إني لأحبه.

(١) في هـ، د: «أو».

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٧٥): «هذه اللفظة كثيرًا ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها، فيقولون يبرحاء، بفتح الباء وكسر ها، وفتح الراء وضمها، والمد فيهما، وفتحهما والقصر، وهي اسم مالٍ وموضع بالمدينة»، وقال الزمخشري في «الفاق» (١/ ٩٣): «كانها فيعل، من البراح، وهي الأرض المنكشفة الظاهرة».

﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ الآية؛ إخبارٌ أن الأطعمة كانت حلالاً لبني إسرائيل،
إلا ما حرّم أبوهّم على نفسه؛ وهو لحم الإبل ولبنها.

ثم حرّمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشُحوم وغيرها؛ عقوبة لهم على معاصيهم.

وفيها ردّ عليهم في قولهم: إنهم على ملّة إبراهيم عليه السلام، وإنّ الأشياء التي هي محرّمة عليهم كانت محرّمة على إبراهيم.

وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه؛ لأنّ الله حرّم عليهم تلك الأشياء بعد حلّها، خلافاً لليهود في قولهم: إنّ النسخ محال على الله.

وفيها معجزة للنبي ﷺ؛ لإخباره بذلك من غير تعلّم من أحد.

وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه: أنه مرض، فنذر إن شفاه الله أن يُحرّم أحبّ الطعام إليه؛ شكراً لله وتقرباً إليه.

ويؤخذ من ذلك: أنه يجوز للأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم.

﴿قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ﴾ تعجيز لليهود، وإقامة حجة عليهم.

وروي: أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة.

﴿مَنْ أَفْتَرَى﴾ أي: من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرّماً على بني إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظّالم المكابر بالباطل.

﴿صَدَقَ اللَّهُ﴾ أي: الأمر كما وصف، لا كما تكذبون أنتم؛ ففيه تعريض بكذبهم.

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلزامٌ لهم أن يُسَلِّمُوا؛ لما ثبت أن مِلَّةَ الإسلام هي مِلَّةُ إبراهيم التي لم يحرم فيها شيءٌ مما هو محرمٌ عليهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أي: أول مسجد بُني في الأرض.

وقد سأل أبو ذرُّ النَّبِيِّ ﷺ: أيُّ مسجد بني أولٌ^(١)؟ قال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس»^(٢).

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: المعنى: أنه أول بيت وُضِعَ مباركاً وهدى، وقد كانت قبله بيوتٌ.

﴿بَيْكَةً﴾ قيل: هي مكة؛ والباء بدل من الميم.

وقيل: مكة: الحرم كله، وبَيْكَةً: المسجد وما حوله.

﴿مُبَارَكًا﴾ نُصِبَ على الحال، والعامل فيه:

على قول علي: ﴿وُضِعَ﴾؛ لأنه حالٌ من الضمير الذي فيه.

وعلى القول الأول: هو حالٌ من الضمير الذي في المجرور، والعامل فيه: العامل في المجرور من معنى الاستقرار.

﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ آيات البيت^(٣) كثيرة:

منها: الحجر الذي هو مقام إبراهيم، وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى

(١) في د: «أولاً»، ووردت بالوجهين في صحيح مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٣) في ب، ج، هـ، د: «البيئات».

أكمل البناء، وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر باقٍ إلى اليوم.

ومنها: أن الطير لا تعلوه.

ومنها: إهلاك أصحاب الفيل، ورد الجابرة عنه.

وتبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه، وحفر عبد المطلب لها بعد دئورها، وأن ماءها ينفع لما شرب به، إلى غير ذلك.

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قيل: إنه بدل من الآيات، أو عطف بيان؛ وإنما جاز بدل الواحد من الجمع؛ لأن المقام يحتوي على آيات كثيرة؛ لدلالته على قدرة الله تعالى، وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك.

وقيل: الآيات: مقام إبراهيم، وأمن من دخله؛ فعلى هذا: يكون قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ عطفًا.

وعلى الأول: استئنافًا.

وقيل: التقدير: منهن مقام إبراهيم؛ فهو على هذا: مبتدأ.

والمقام: هو الحجر المذكور.

وقيل: البيت كله.

وقيل: مكة كلها.

﴿كَانَ آمِنًا﴾ أي: آمنًا من العقاب؛ فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحد جريرة^(١) ثم لجأ إلى البيت لا يطلب، ولا يعاقب.

(١) في د: «جريمة».

فأما في الإسلام: فإنَّ الحرم لا يَمْنَع من الحدود، ولا من القصاص .
وقال ابن عباس وأبو حنيفة: ذلك الحكم باقٍ في الإسلام؛ إلَّا أنَّ
مَنْ وجب عليه حدٌّ أو قصاصٌ فدخل الحرم لا يُطْعَم ولا يُباع منه حتى
يُخرج .

وقيل: آمناً من النار .

﴿حَجَّ الْبَيْتِ﴾ بيانٌ لوجوب الحج، واختلف هل هو على الفور أو على
التراخي؟ .

وفي الآية ردٌّ على اليهود؛ لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم: إن
كنتم صادقين فحُجُّوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه .

﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ﴾ «مَنْ»: بدلٌ من ﴿النَّاسِ﴾ .

وقيل: فاعلٌ بالمصدر؛ وهو ﴿حَجُّ﴾ .

وقيل: شرطٌ مبتدأ؛ أي: من استطاع فعليه الحجُّ .

والاستطاعةُ:

عند مالك: هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحَّةِ البدن، إمَّا راجلاً
وإمَّا راكباً، مع الزاد المبلَّغ والطريق الآمن .

وقيل: الاستطاعة: الزاد والراحلة؛ وهو مذهب الشافعي وعبد الملك
ابن حبيب، وروي في ذلك حديث ضعيف^(١) .

(١) أخرجه الدارقطني (٢١٣/٣)، والبيهقي (٢٠٦/٩) .

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قيل : المعنى : من لم يحجَّ ؛ وعَبَّرَ عنه بالكفر تغليظًا ؛ كقوله ﷺ : «من ترك الصلاة فقد كفر»^(١).

وقيل : أراد اليهود ؛ لأنهم لا يحجُّون .

وقيل : مَنْ زعم أن الحج ليس بواجب .

﴿لَمْ تَكْفُرُوا﴾ توبيخٌ لليهود .

﴿لَمْ تَصُدُّوا﴾ توبيخٌ أيضًا ، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ، ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم .

﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هنا : الإسلام .

﴿تَبْعُونَهَا عِوَجًا﴾ الضمير يعود على السبيل ؛ أي : تطلبون لها الاعوجاج .

﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أي : تشهدون أن الإسلام حق .

﴿إِنْ تُطِيعُوا فِرْعَانَ﴾ الآية ؛ لفظها عام ، والخطاب للأوس والخزرج ؛ إذ كان اليهود يريدون فتنهم .

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكارٌ واستبعاد .

.....

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٢)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٣٧) (٢٣٠٠٧).

[يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّفُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَالِيهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَعْيَصُوا
 بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَالِمُكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
 فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
 لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ
 بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٩﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا
 الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦٠﴾
 وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوهَا
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
 تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٦٣﴾].

﴿حَقَّ تَقَالِيهِ﴾ قيل: نسخها: ﴿فَأَنفُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقيل: لا نسخ؛ إذ لا تعارض، فإنَّ العباد أُمرُوا بالتقوى على الكمال
 فيما استطاعوا؛ تحرُّراً من الإكراه وشبهه.

﴿وَأَعْيَصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: تمسكوا، والحبل هنا: مستعار من الحبل
 الذي يُشدُّ عليه اليد.

والمراد به هنا: القرآن، وقيل: الجماعة.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ نهى عن التدابر والتقاطع؛ إذ كان الأوس همُّوا بالقتال مع
 الخزرج، لما رام اليهود إيقاع الشرِّ بينهم.

ويَحتمل أن يكون نهياً عن التفرُّق في أصول الدين.

ولا يدخل في النهي: الاختلاف في الفروع.

﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ﴾ كان بين الأوس والخزرج عداوةٌ وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله على الإسلام.

﴿شَفَا حُفْرَهُ﴾ أي: حَرَفِ حَفْرَةٍ، وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار.

﴿وَلَنْتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآية؛ دليلٌ على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ.

وقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ دليلٌ على أنه فرض كفاية؛ لأن «مِنْ» للتبعض.

وقيل: إنها لبيان الجنس، وأن المعنى: كونوا أمةً.

وتغيير المنكر يكون: باليد وباللسان وبالقلب، على حسب الأحوال.

﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ هم اليهود والنصارى، نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم.

ورد في الحديث أنه عليه السلام قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين^(١) وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: «مَنْ كان على ما أنا وأصحابي عليه»^(٢).

﴿يَوْمَ بَيَضَ وُجُوهٌُ﴾ العامل فيه: محذوفٌ. وقيل: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(١) في أ، ب، هـ: «اثنتين».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) واللفظ له، وأبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وأحمد (١٢٤٧٩).

﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ أي: يقال لهم: ﴿ أَكْفَرْتُمْ ﴾ .

والخطاب: لمن ارتدَّ عن الإسلام .

وقيل: للخوارج .

وقيل: لليهود؛ لأنهم آمنوا بصفة النبي ﷺ المذكورة في التوراة، ثم كفروا به لما بعث .



[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا آذَىٰ وَإِنْ يُقَاتِلْكُمْ يَوْلُوكُمْ إِلَّا ذَبَابٌ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرِبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَنْ مَا تُلْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرِبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِأُمُورِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقَاكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَسْأَلُهُمْ حَسَنَةُ سَأَلِهِمْ وَإِنْ تُسْأَلُكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا تَسْتَفُوزُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾] .

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ «كان» هنا : هي التي تقتضي الدوام ، كقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا رَحِيمًا﴾ .

وقيل : كنتم في علم الله .

وقيل : كنتم فيما وُصِفتم به في الكتب المتقدمة .

وقيل : «كنتم» بمعنى : «أنتم» .

والخطاب : لجميع المؤمنين . وقيل : للصَّحابة خاصة .

﴿لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ أي : بالكلام خاصة ، وهو أهون المضرة .

﴿يُؤْلِكُكُمْ الْأَذْيَارُ﴾ إخبارٌ بغيب ظهر في الوجود صدقهُ .

﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُوكَ﴾ إخبارٌ مستأنفٌ ، غير معطوف على ﴿يُؤْلِكُكُمْ﴾ ، وفائدة

ذلك : أنَّ توليتهم الأدبارَ مقيّدةٌ بوقت القتال ، وعدم النصر على الإطلاق .

وعُطِفَت الجملة على جملة الشرط والجزاء .

و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأحوال ؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشدُّ من

توليتهم الأدبارَ حين القتال .

﴿إِلَّا يَجْلِبَ مِنَ اللَّهِ﴾ هو هنا : العهد والذمة .

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي : ليس أهلُ الكتابِ مستويين^(١) في دينهم .

﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي : قائمةٌ بالحق ، وذلك فيمن أسلم من اليهود ، كعبد الله

بن سلام ، وثعلبة بن سعية وأخيه أسد وغيرهم .

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يدلُّ أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة .

﴿فَلَنْ تُكَفِّرُوهُ﴾ أي : لا تحرمون ثوابه .

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ الآية ؛ تشبيهٌ لنفقة الكفار بزرع أهلكته ريحٌ باردة ، فلم

(١) في أ : «مستويين» .

ينتفع به أصحابه، فكَذَلِكَ لَا يَنْتَفِعُ الْكَافِرُ بِمَا يَنْفِقُونَ.

وفي الكلام حذف تقديره:

مَثَلُ مَا يَنْفِقُونَ كَمَثَلِ مُهْلِكِ رِيحٍ.

أو: مَثَلُ إِهْلَاكِ مَا يَنْفِقُونَ كَمَثَلِ إِهْلَاكِ رِيحٍ.

وإنما احتيج لهذا؛ لأنَّ ما ينفقون ليس شبيهاً بالريح، إنما هو شبيهٌ بالزَّرْعِ الذي أهلكته الريح.

﴿صِرْ﴾ أي: برُدُّ.

﴿حَرَّتْ قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: عَصَوْا اللَّهَ فَعَاقَبَهُمْ بِإِهْلَاكِ حَرْثِهِمْ.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ الضمير:

للكفار والمنافقين.

أو لأصحاب الحرث.

والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعلٌ حالٍ فدلَّ^(١) على أنه للحاضرين.

﴿يُطَاغَتْ مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: أولياء من غيركم؛ فالمعنى: نهى عن استخلاص الكفار وموالاتهم.

وقيل لعمر رضي الله عنه: إن هنا رجلاً من النصارى لا أحدَ أحسنُ خطاً منه،

(١) في ب: «يدل».

أفلا يكتب عنك؟ فقال: إِذَنْ أَتَّخِذُ بَطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ^(١).

﴿لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لَا يُقْصِرُونَ فِي فِسَادِكُمْ، والخبال: الفساد.

﴿وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: تَمَنُّوْا مُضِرَّتْكُمْ، و«ما» مصدرية.

وهذه الجملة والتي قبلها:

صفة للبطانة.

أو استئناف.

﴿وَتُؤْمِنُوْنَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ، واليهود لَا يُؤْمِنُونَ بقرآنكم.

﴿عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْآنَامِلَ﴾ عبارة عن شِدَّة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه.

﴿وَالْآنَامِلَ﴾: جمع أنملة بضم الميم وفتحها.

﴿مُؤْتُوْا بِغَيْظِكُمْ﴾ تَقْرِيعٌ وإِغَاظَةٌ، وقيل: دعاء.

﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً﴾ الحسنة هنا: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة: ضدها.

﴿لَا يَضِرُّكُمْ﴾ مِنَ الضَّرِّ؛ بمعنى الضَّرِّ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٩/١٤).

[وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ رَبُّكُمْ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٣٤﴾ بَلَى إِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٣٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٣٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْنُتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَآيِينَ ﴿١٣٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٩﴾].

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نزلت في غزوة أحد، وكان غدو رسول الله ﷺ للقتال صبيحة يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة.

﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزلهم، وذلك يوم السبت حين حضر القتال. وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف؛ لأنه لا يقال: «غدوت» فيما بعد الزوال إلا على المعجاز. وقيل: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس، وذلك ضعيف؛ لأنه لم يَبَوِّئْ حينئذٍ مقاعد للقتال؛ إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة.

﴿مَقْعِدَ﴾ مواضع، وهو جمع مقعد.

﴿طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ هما: بنو حارثة من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج

لَمَّا رَأَوْا كَثْرَةَ الْمُشْرِكِينَ وَقَلَّةَ الْمُسْلِمِينَ هُمَا بِالْإِنْصِرَافِ؛ فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ وَنَهَضُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ الفشل في البدن: هو الإعياء، والفشل في الرأي: هو العجز والحيرة وفساد العزم.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: مُبْتَتِيهِمَا.

وقال جابر بن عبد الله: ما وددنا أنها لم تنزل؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ تذكير بنصر الله يوم بدر؛ لتقوى قلوبهم.

﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ هذه الذلة: هي قلة عددهم وضعف عددهم؛ كانوا يوم بدر ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، ولم يكن لهم إلا فرس واحد، وكان المشركون ما بين التسع مئة والألف، وكان معهم مئة فرس، فقتل من المشركين سبعون، وأسر منهم سبعون، وانهزم سائرهم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلق: بـ ﴿نَصَرَكُمُ﴾، أو بـ ﴿فَاتَّقُوا﴾، والأول أظهر.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان هذا القول: يوم بدر.

وقيل: يوم أحد.

فالعامل في «إذ»:

على الأول: محذوف.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).

وعلى الثاني: هي بدلٌ من: ﴿وَإِذَا غَدَوْتَ﴾.

﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ تقريرٌ، جوابه: ﴿بَلَى﴾.

وإنما جابوب المتكلم؛ لصحة الأمر وبيانه؛ كقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ قَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفور: السرعة^(١).
أي: من ساعتهم.

وقيل: المعنى: من سفرهم.

﴿بِحَمْسَةِ آلْفٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم^(٢)؛ ليزيد ذلك في قوتكم^(٣).

فإن كان هذا يومَ بدر: فقد قاتلت فيه الملائكة.

وإن كان يومَ أحد: فقد شرط قوله: ﴿إِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا﴾، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة.

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ - بفتح الواو وكسرها - أي: مُعَلِّمِينَ، أو مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ أو خيلهم.

وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمامَ بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء.

(١) في هـ، ج: «الساعة»، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٢٥٢/٤).

(٢) في ج، د: «يكفيهم».

(٣) في هـ، د: «قوتهم».

وقيل : كانوا بعمائم صفر، وكانت خيلهم مجزوزة الأذنان.

وقيل : كانوا على خيل بُلقِي.

﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على : الإنزال و^(١)الإمداد.

﴿وَلِنُظْمَيْنَ﴾ معطوف على ﴿بُشْرَى﴾ ؛ لأنه هذا الفعل بتأويل المصدر.

وقيل : يتعلّق بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿جَعَلَهُ﴾.

﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلّق :

بقوله : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

أو بقوله : ﴿وَمَا أَلْتَصِرُ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوفين.

ونزلت لما دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياء من العرب، فترك الدعاء عليهم^(٢).

﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ معناه : يُسَلِّمُونَ.



(١) في أ : «أو».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩).

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا اَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢٢﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٢٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٢٧﴾ هَٰذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ إِن يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَذَٰلِكَ الْآيَاتُ لِنُذْلِقَ لَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٠﴾ وَلِيَمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ أَم حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَيَعْلَمِ الضَّالِّينَ ﴿١٣٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٣٣﴾].

﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ كانوا يزدون فيه كلما حلَّ، عامًا بعد عام.

﴿سَارِعُوا﴾ بغير واو: استئناف، وبالواو: عطف على ما تقدّم.

﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ أي: إلى الأعمال التي تستحقّون بها المغفرة.

﴿عَرْضُهَا﴾ ابنُ عباس: تُقَرَّنُ السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تُبَسِّطُ الثياب، فذلك عَرْضُ الجنة، ولا يعلم طولها إلّا الله.

وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول، وإنما المعنى: سعتها كسعة السموات والأرض.

﴿فِي السَّرَّاءِ وَالْفَرَآءِ﴾ في العسر واليسر.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حُذِفَ مفعولُه، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين؛ تأنيساً لهم.

وقيل: للكفار؛ تخويفاً لهم.

﴿فَانْظُرُوا﴾ من نظر العين عند الجمهور.

وقيل: هو بالفكر.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تقويةٌ لقلوب المؤمنين.

﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ إخبارٌ بعلو كلمة الإسلام.

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية؛ معناها: إن مسَّكم قتلٌ أو جراح في أحد فقد مسَّ الكفار مثله في بدر.

وقيل: قد مسَّ الكفار يومَ أحد مثلُ ما مسَّكم فيه؛ فإنهم نالوا منكم ونلتهم منهم.

وذلك تسليّة^(١) للمؤمنين بالتأسي.

﴿نُذَاوِلُهَا﴾ تسليّةٌ أيضاً عما جرى يوم أحد.

(١) في د: «تأنيس».

﴿وَلْيَعْلَمَ﴾ متعلق بمحذوف؛ تقديره: أصابكم ما أصاب يوم أحد؛
ليعلم.

والمعنى: ليعلم ذلك علماً ظاهراً لكم تقوم به الحجة.

﴿شُهَدَاءَ﴾ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ.

﴿وَلْيُمَجِّصَ﴾ أي: يُطَهَّرَ، وقيل: يُمَيِّزَ.

وهو معطوف على ما تقدّم من التعليقات لقصة أحد.

والمعنى: أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين،
وأنّ نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين؛ أي: يهلكهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ «أم» هنا منقطعة، مقدّرة بـ «بل» والهمزة عند سيبويه.

وهذه الآية وما بعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم
أحد.

﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ خوطب به قوم فاتهم غزوة بدر، فتمنّوا حضور قتال
الكفار مع النبي ﷺ؛ ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد، فعلى هذا: إنما
تمنّوا الجهاد، وهو سبب الموت.

وقيل: تمنّوا الشهادة في سبيل الله.

[﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٧٨)]
 وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ (٧٩) وَكَأَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (٨٠) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتُبْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨١) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ (٨٢).

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ المعنى: أن محمداً ﷺ رسولٌ كسائر الرسل؛ قد بلغ الرسالة كما بلغوا، فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته. وسببها: أنه صرخ صارخ يوم أحد: إن محمداً قد مات، فتزلزل بعض الناس.

﴿أَفَإَيْنَ مَاتَ﴾ دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء؛ لتربط الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها.

والمعنى: أن موت رسول الله ﷺ أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم؛ لأن شريعته قد تقررت، وبراهينه قد صحت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات ﷺ، أو قُتل، وقد علم أنه لا يُقتل؛ ولكنه^(١) ذكر ذلك لما كان قد صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم.

﴿الشَّاكِرِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب عليه السلام: الثابتون على دينهم.

(١) في ب، ج، هـ: «ولكن»

﴿كُنِبًا مُّوْجَلًّا﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: كُتِبَ الْمَوْتُ كِتَابًا.

وقال ابن عطية: نصب على التمييز^(١).

﴿نُؤْيِهِ مِنْهَا﴾ في ثواب الدنيا مقيدًا بالمشيئة؛ بدليل قوله: ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾ الفعل مسندٌ إلى ضمير النبي، و﴿مَعَهُ رِيثُونَ﴾ على هذا في موضع الحال.

وقيل: إنه مسندٌ إلى الرّثيين، فيكون^(٢) ﴿رِيثُونَ﴾ على هذا مفعولًا لما لم يُسمَّ فاعله.

فعلى الأول: يوقف على قوله: ﴿قُتِلَ﴾.

ويترجَّح الأوَّل: بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمدًا قد قُتل، فضرب لهم المثل بنبيٍّ قُتل.

ويترجح الثاني: بأنه لم يُقتل قطُّ نبيٍّ في محاربة.

﴿رِيثُونَ﴾ علماء؛ مثل ﴿رَبَّكَيْنِ﴾.

وقيل: جموعٌ كثيرة.

﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ الضمير لـ ﴿رِيثُونَ﴾؛ على إسناد القتل للنبي.

وهو لمن بقي منهم؛ على إسناد القتل إليهم.

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٧٤).

(٢) في أ، د: «ويكون».

﴿وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ أي: لم يذُلُّوا للكفار.

قال بعض النحاة: استكانَ مشتقٌّ من الشُّكون، ووزنه افتَعَلُوا؛ مُطِلَّتْ^(١) فتحة الكاف فحدث عن مَظِلِّهَا أَلَفٌ، وذلك كالإشباع.

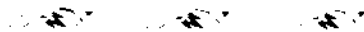
وقيل: أنه من: كان يكون، فوزنه استفعلوا^(٢).

وقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ وما بعده: تعريضٌ بما صدر من بعض الناس يوم أحد.

﴿وَنَسِيتَ أَقْدَامَنَا﴾ أي: في الحرب.

﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر.

﴿ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الجنة.



(١) المَظِلُّ: المدُّ. كما في القاموس المحيط، مادة (م ط ل).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٣٨١): «أصله: استكُونُوا، نُقِلَتْ حركة الواو إلى الكاف، وقُلِبَتْ أَلِفًا.. والمعنى: إنَّهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبًا من ذلك».

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِيدُوكُمْ عَلَىٰ آغَاقِكُمْ فَيَتَغَلَّبُوا بِهِ سِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَيَبْسُ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ مَكَّدَكُمْ اللَّهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوُتُ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا كُنْتُمْ لِيَكِيلًا تَحَرَّوْا عَلَى مَا قَاتَكُم وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نَّاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾].

﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قضية^(١) أحد ما قالوا .

وقيل : مشركو قريش .

وقيل : اليهود .

(١) في د : «قصة» .

﴿الرُّعْبَ﴾ قيل : ألقى الله الرعبَ في قلوب المشركين بأحد، فرجعوا إلى مكة من غير سبب .

وقيل : لما كانوا ببعض الطريق همُّوا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين ، فألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا .

والآية بعدُ تتناول جميع الكفار ؛ لقوله ﷺ : «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ»^(١) .

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَكُمْ اللَّهُ وَعَذَهُ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر ، فنصرهم الله أولاً ، وانهزم المشركون وقُتل منهم اثنان وعشرون رجلاً ، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرُّماة أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا ، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمِعوا في الغنيمة وأتبعوهم ، وخالفوا ما أمروا به من الثبوت في مكانهم ، فانقلبت الهزيمة على المسلمين .

﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾ أي : تقتلونهم قتلاً ذريعاً ؛ يعني : في أوَّل الأمر .

﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ وقع التنازع بين الرماة ، فثبت بعضهم كما أمروا ، ولم يثبت بعضهم .

﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أي : خالفتُم ما أمرتم به من الثبوت .

وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين ، وإن كان المخالف بعضهم ؛ وعظماً للجميع ، وسترًا على مَنْ فعل ذلك .

وجواب ﴿إِذَا﴾ : محذوفٌ ؛ تقديره : انهزمتُم .

﴿مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الذين حرصوا على الغنيمة .

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (٥٢١) .

﴿لِيَنْتَلِيَكُمْ﴾ معناه: لِيَنْزِلَ بِكُمْ ما نَزَلَ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّمْحِصِ.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ إعلَامٌ بِأَنَّ الذَّنْبَ كَانَ يَسْتَحِقُّ أَكْثَرَ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ؛
لَوْلَا عَفْوُ اللَّهِ عَنْهُمْ، فَمَعْنَاهُ: لَقَدْ أَبْقَى عَلَيْكُمْ.

وَقِيلَ: هُوَ عَفْوٌ عَنِ الذَّنْبِ.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ الْعَامِلُ فِي «إِذْ»:

﴿عَفَا﴾؛ فَيُوصَلُ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ مَعَ مَا قَبْلَهُ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ مُضْمَرًا.

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ مَبَالِغَةً فِي صِفَةِ الْإِنْهَزَامِ.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ^(١): «إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ»،
وَهُمْ يَفْرُونَ ^(٢).

﴿فِي أَخْرَجْتَكُمْ﴾ فِي سَاقَتِكُمْ.

وَفِيهِ مَدْحٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَإِنَّ الْآخِرَ هُوَ مَوْقِفُ الْأَبْطَالِ ^(٣).

﴿فَأَنْتَبَهُكُمْ﴾ أَي: جَازَاكُمْ.

﴿عَمَّا يَفْعَلُ﴾ قِيلَ: أَثَابَكُمْ غَمًّا بِسَبَبِ الْغَمِّ الَّذِي أَدْخَلْتُمُوهُ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ عَصَيْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ.

(١) فِي د: «يَنَادِي».

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٤٧/٦).

(٣) فِي ه، ج: «فَإِنَّ الْآخِرَ مَوْقِفُ الْأَبْطَالِ».

وقيل: أتابكم غمًا متّصلًا بغمٍّ؛ وأحد الغمّين: ما أصابهم من القتل والجراح، والآخر: ما أُرْجِفَ به من قتل رسول الله ﷺ.

﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من النّصر والغنيمة.

﴿مَا أَصَبَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام.

﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ قال ابن مسعود: نعسنا يوم أحد، والنّعاس في الحرب أمنٌ من الله^(١).

﴿يَفْشَى طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾ هم المؤمنون المخلصون، غَشِيَهُم النعاس؛ تأمينا لهم.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون، كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان والمشركون.

﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ معناه: يظنون أن الإسلام ليس بحقٍّ، وأن الله لا ينصره. و﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ بدلٌ؛ وهو على حذف موصوفٍ، تقديره: ظنَّ المدَّةَ الجاهلية، أو الفرقة الجاهلية.

﴿هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ قالها عبد الله بن أبيّ بن سلول، والمعنى: ليس لنا رأيٌ، ولا يُسمع قولنا.

أو: لسنا على شيءٍ من الأمر الحقِّ؛ فيكون قولهم هذا كفرًا.

(١) أخرجه الطبري في تفسير (٦/١٦٣) بلفظ: «النعاس في القتال أمانة، والنعاس في الصلاة من الشيطان».

﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ :

الْأَقْوَالُ الَّتِي قَالُوهَا .

أَوْ الْكُفْرَ .

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قَالَهُ مُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وَيَحْتَمِلُ مِنَ الْمَعْنَى مَا احْتَمَلَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي .

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ الْآيَةُ ؛ رَدُّ عَلَيْهِمْ ، وَإِعْلَامٌ بِأَنَّ أَجَلَ كُلِّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُقْتَلْ يَمُوتُ لِأَجَلِهِ ، وَلَا يُؤَخَّرُ ، وَأَنَّ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ لَا يَنْجِيهِ مِنْهُ شَيْءٌ .

﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ يَتَعَلَّقُ بِفَعْلٍ ، تَقْدِيرُهُ : لِيَبْتَلِيَ فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ الْآيَةُ ؛ نَزَلَتْ فِي مَنْ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ .

﴿أَسْتَزَلَّهُمْ﴾ أَيِ : طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَزِلُّوا .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : أَزَلَّهُمْ ؛ أَيِ : أَوْقَعَهُمْ فِي الزَّلَلِ .

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أَيِ : كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ عَاقِبَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا ؛ بِأَنَّ مَكْنَ الشَّيْطَانَ^(١) مِنْ اسْتَزَلَّ لَهُمْ .

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أَيِ : غَفَرَ لَهُمْ مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْفِرَارِ .



(١) فِي ج : «مَكْنَهُمُ الشَّيْطَانُ» .

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تَحْشُرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمُ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ مِنْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَزُكِّرَ بِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّنَا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذِنْ اللَّهُ وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُحِلِّمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾].

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المنافقون.

﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ هم ^(١) إخوة القرابة؛ لأن المنافقين كانوا من الأوس

(١) في هـ، ج: «هي».

والخزرج، وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يُقتل من المهاجرين إلا أربعة.

﴿إِذَا صَرُّوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا.

وإنما قال: «إذا» التي للاستقبال مع ﴿قَالُوا﴾؛ لأنه على حكاية الحال الماضية.

﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ جمع غازٍ، ووزنه فُعَل -بضم الفاء وتشديد العين-.

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾ اعتقاد منهم فاسد؛ لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يُقتلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم. ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين^(١).

﴿لِيَجْعَلَ﴾ يتعلّق بـ ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قالوا ذلك فكان حسرة في قلوبهم، فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرة؛ لأن الذي يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة.

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ردّ على قولهم واعتقادهم.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ﴾ الآية؛ إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قُتلوا أو ماتوا في سبيل الله خيرٌ لهم مما يجمعون من الدنيا.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ذكروا أن المعتزلة يقولون: المقتول مقطوع عليه أجله الذي قدر له، أو إن له أجلين: أحدهما: ما حصل بسبب القتل، والآخر: هو الذي لو عاش لبلغه.

﴿وَلَيْنَ مَثَمٌ﴾ الآية؛ إخبار أن من مات أو قتل فإنه يُحشَر إلى الله .

﴿فِيمَا رَحْمَةٍ﴾ «ما» زائدة للتأكيد .

﴿لَا تَفْضُوا﴾ أي: تفرقوا .

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك .

﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختص بحق الله .

﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ المشاورة مأمورٌ بها شرعاً ، وإنما يشاور النبي ﷺ الناس في الرأي؛ في الحروب وغيرها ، لا في أحكام الشريعة^(١) .

وقرأ ابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر» .

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ التوكل: هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع ، أو حفظها بعد حصولها ، وفي دفع المضرات ، أو رفعها بعد وقوعها .

وهو من أعلى المقامات؛ لوجهين :

أحدهما: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ .

والآخر: الضمان الذي في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

[الطلاق: ٣] .

وقد يكون واجباً؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ، فجعله شرطاً في الإيمان ، ولظاهر قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾

(١) في هـ، ج: «الأحكام الشرعية» .

الْمُؤْمِنُونَ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ مَحْمُولٌ عَلَى الْوَجُوبِ .

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب :

الأولى : أن يعتمد العبد على ربه ، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له ، وقيامه بمصالحه .

والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه ؛ فإنه لا يعرف سواها ، ولا يلجأ إلا إليها .

والثالثة : أن يكون العبد مع ربه : كالमित بين يدي الغاسل ، قد أسلم نفسه إليه بالكلية .

(فصاحب الدرجة الأولى : عنده حظ من النظر لنفسه ، بخلاف صاحب الثانية .

وصاحب الثانية : له حظ من المراد والاختيار ، بخلاف صاحب الثالثة)^{(١)(٢)} .

(١) ما بين القوسين سقط في هـ ، ج .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : «واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب» إلخ ، أقول : التوكل من أعمال القلوب ، وهو من تحقيق توحيد الربوبية ، ومن مقامات العبودية القلبية ، وجعله ثلاث درجات طريقة الصوفية ، والحق أنه درجتان : الأولى : توكل المقتصدين ، والثانية : توكل المقربين ، وهذا يوافق معنى ما ذكره المؤلف في الدرجة الأولى والثانية ؛ فإنه لا إشكال فيهما ، وأما الدرجة الثالثة فهي من بدع الصوفية التي خالفوا فيها الحس والعقل والشرع ، فكون الإنسان يصل إلى حالة يكون فيها كالमित بين يدي الغاسل ، بحيث لا تكون له إرادة في جلب ولا دفع حالة ممتعة حساً وعقلاً ، وغير مطلوبة شرعاً ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقا على قول بعض =

وهذه الدَّرَجَات مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ الَّذِي تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهًُ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ^(١)، فَهِيَ تَقْوَى بِقُوَّتِهِ، وَتَضَعُفُ بِضَعْفِهِ.

فَإِنْ قِيلَ : هَلْ يُشْتَرَطُ فِي التَّوَكُّلِ تَرْكُ الْأَسْبَابِ أَمْ لَا؟

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْأَسْبَابَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

أَحَدُهَا : سَبَبٌ مَعْلُومٌ قَطْعًا ، قَدْ أَجْرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَهَذَا لَا يَجُوزُ تَرْكُهُ ، كَالْأَكْلِ لِدَفْعِ الْجُوعِ ، وَاللِّبَاسِ لِدَفْعِ الْبَرْدِ .

وَالثَّانِي : سَبَبٌ مَظْنُونٌ ، كَالتَّجَارَةِ وَطَلْبِ الْمَعَاشِ ، وَشَبَّهَ ذَلِكَ ، فَهَذَا لَا يَقْدَحُ فَعْلُهُ فِي التَّوَكُّلِ ؛ فَإِنَّ التَّوَكُّلَ مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ ، لَا مِنْ أَعْمَالِ الْبَدَنِ ، وَيَجُوزُ تَرْكُهُ لِمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ .

وَالثَّالِثُ : سَبَبٌ مُوْهُومٌ بَعِيدٌ ، فَهَذَا يَقْدَحُ فَعْلُهُ فِي التَّوَكُّلِ .

ثُمَّ إِنَّ فَوْقَ التَّوَكُّلِ التَّفْوِيزُ ؛ وَهُوَ الْاِسْتِسْلَامُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْكَلِيَّةِ ، فَإِنَّ الْمُتَوَكِّلَ لَهُ مَرَادٌ وَاخْتِيَارٌ ، وَهُوَ يَطْلُبُ مَرَادَهُ بِاعْتِمَادِهِ عَلَى رَبِّهِ ، وَأَمَّا الْمَفْوُوضُ فَلَيْسَ لَهُ مَرَادٌ وَلَا اخْتِيَارٌ ، بَلْ أَسْنَدَ الْاِخْتِيَارَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ أَكْمَلُ أَدَبًا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى .

= الصوفية : (إن العارف بصير كالميت بين يدي الغاسل)، أي في استسلامه للقدر، قال الشيخ : «فهذا إنما يمدح منه سقوط إرادته التي لم يؤمر بها، وعدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه، وأنه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه، وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه. ومن أراد بذلك أنه تبطل إرادته بالكلية، وأنه لا يُحس باللذة والألم والنافع والضار، فهذا مخالفٌ لضرورة الحس والعقل، ومن مدح هذا فهو مخالفٌ لضرورة الدين والعقل» أه من العقيدة التدمرية (ص ٢٢٠).

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾ هو من الغُلُول، وهو أخذ الشيء في خفية من المغانم وغيرها.

وقرئ بفتح الياء وضم الغين، ومعناه: تبرئة للنبي ﷺ من الغلول. وسببها: أنه فُقدت من المغانم قطيفة حمراء، فقال بعض المنافقين: لعلَّ رسول الله ﷺ أخذها.

وقرئ بضم الياء وفتح الغين:

أي: ليس لأحد أن يُغْلَ نبياً؛ أي: يخونه في المغانم. وخصَّ النبي بالذكر وإن كان ذلك محظوراً مع الأمراء؛ لشُبهة الحال مع النبي؛ لأن المعاصي تعظم بحضرته.

وقيل: معنى هذه القراءة: أن يوجد غالاً، كما تقول: أحمدتُ الرجل؛ إذا أصبته محموداً، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء.

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيد لمن غلَّ بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذي غلَّ.

وقد جاء ذلك مفسراً في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ^(١)، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْسَانٌ، فيقول: يا رسول الله أغثنِي!، فأقول: لا أملك

(١) يعني: الذهب والفضة، خلاف الناطق وهو الحيوان. انظر: النهاية (٦/٢٣٧٥).

لك من الله شيئاً ، قد بلغنك»^(١) .

﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ﴾ الآية ؛ قيل : إن الذي اتَّبَعَ رضوان الله : من لم يَغْلُ ، والذي باء بالسُّخْط : من غلَّ .

وقيل : الذي اتبع الرضوان : من استشهد بأحد ، والذي باء بالسخط : المنافقون الذين رجعوا عن الغزو .

﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ أي : ذووا درجات ، والمعنى :

تفاوت ما بين منازل أهل الرضوان وأهل السُّخْط .

أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان ، فإن بعضهم فوق بعض ، وكذلك^(٢) درجات أهل السخط .

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ الآية ؛ إخباراً بفضل الله على المؤمنين ببعث رسوله محمد ﷺ .

﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ معناه : في الجنس واللسان ، فكونه من جنسهم : يوجب الأنس به ، وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم : يوجب حسن الفهم عنه ، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته ﷺ ، ويكون هو ﷺ أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنيين .

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً﴾ الآية ؛ عتابٌ للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد .

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٣) ، ومسلم (١٨٣١) .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «فكذلك» .

ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف .

والجملة معطوفة على :

ما تقدّم من قصة أحد .

أو على محذوف .

﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِهَا﴾ قُتِلَ من المسلمين يوم أحد سبعون ، وكان قد قُتِلَ من
المشركين يوم بدر سبعون ، وأُسِرَ سبعون .

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ قيل : معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة ؛ لمخالفتهم
رسولَ الله ﷺ حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين ، فأبوا
إلا الخروج .

وقيل : بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدّم .

﴿يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي : جُمِعَ المسلمون والمشركون يوم أحد .

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ الآية ؛ كان رأيُ عبد الله بن أبيّ بن سلول أن لا يخرج
المسلمون إلى المشركين ، فلما طَلَبَ الخروجُ قومُ من المسلمين فخرج
رسول الله ﷺ غضب عبد الله ، وقال : أطاعهم وعصاني ! ، فرجع ورجع
معه ثلاث منة رجلٍ ، فمشى في أثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ،
فقال لهم : ارجعوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ! ، فقال له عبد الله بن أبي :
ما أرى أن يكون قتالٌ ، ولو علمنا أنه يكون قتالٌ لكنّا معكم .

﴿أَوْ اذْفَعُوا﴾ أي : كثّروا السّواد وإن لم تقاتلوا .

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ بدلٌ من ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ .

﴿لَا إِخْوَانَهُمْ﴾ : في النَّسَب ؛ لأنهم كانوا من الأوس والخزرج .
 ﴿قُلْ فَأَدْرَأُكُمْ﴾ أي : ادفعوا ، والمعنى : ردّ عليهم .

❦ ❦ ❦

[وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٨﴾ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَتَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٩﴾ تَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٠﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٢﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِشْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٧﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَسَوْفَ يَكْفُلْكُمْ اللَّهُ عَظِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٧٩﴾].

﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء؛ من التمتع بأرزاق الجنة، بخلاف سائر الأموات من المؤمنين؛ فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة.

﴿وَتَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ المعنى: أنهم يفرحون بإخوانهم الذين

بقُوا في الدنيا من بعدهم ؛ لأنهم يرجون أن يُستشهدوا مثلهم ، فينالوا مثل ما نالوا من السَّعادة .

﴿أَلَا خَوْفٌ﴾ في موضع المفعول من أجله ، أو بدلٌ من ﴿الَّذِينَ﴾ .

﴿يَسْتَبَيِّرُونَ﴾ كُرِّرَ لِيُذَكَّرَ ما تعلق به من النعمة والفضل .

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ صفة لـ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، أو مبتدأ وخبره : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ الآية .

ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في أتباع المشركين بعد غزوة أحد ، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وكانوا قد أصابتهم جراحاتٌ وشدائدٌ ، فتجلدوا وخرجوا ، فمدحهم الله بذلك .

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ الآية ؛ لما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد ، بلغ ذلك أبا سفيان ، فمرَّ عليه ركبٌ من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة ، فجعل لهم حِمْلَ بعيرٍ من زيب على أن يشبَّطوا المسلمين عن أتباع المشركين ، فخوَّفوهم بهم ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وخرجوا .

فـ ﴿النَّاسُ﴾ الأول : ركب عبد القيس ، وـ ﴿النَّاسُ﴾ الثاني : مشركو قريش .

وقيل : نادى أبو سفيان يوم أحد : موعدنا بدرٌ في العام القابل ، فقال رسول الله ﷺ : «إن شاء الله» ، فلما كان العام القابل خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد ، فأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي ليشبَّط المسلمين .

فعلى هذا: ﴿النَّاسُ﴾ الأول: نعيم، وإنما قيل له: «الناس» وهو واحد؛ لأنه من جنس الناس، كقولك: ركبت الخيل؛ إذا ركبت فرساً.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير المَقُول، وهو: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾. والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، فمعناه هنا: قَوِي يَقِينُهُمْ وثَقَّتُهُمْ بالله. ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ كلمة يُدْفَعُ بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقِيَ في النار.

ومعنى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافينا الله وحده؛ فلا نخاف غيره. ومعنى: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ثناء على الله، وأنه خير مَنْ يَتَوَكَّلُ العبدُ عليه ويلجأ إليه.

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ أي: رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر. ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ لخروجهم مع رسول الله ﷺ. ﴿ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ المراد به هنا: أبو سفيان، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان أو إبليس.

و﴿ذَلِكُمْ﴾ مبتدأ، و﴿الشَّيْطَانُ﴾ خبره، وما بعده استئناف. أو: ﴿الشَّيْطَانُ﴾ نعت، وما بعده خبر. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم أيها المؤمنون أوليائه؛ وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف، ويدل عليه: قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وقراءة ابن عباس وابن مسعود: «يخوفكم أوليائه».

وقيل : المعنى : يخوِّفُ المنافقين - وهم أولياؤه - من كفار قريش ،
فالمفعول الثاني على هذا محذوف .

﴿وَلَا يُحْزِنُكَ﴾ تسلياً للنبي ﷺ .

وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعاً ، من : «حَزَنَ» الثلاثي ،
وهو أشهر في اللغة من «أحزن» .

﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي : يبادرون إلى أقواله وأفعاله ، وهم :
المنافقون ، أو الكفار .

﴿إِنَّ الَّذِينَ اسْتَرَوْا﴾ الآية ؛ هم : المذكورون قبل ، أو على العموم في
جميع الكفار .

﴿إِنَّمَا تُنَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي : نمهلهم .

و«أَنَّ» مفعول بـ ﴿يَحْسِبَنَّ﴾ ، و«ما» اسم «أَنَّ» ؛ فحَقُّهَا أن تكتب منفصلةً ،
و﴿خَيْرٌ﴾ الخبر .

﴿إِنَّمَا تُنَمِّلِي لَهُمْ﴾ «ما» هنا كافّة ، والمعنى : ردُّ عليهم ؛ أي : أن الإملاء لهم
ليس خيراً لهم ، إنما هو استدراج ؛ ليكتسبوا الآثام .

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية ؛ خطاب للمؤمنين ، والمعنى : ما كان
الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين ، ولكنه ميّز هؤلاء من هؤلاء ؛ بما
ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال ، التي تدلُّ على الإيمان أو على
النفاق .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: ما كان الله ليُظِلَّكُمْ على ما في القلوب من الإيمان والنفاق.

أو: ما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تُغلبون.

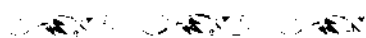
﴿يَجْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ﴾ أي: يختار مَنْ شاء مِنْ رسله، فيطلعه على ما شاء من غيبه.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ يمنعون الزكاة وغيرها.

﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: ﴿هُوَ﴾ فضّل، و﴿خَيْرًا﴾ مفعول ثان، والأول محذوف؛ تقديره: لا يحسبن^(١) البخل خيراً لهم.

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي: يُلْزَمُونَ إثم ما بخلوا به.

وقيل: يُجْعَلُ ما بخل به حِيَّةٌ يُطَوَّقُهَا في عنقه يوم القيامة.



(١) في أ، د: «تحسين».

[لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٧٨﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَالْبَيْنَتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا يَالْبَيْنَتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٨١﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْصَمَةِ فَمَنْ رُخِّعَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٨٢﴾ * لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْرُونَ ﴿٨٤﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازٍ مِنَ الْعَذَابِ لَهْمٌ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٥﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٦﴾].

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآية؛ لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال بعض اليهود -وهو فُنْحَاصُ، أو حُيِّي بن أخطب، أو غيرهما-: إنما يَسْتَقْرِضُ الْفَقِيرُ مِنَ الْغَنِيِّ، فالله فقير ونحن أغنياء، فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضاً على القرآن، أوجبه قلَّةُ فهمهم، أو تحريفهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقادٍ فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد: فهو استخفاف، وعناد.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي: تكتبه الملائكة في الصحف.

﴿وَقَتَلَهُمُ الْآلِيبَاءُ﴾ أي: قتل آبائهم للأنبياء، وأسند إليهم؛ لأنهم راضون به، ومتبعون لمن فعله من آبائهم.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ﴾، وليس صفة ﴿لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أو غيرها جعلوه في مكان، فتزل نار من السماء فتحرقه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل.

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الآية؛ رد عليهم بأن الرسل قد جاؤوهم بمعجزات توجب الإيمان بهم، وجاؤوهم أيضًا بالقربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم، فذلك يدل على أن كفرهم عناد، وأنهم كذبوا في قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ﴾ الآية؛ تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره.

﴿فَمَنْ رُحِزَ﴾ أي: نُحِّي^(١) وأبعد.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ الآية؛ خطاب للمسلمين، والبلاء في الأنفس: بالموت والأمراض، وفي الأموال: بالمصائب والإنفاق.

﴿وَلَتَنْفَعَنَّ﴾ الآية؛ سببها: قول اليهود: «إن الله فقير»، وسببهم للنبي ﷺ وللمسلمين.

﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُمُونَهُ﴾ ابن عباس: هي لليهود؛ أخذ عليهم العهد في أمر محمد ﷺ فكتموه.

(١) في ج، د: «نجا».

وقيل : هي عامة في كل من علّمه الله علماً .

﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ﴾ الآية ؛ ابنُ عباس : نزلت في أهل الكتاب ؛ سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتّموه إياه وأخبروه بغيره ، فخرجوا وقد أروّه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا إليه بذلك ، وفرحوا بما أنزل من كتّمانهم إياه ما سألهم عنه .

وقال أبو سعيد الخدري : نزلت في المنافقين ؛ كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وإذا قدّم النبي ﷺ اعتذروا إليه ، وأحبّوا أن يحمّدوا بما لم يفعلوا .

﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ بالتاء وفتح الباء : خطاب للنبي ﷺ .

وبالياء وضم الباء : أسند الفعل لـ ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ ؛ أي : لا يحسبون أنفسهم^(١) بمفازة من العذاب .

ومن قرأ : ﴿لَا يَحْسِبَنَّ﴾ بالتاء : فهو أيضاً خطاب للنبي ﷺ و﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ مفعول به ، و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المفعول الثاني ، وكرّر ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ للتأكيد .

ومن قرأ : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء من أسفل : فإنه حذف المفعولين ؛ لدلالة مفعولي ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ عليهما .

(١) في د : «أنهم» .

[إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
 ١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ١٩١] رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ
 النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ١٩٢ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
 لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ
 الْأَبْرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَالِيَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ
 ١٩٤ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ
 بَعْضٍ فَأَلَّزِينَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَفُتِلُوا وَفُتِلُوا لَا كُفْرَانَ
 عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذِلُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ
 عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ١٩٥ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ١٩٦ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ
 مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ١٩٧ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ١٩٨ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ
 بِفَآئِدَةِ اللَّهِ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ١٩٩ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾].

﴿وَاخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر في «البقرة» (١).

﴿قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: يذكرون الله على كل حال؛ فكان هذه
 الهيئات حصرًا لحال ابن آدم.

وقيل : إن ذلك في الصلاة ؛ يَصَلُّون قِيَامًا ، فإن لم يستطيعوا صَلَّوا قَعُودًا ، فإن لم يستطيعوا صَلَّوا على جنوبهم .

﴿رَبَّنَا﴾ أي : يقولون : ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة ، بل خلقتَه وخلقت البشر ؛ لينظروا فيه فيعرفوك فيعبدوك .

﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو النبي ﷺ .

﴿مَا وَعَدْنَاهُ عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي : على ألسنة رسلك .

﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ﴾ «من» : لبيان الجنس ، وقيل : زائدة ؛ لتقدم النفي .

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي : الرجال والنساء سواء في الأجور والخيرات .

﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ هم المهاجرون ؛ آذاهم المشركون بمكة حتى أخرجوا منها .

﴿تَوَابًا﴾ منصوبٌ على المصدرية .

﴿لَا يَغُرُّكَ﴾ الآية ؛ تسليّة للنبي ﷺ ؛ أي : لا تظن أن حال الكفار في الدنيا دائمة فتهتم لذلك ، وأنزل ﴿لَا يَغُرُّكَ﴾ منزلة : «لا يحزنك» .

﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ أي : تقلّبهم في الدنيا قليل ؛ بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة .

﴿تُرًّا﴾ منصوبٌ :

على الحال من ﴿جَنَّتْ﴾ .

أو على المصدرية .

﴿لِلْأَبْرَارِ﴾ جمع بارٍّ أو برٍّ ، ومعناه : العاملون بالبرِّ ؛ وهو غاية التقوى والعمل الصالح .

قال بعضهم: الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذر^(١).

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في النجاشي ملك الحبشة، فإنه كان نصرانيًا فأسلم.

وقيل: في عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من اليهود.

﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ مدح لهم، وفيه تعريض بذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا.

﴿وَصَابِرُوا﴾ أي: صابروا أعداءكم^(٢) في القتال.

﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا في الثغور رابطين خيلكم، مستعدين للجهاد.

وقيل: هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله؛ أي: معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية.

والأول أظهر وأشهر؛ قال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»^(٣).

وأما قوله -في انتظار الصلاة-: «فذلكم الرباط»^(٤) فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله؛ لعظم أجره.

(١) قال ذلك الحسن البصري، أورده بإسناده الإمام أحمد في الزهد (٦٣٢)، والطبري في تفسيره (٢٠٦/٢٤).

(٢) في ب: «عدوكم».

(٣) أخرجه مسلم (١٩١٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥١).

والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور؛ ليرابط فيها، وهي غير موطنة.

فأما سكّانها دائماً بأهلهم لمعايشهم فليسوا بمرابطين، ولكنهم حُماة. حكاة ابن عطية^(١).



(١) المحرر الوجيز (٢/٤٥٨).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مُتَلَمِّتَة	٥
المطلب الأول: التعريف بالمفسر ابن جزى رحمته الله	١٣
المطلب الثاني: التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل	٢٢
كتاب التسهيل لعلوم التنزيل محققاً	٥٥
﴿المقدمة الأولى﴾ فيها اثنا عشر باباً:	٦٢
﴿الباب الأول﴾ في نزول القرآن، وجمعه في المصحف، ونقطة، وتخزيه، وتعشيره، وذكر أسمائه	٦٢
﴿الباب الثاني﴾ في السور المكية والمدنية	٦٧
﴿الباب الثالث﴾ في المعاني والعلوم التي تضمَّنْها القرآن	٦٩
﴿الباب الرابع﴾ في فنون العلوم التي تتعلَّقُ بالقرآن	٧٤
﴿الباب الخامس﴾ في أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي تُرجَّح بها بين أقوالهم	٨٤
﴿الباب السادس﴾ في ذكر المفسرين	٨٧
﴿الباب السابع﴾ في الناسخ والمنسوخ	٩٤
﴿الباب الثامن﴾ في جوامع القراءات	١٠٦

- ﴿الباب التاسع﴾ في المواقف ١١٠
- ﴿الباب العاشر﴾ في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ١١٢
- ﴿الباب الحادي عشر﴾ في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله ﷻ ١١٨
- ﴿الباب الثاني عشر﴾ في فضائل القرآن ١٢٠
- ﴿المقدمة الثانية﴾ في تفسير معاني اللغات ١٢٤
- ﴿حرف الهمزة﴾ ١٢٦
- ﴿حرف الباء﴾ ١٣٧
- ﴿حرف التاء﴾ ١٤٣
- ﴿حرف الثاء﴾ ١٤٥
- ﴿حرف الجيم﴾ ١٤٦
- ﴿حرف الحاء﴾ ١٥٠
- ﴿حرف الخاء﴾ ١٥٨
- ﴿حرف الدال﴾ ١٦١
- ﴿حرف الذال﴾ ١٦٣
- ﴿حرف الراء﴾ ١٦٥
- ﴿حرف الزاي﴾ ١٦٩
- ﴿حرف الطاء﴾ ١٧٢
- ﴿حرف الظاء﴾ ١٧٤
- ﴿حرف الكاف﴾ ١٧٦

١٨٠	﴿ حرف اللام ﴾
١٨٤	﴿ حرف الميم ﴾
١٩٠	﴿ حرف النون ﴾
١٩٥	﴿ حرف الصاد ﴾
١٩٩	﴿ حرف الضاد ﴾
٢٠١	﴿ حرف العين ﴾
٢٠٧	﴿ حرف الغين ﴾
٢١٠	﴿ حرف الفاء ﴾
٢١٤	﴿ حرف القاف ﴾
٢١٩	﴿ حرف السين ﴾
٢٢٦	﴿ حرف الشين ﴾
٢٢٨	﴿ حرف الهاء ﴾
٢٣١	﴿ حرف الواو ﴾
٢٣٧	﴿ حرف الياء ﴾
٢٣٩	﴿ الكلام على الاستعاذة ﴾
٢٤٣	﴿ الكلام على البسملة ﴾
٢٤٩	﴿ سورة أم القرآن ﴾
٢٦١	﴿ سورة البقرة ﴾
٥١٢	﴿ سورة آل عمران ﴾
٦٠٩	فهرس الموضوعات